د. معن خليل عمر

علم المشكلات الاجتماعية





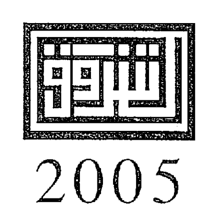
علم
المشكلات الاجتماعية



علم
المشكلات الاجتماعية

تأليف

الأستاذ الدكتور معن خليل العمر



2005

رقم التصنيف: : ٣٦١,١

المؤلف ومن هو في حكمه: معن خليل عمر

عنوان الكتاب: علم المشكلات الاجتماعية

الموضوع الرئيسي: ١- العلوم الاجتماعية

٢- المشكلات الاجتماعية

رقم الإيداع: ٥٥٢ / ٤ / ١٩٩٨

بيانات النشر : عمان: دار الشروق

● تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل المكتبة الوطنية

● رقم الإجازه المتسلسل : ٣٩٧/٤/١٩٩٨

● علم المشكلات الاجتماعية.

● الأستاذ الدكتور معن خليل العمر

● الطبعة العربية الأولى: الإصدار الثاني، 2005.



الناشر:

دار الشروق للنشر والتوزيع

هاتف: 4618190/4618191/4624321 فاكس: 4610065

ص. ب: 926463 الرمز البريدي: 11110 عمان - الأردن

دار الشروق للنشر والتوزيع

رام الله: المنارة - شارع المنارة - مركز عقل التجاري هاتف 02/2961614

غزة: الرمال الجنوبي قرب جامعة الأزهر هاتف: 2847003/07

■ التنضيد والإخراج الداخلي وتصميم الغلاف وفرز الألوان والأفلام:

دائرة الإنتاج/دار الشروق للنشر والتوزيع

هاتف: 4618190/1 فاكس: /4610065 ص. ب: 926463 عمان (11110) الأردن

E-mail: shorokjo@nol.com.jo

الإهداء

إلى من تتنافس مع الزمن لبناء ذاتها وهي في الغربة ...

ابنتي جمان

المؤلف



فهرس المحتويات

الوحدة الاولى
المشكلات الاجتماعية

الوحدة الثانية
منطلقات علم الاجتماع

الوحدة الثالثة

اسباب المشكلات الاجتماعية

الوحدة الرابعة
الوهن التنظيمي (التفكك الاجتماعي)

الوحدة الخامسة
بعض أنواع المشكلات الاجتماعية

مقدمة

يقابل علم الامراض (الباثولوجي) في الطب علم المشكلات الاجتماعية او علم العلل الاجتماعية في علم الاجتماع الذي يقوم بتشخيص الامراض الاجتماعية الناجمة عن التغيرات الاجتماعية التي تحصل دائماً وبشكل مستمر داخل المجتمع سواء كان ذلك بتأثيرات خارجية (حرب،كساد إقتصادي،حصار إقتصادي أو جوي أو تثاقف أو تطور تقني) أو بتأثيرات داخلية (ثورة،إنقلاب سياسي أو عسكري، تحولات سكانية سريعة ،ظهور موارد طبيعية جديدة) أو نقيض التغيرات الاجتماعية مثل التكلسات السياسية والتفرد النفوذي، العزلة الثقافية– تحجر النظام السياسي وبقائه على سدة الحكم– الانكفاء على الماضي سياسياً أو طائفياً مع تبديل وجوه النظام دون تطويره.

هذا التخصص الحقلي يحمل تسمية «علم» لانه يدرس العلل الاجتماعية بعيداً عن مؤثراتها المحلية والمحيطية بشكل متجرد مثل الاقلية الاجتماعية والاعراق (الارساس) والفساد الاداري والرشوة والعنف والوهن الاجتماعي (التفكك الاجتماعي) ويضم هذا العلم بين جنباته علم الاجرام وعلم النفس الاجتماعي ويرفد ويغذي علم الاجتماع الحضري والصناعي وعلم السكان بتحليل علمي للمشكلات

التي تظهر في حقول دراساتهم وذلك لان مواضيع الجنوح والانحراف والعنف والتحيز والتعصب العرقي والقومي والطائفي والوصم الاجتماعي وسواها تُعّد من أمهات المواضيع التي يتناولها هذا العلم العتيد والفني في ذات الوقت.

عتيد لان مواضيع اهتمامه من أقدم المواضيع التي تناولها علم الاجتماع لكنها لم تتبلر على شكل عِلم أو تُنسّق وتنظم على صورة حقل خاص بالعلل الاجتماعية، انما ظهرت دعوة في الوقت الحاضر لهذه المواضيع بتسميتها علم المشكلات الاجتماعية .

وأجد نفسي متساوقاً في الوقت الراهن بعدما عارضت هذه الدعوة في مؤلفي عن المشكلات الاجتماعية وذلك بسبب تفاقم المشكلات الاجتماعية كماً ونوعاً، الأمر الذي دفع علماء الاجتماع لأن يتناموا في دراساتهم لها كل حسب منطلقه. فضلاً عن اني أرى وجود علاقة جدلية متفاعلة بين التغير الاجتماعي والمشكلات الاجتماعية . ولما كان المجتمع الانساني لا يعرف السكون والركود التام (بل الموقت والمرحلي) فإن اي حالة تغير في جزء من اجزائه أو معيار من معاييره او قيمه من قيمه أو نمط من انماطه او نسق من انساقه فإن ذلك التغير يخلق مشكلات اجتماعية لبعض الناس الذين يتمسكون بما تم إلغاؤه أو تبديله بسبب تعلقهم به وخدمته لمصالحهم الذاتية .أو انه يمثل جزءاً من وجودهم الاجتماعي .لذا نجدهم يتدثرون به ويتمسكون به إنما لا يستمر هذا التدثر الماضوي لان تيارات الحياة متعددة ومستمرة وفي حالة تبدل دائم لكن اذا تسارعت التغيرات وتعددت مناحيها فإن عدد المشكلات وانواعها تتفاقم تباعاً ،علماً بان مساحات التبدل تختلف من حالة إلى أخرى. اذ كلما كانت مساحة التبدل الاجتماعي واسعة إتسعت مساحة المشكلة بين الناس والعكس صحيح. عندئذٍ تعمل هذه المشكلات المستجدة والمتنوعة والمتعددة الى دفع الناس لان يتغيروا مجبرين لا مخيرين واذا تصلبوا أو امتنعوا عن ذلك فانهم يتحولون الى ضحايا التغير، واذا قلت اعداد المشكلات فان ذلك يُعد مؤشراً على تباطؤ سرعة تغيره . واذا إنعدمت –مؤقتاً– فإن ذلك يعني انه

مستقر أو مسبّت -مرحلياً- لذا فإن الفصل بين التغير الاجتماعي والمشكلات الاجتماعية امرٌ غير وارد وغير واقعي لانهما متلازمان دوماً وهذه الحالة تشبه تقدم عمر الانسان. اذ كلما يتقدم عمره تزداد مشكلاته الذاتيه والاقتصادية والاجتماعية والفكرية .إنما في بداية مراحل تطور ونمو المجتع يكون التغير مسبباً للمشكلات، وكلما تقدم المجتمع في نموه وتطوره وتفاقمت مشكلاته بات هذا التقدم عاملاً اضافياً الى عوامل التغير الاجتماعي. اي أنه كان في البداية نتيجة التغير ثم يتحول - فيما بعد- الى سبب ونتيجة في نفس الوقت.

ثمة حقيقة اود التصدي لها في هذه المقدمة وهي ان ليس كل مخالفة معيار او قيمة او نمط عيش يعد إنحرافاً وبالتالي يتحول الى مشكلة اجتماعية بل احياناً تكون هذه المخالفة تمثل إبداعاً وجرأةً خلاّقة لان المعيار الذي تم مخالفته او القيمه التي لم تحترم من قبل الناس او بعضهم يعني انها باتت لا تخدم مصالحهم او لا تعكس روح العصر اولا تتناسب مع طموحات الناس فالذي يخالفها او لا يلتزم بها لا يُعد منحرفاً أو موصوماً اجتماعياً بل متحرراً من بعض قيود الماضي ومتح... مع تطورات الحياة الاجتماعية.

هذا واني قسمت هذا المؤلف الى خمسة فصول (وحدات) الاول عن مضمون المشكلة الاجتماعية ومحكاتها ومن الذي يحكم عليها بانها مشكلة او غير ذلك وفي الفصل الثاني اوضحت المنطلقات النظرية في رؤيتها المتنوعة للمشكلات(العلة والوهن والصراع والانحراف والوصم البنائي- الوظيفي والتفاعل الرمزي) وقد جاء الفصل الثالث بموضوع اسباب المشكلات الاجتماعية الذي تناول ثمانية اسباب كالحرب والتغير والوهن والهجرة وسواها. بينما تناول الفصل الرابع موضوع الوهن التنظيمي (التفكك الاجتماعي) في حياة الفرد والاسره والمجتمع المحلي والعام .في حين تناول الفصل الخامس موضوع انواع المشكلات الاجتماعية مثل الانحراف السلوكي والعنف والسلوك العدواني والفقر والادمان

على المسكرات والتخلف الاجتماعي ومشكلات المراحل العمرية للانسان كمشكلات الطفولة والمراهقة والشيخوخة.

وفي هذا المقام أُقدم شكري لابني يزن الذئ زودني بكتب عن المشكلات الاجتماعية من مكتبة جامعته التي يدرس فيها (فكتوريا) في نيوزلاند واشكر ايضاً زوجتي جيهان وابنائي أيمن وابنتي جمان على متابعتهم واستفساراتهم حول كتابة فصول هذا المؤلف وهم في نيوزلاند اخيراً أسأل الحق الذي منح كل الحق وجوده ان يسدد خطانا وان يتوج بالنجاح مسعانا وان يوفقنا الى المعرفة التي هي غايتنا الاولى والاخيرة في كل ما نزاوله وبالله العون ومنه التوفيق.

ا.د. معن خليل العمر

إربد– الاردن

١٩٩٨

الوحدة الاولى

المشكلات الاجتماعية



١-أ-إلماعة عاجلة

يُشبه الفيلسوف الفريد وايتهد العلم بالنهر الجاري الممتلك منبعين :الاول يمثل المصدر التطبيقي -العملي الذي يعكس الرغبة في توجيه أفعالنا لانجاز غايات مصممه سلفاً، والثاني يمثل المصدر النظري الذي يعكس الرغبة في الفهم والاستيعاب ،كلاهما يتمم الآخر ولا توجد مفاضلة أحدهما على الثاني أو أن احدهما أكثر فائدةً من الآخر لانهما يمتلكان الجوانب السلبية والايجابية على السواء(١).

بناءً على هذه المقولة الفلسفية نستطيع القول بأن المشكلات الاجتماعية تمثل الوجه الواقعي- العملي للمعرفة الاجتماعية في النهر الاجتماعي (علم الاجتماع) (إن جاز التعبير) واستناداً على ذلك لا يمكن تسمية علم الاجتماع بالنهر المعرفي اذا لم يكن هناك المنبعان (الواقعي والنظري) ليرفدا جريان النهر.

ومن هذه الرؤية حاول روبرت مارتن ان ينظّر المشكلات الاجتماعية الواقعية ويصوغها صياغة نظرية لترفد النهر الاجتماعي من منبعين (الواقعي والنظري) ليجعل هذا النهر المعرفي دائم الجريان بمياهه الاقليمية (بحوث ميدانية -محلية) والمحيطية -الكونية (تأريخ الشعوب التي سادت ثم بادت ومقارنة الثقافات المجتمعية).

إذا اردنا تثمير هذا الموضوع ،نسأل سؤالاً بديهياً مفاده لماذا ندرس وندرّس المشكلات الاجتماعية ؟ببساطة لانها تؤثر علينا جميعاً أو على بعضنا وتعيق تطور حياتنا ونمو مجتمعنا أو تربك طموحاتنا. لذا يتطلب منا دراستها ومعرفة اسباب حدوثها ومن المسؤول عن وقوعها ومن المنتفع منها ومن المتضرر بها؟ وكم تكلفنا مادياً ومعنوياً وماذا نستطيع ان نعمل تجاهها؟

لكن تحقيق هذا الطلب ليس بالامر الهين او الميسر بل يحتاج فرقاً من الباحثين وقراءة العديد من الكتب والبحوث والمجلات الدورية فضلاً عن ذلك فإن المشكلات الاجتماعية تتصف بالصفات الاتية:

١- انها تظهر في كافة المجتمعات الانسانية سواء كانت كبيرة الحجم او صغيرة، معقدة البناء ام بسيطة ،متخلفة ام متحضرة،تقاليدية ام متمدنة.

٢-تختلف في سعة حدودها وتكرار وقوعها ودرجة توزيعها وكثافة الاضطراب الفكري والعاطفي المصاحب لها.

٣-تتشكّل تدريجياً على مراحل مترابطة لذا فإنها لا تظهر فجأة أو عفويةً.

٤- وبناءً على ذلك انها متطورة اجتماعياً.

٥- تظهر في منشأ يعكس الاضطراب الاجتماعي والشخصي. اي تبرز نتيجة تمزق النسيج العلائقي الاجتماعي او نتاج سلسلة تمزقات تحصل داخل المجتمع.

٦-وهذا يعني انها ملتصقة بالفساد والتفسخ الاجتماعي داخل المجتمع.

٧- يقال احياناً ان الاضطراب الفردي يبرز من نفس القوى الحيوية (الدينامية) التي تفرز أو تنتج الاضطراب الاجتماعي.

٨- تُفسّر على انها احد اوجه التغير الاجتماعي.

٩-يساعد التطور التقني على خلقها داخل المجتمع.

١٠- تعكس صرامة الضغوط الاجتماعية في بعض الاحيان كالفقر والاتكالية والضغوط السكانية (زيادة الولادات والوفيات) والصراعات العرقية والبطالة وارتفاع معدل الجرائم والانحرافات السلوكية والحرب والسلام والدعاية والتربية.

١١-تظهر بسبب التغيرات الحاصلة في اسلوب العيش ومستواه .أو انواع الممارسات الاجتماعية للاسرة والتعليم والدين والاقتصاد والسياسة والعلاقات الدولية وسواها من المتغيرات المؤثرة.

١٢-لا يمكن شرحها وتشخيص حدوثها من خلال سبب واحد بل عدة اسباب مترابطة.

١٣-مرتبطة بالقيم الاجتماعية في اغلب الاحيان.

١٤-غالباً ما يكون الاطار المرجعي لها واسعاً لا ضيقاً بعيداً عن التحيز وسوء تفسير ما تم العثور عليه.

١٥- الاداب العامة والاخلاق الاجتماعية يمثلان نواتها [٢].

نأتي الآن الى طرح مفهوم المشكلة الاجتماعية ونبدؤها من تعابير الافراد بوصف حدث معين، وذلك عندما ما يقال عن تصرف معين بانه مقرف او مؤلم او مزعج او شنيع أو بغيض او مروع. لماذا لم نعمل شيئاً لمعالجته او ملافاته، عندئذٍ يمكن القول بان هذا التصرف يمثل مشكلة اجتماعية واقعية.

وازاء هذا الوصف يقول «بول هرتون» (عالم اجتماع امريكي معاصر) ان المشكلة الاجتماعية نتاج ظروف مؤثرة على عدد كبير من الافراد تجعلهم يعدّون الناتج عن الظروف المؤثرة عليهم غير مرغوب فيه ويصعب علاجه بشكل فردي إنما يتيسر علاجه من خلال الفعل الاجتماعي الجمعي.

يفضي هذا التحديد إلى أربع افكار هي:

١-ظروف مؤثرة على عدد كبير من الافراد.

٢-إدراك الافراد لما ينتج عن هذه الظروف المؤثرة عليهم بانه غير مرغوب فيه.

٣-الشعور بضرورة التحرك نحو هذا الانتاج.

٤- هذا المنتج المرفوض لا يتم معالجته او تجنبه إلا من خلال التصرف الجمعي.[٣]

ومن اجل التبصير دلف هورتون الى توضيح اكثر لهذه الافكار الأربع وهي كما يلي:

١- الظروف المؤثرة على العديد من الافراد. حيث اذا واجه الفرد حدثاً غير مُرضٍ بالنسبة له واغضبه او ازعجه فلا يُعد ذلك ظرفاً اجتماعياً مؤثراً. لكن اذا واجه عدد كبير من الافراد موقفاً مزعجاً او مقرفاً لهم فإن ذلك يُعد ظرفاً مؤثراً. أقول إن

الظرف المؤثر لا يُعد معبراً عن فعله الا اذا أثر على عدد كبير من الافراد وخلاف ذلك لا يعتبر مؤثراً اجتماعياً.

لا جناح من طرح سؤال مفاده كم يتطلب عدد الافراد لكي يكون العدد كبيراً ؟ يمكن تحديد العدد من خلال حديث الناس حول الظروف المؤثرة ومناقشته في جلساتهم وابداء تذمرهم منه لفترة طويلة من الزمن او بشكل متكرر ،ساعتئذ يمكن تسمية ما يتحدث الناس به بشكل متكرر ولفترة طويلة من الزمن ويعتبرونه موضوعاً مزعجاً او مقرفاً او مقلقاً عندئذ يمكن تسمية الموضوع المزعج بمشكلة اجتماعية واقعية يعيشها الناس فعلاً .

٢- إعتبار الحدث غير مرغوب فيه :تشير هذه الفكرة الى نوع القيم الاجتماعية السائدة في المجتمع .فإذا نظرت اليه بعين ايجابية فان المجتمع لا يعده ممثلاً لمشكلة اجتماعية لهم. لكن اذا عدته (قيم المجتمع) مخالفاً لها ومتعارضاً معها فإن افراد المجتمع يعدونه ممثلاً للمشكلة الاجتماعية. هاك مثالاً على ذلك :اشتغال الصبية في ورش العمل او في سوق العمل. اذا كانت الاسر قديماً تعمل في ورشه العائلة (الاب والام والابناء) والمجتمع كان يحث افراد الاسرة بالعمل معاً دون ادخال عمال من خارج العائلة بهدف المحافظة على تقاليد الاسرة المهنية والحرفية. أي ان القيم الاجتماعية تحث وتدعم اشتغال الصبيه في ورش عوائلهم . لذا لا يعد المجتمع انذاك (اشتغال الصبيه) مشكلةً اجتماعية .لكن اذا كانت قيم المجتمع ترى اشتغال الصبية في سوق العمل خرقاً للقيم الاجتماعية وتحثهم على الدراسة والثقافة فإن اشتغال الصبية في سوق العمل يعد في نظر الناس غير مرغوب فيه عندئذ يُعّد مشكلة اجتماعية.

مثال ثان: يحرّم المجتمع الاسلامي شرب الخمرة لان القرآن الكريم حرمها،لكن اذا شاع شرب الخمر بين افراد المجتمع الاسلامي عندئذٍ يعد شرب الخمرة مشكلة اجتماعية.

٣- اذا شاع الحدث بين قطاعات كبيره من الناس وبدءوا يتحدثون فيه ويقيمونه ويحددون احكامهم عليه ويقدمون مقترحات لمعالجته عندئذٍ يمكن القول بان هذا الحدث يشكل مشكلة اجتماعية.

مواقف الأفراد من المشكلات الاجتماعية:

عند ما يدرك الافراد وجود مشكلة اجتماعية نجدهم يتخذون مواقف متباينه ومتنوعه تجاهها كل حسب بُعده الاجتماعي وقربه منها. اي لا يوجد موقف موحد لكافة قطاعات المجتمع وهي ما يلي:

١-عدم الاكتراث (اللامبالاة) وذلك بسبب ضغوط العمل وانشغال الفرد بوسائل ترفيهيه معينة التي تبعده عن مناقشة المشكلات الدائرة في مجتمعه وبخاصة المشكلات التي تعكس المصلحة العامة،فيبدي عدم اهتمامه بها ولا يعير اهمية لها، بيد انه يناقشها اذا مست مصلحته الذاتية - الشخصية او اضرت بها،عندئذٍ يتخذ موقفاً من المشكلة ويبدي اكتراثه فيها ويناقش جوانبها مع الاخرين.

٢-الاستسلام القدري: يتشكل هذا الموقف عند الذين يؤمنون بالحظ والنصيب وبالقدر المكتوب ممثلاً الموقف الخنوعي الذي يقبل بسوء الحظ او البليه أو خيبة الامل. هذا الموقف لا يدفع او يشجع الفرد في البحث عن حل للمشكلة التي يواجهها او يبادر في معالجتها لان معتقداته القدرية تغذي تفكيره فتقنعه بان ما حصل له هو مقدر له ومكتوب عليه فيستسلم لها بقناعة ورضى ولا يسمح لذهنه ان يفكر لمعرفة اسبابها او كيفية معالجتها بل يندب حظه او بخته على ما اصابه (اي اذا واجه مشكلة يتقبلها باستسلام معتقدي فلا يعترض ولا يعارض مؤمناً بالقول ما يصيبك الا نصيبك).

٣- الشك الساخر - المتهكم. أصحاب هذا الموقف يؤمنون بالفضيلة وبهيمنة المصالح الذاتيه على السلوك البشري المندفعة بدوافع نذلة او خسيسه او حقيره او بدافع انساني. واذا حصلت مشكلات اجتماعية فإنها تعّبر عن مصالح الناس الذاتية

فلا يهتمون (اصحاب هذا الموقف) لما يحصل داخل المجتمع من مشكلات لان مصالحهم مشبعة ودائرة تفكيرهم ضيقة فلا يبذلون جهداً للارتقاء بمستوى تفكيره او توسيع دائرته (انه يعكس المذهب الكلبي الذي يشك في طبيعة الدوافع البشرية) انه موقف متشكك باسلوب ساخر.

٤- الجزاء الديني (عقوبة الآخرة) يعرض هذا الموقف اتجاهاً مفاده : ان المشكلة الاجتماعية التي حصلت داخل المجتمع ماهي سوى عقوبة الله على خطيئة الانسان او على كفره او الحاده او اشراكه بالله اوعدم ايمانه بالله . فالفيضانات والحروب او الكساد الاقتصادي او البطالة (يعدها اصحاب هذا الموقف) عقوبة الله على الذين كفروا بنعمتهم او اشراكهم بالله أو الحادهم .هذا الموقف يستحيل تعديله او تبديله من خلال المصلح الاجتماعي او بواسطة اصحاب القرار في المؤسسة الرسمية . لان اصحاب هذا الموقف يعالجونه باقامة الصلوات والدعاء والتضرع لله لذا لا يعالج هذا الموقف بالبحث العلمي بل بالفلسفة الدينية .فالمريض او الفقير جداً او العاطل عن العمل يُنظر اليه من قبل اصحاب هذا الموقف على ان ما اصابه راجع الى لعنة الله على اعماله الخسيسه فأصابه ما اصابه من فقر او مرض او طرد من العمل.

٥- الافراط العاطفي: يعكس هذا لموقف افراداً يعيشون في بؤرة المشكل الاجتماعي ويتفاعلون معه ويتحمسون لمعالجته او حله ويكون شغلهم الشاغل الحديث عن المشكل والمبالغة بوصفه وتهويل صورته والاسراع بمعالجته ويتركز حديثهم عن معاناة الفرد اكثر من معاناة المؤسسة الاجتماعية أو المجتمع بكامله، ،لذا نجدهم يندمجون في لب المشكل ومتغيراته ويهولون آثاره وابعاده ويخلقون من الافراد الذين يعيشون فيه رموزاً نبيله وذات شأن رفيع المستوى.

٦-الموقف الاجتماعي العلمي: انه موقف علماء الاجتماع المتخصص بالعمل والرعاية الاجتماعية كخبراء محترفين لانه يركز على تحديد المشكل، اسبابه وابعاده ،وابراز الحقائق المرتبطة به والاحكام القيمة المتعلقة عليه وما ينضوي

تحت غطائها ؟ اي عدم التعاطف المفرط بل التحليل والتدقيق وهذا اصعب المواقف واكثرها جهداً وعناءً(٤).

الصفة العصرية للمشكلة الاجتماعية : من اجل دراسة المشكلة الاجتماعية بمنهجية متكاملة وبعيداً عن التفاسير الغيبية او الذاتية علينا الا نكتفي بالجانب الاخلاقي والادبي بل بالعمق التاريخي لها وبالذات بالجانب الانساني الذي يتمثل بالعقلانية الدنيوية –العلمانية .بعيداً عن التفاسير الدينية القديمة الخاصة بالخير والشر اذا أردنا تفهم واستيعاب المشكلات المعاصره علينا دراستها وتحليلها واستخلاص الجانب العقلاني الواقعي– الدنيوي مركزين على الجانب الانساني الذي تحتويه وذلك لان المشاكل الاجتماعية تختلف من فترة زمنية الى اخرى بسبب خضوعها لخصوصية الفترة الزمنية وظروف المجتمع فمثلاً مشاكل عصر التنوير في المجتمع الاوروبي غير مشاكل اوروبا في الوقت الراهن وظروف الفقر والجريمة في عصر التنوير غير ظروفها الآن لكن العنصر الانساني في هذه المشكلات جميعها يكون واحداً على الرغم من اختلاف الحقب الزمنية .لذا علينا ان نركز على الجانب الانساني الذي تتضمنه كافة المشكلات الاجتماعية بغض النظر عن زمان وقوعها وحدوثها وانتشارها وتغير معناها ومفهومها من ثقافة اجتماعية الى اخرى ومن عصر الى آخر لانه يتأثر ويتحدد بالشعور الاخلاقي والوعي الاخلاقي وبمستوى العيش وانماط السلطة الاجتماعية.

(١-ب) الحكم على الحدث بأنه يمثل مشكلة اجتماعية

ينصب اهتمامي في هذا الباب على استكشاف من الذي يقرر او يحدد او يحكم على حدث اجتماعي متناقض او متعارض مع القيم السائدة او مع الاداب العامة بانه يشكّل او يمثل مشكلة اجتماعية ؟ هل الفرد ام جماعة اجتماعية معينة ام مواقع بنائية متميزة إو أصحاب القرارات الفوقية ام معايير فئوية متسيدة ام المجتمع برمته؟ هناك من يرى ان حكم اغلبية الناس على الحدث المتناقض مع بعض من قيم او معايير المجتمع يمثل مشكلة اجتماعية وبالذات على الحدث الذي يعمل على تغير مجرى او مسار الاحداث المعتادة والتي الفها الناس.

ويرى القسم الأخر من الناس حكم شريحة بارزة داخل المجتمع على الحدث المتناقض مع ماهو سائد في المجتمع يمثل مشكلة اجتماعية .وهناك من يرى حكم اصحاب القرار ومالكي النفوذ والسلطة السياسية والاجتماعية (عليّة القوم أو السراة) على الحدث الذي يخرج عما هو مألوف ومتعارف عليه أو الخروج عن المعايير الاجتماعية يمثل مشكلة اجتماعية.

اي لا يوجد إتفاق بين افراد المجتمع عن من الذي يقرر وجود مشكلة ام لا داخل المجتمع. الا انه من الخطأ القول بان القرار الفردي هو الذي يحدد ماهو مشكلة وماهو غير ذلك . أقول لا يوجد قرار فردي مستقل يحدد المشكل الاجتماعي.

لا مندوحة من القول بأ ن«معايير الجماعة الاجتماعية » سواء أكانت هذه الجماعة متميزة أم مغمورة ،متسيدة او مخنوعة ،حاكمة أم محكومة ،أقليه أو أغلبية ،هي التي تقرر بأن الحدث الاجتماعي الذي يتعارض او يتخالف او يتناقض معها على إنه يمثل مشكلة اجتماعية لها وليس لكافة معايير المجتمع او لكافة معايير الجماعات الاجتماعية التي تعيش ضمن مجتمعها .هاك مثالاً على ذلك : لا ترى معايير الجماعة الاجتماعية التي تصنع المشروبات الكحولية بأنها تخترق معايير المجتمع لانها منتفعه مالياً ومحلله دينياً ،بيد أن معايير الجماعة الاجتماعية التي تحرم شرب الكحول (كالمجتمع الاسلامي) ترى صناعة هذا المشروب تشكل لها مشكلة اجتماعية وبالذات لمعاييرها الدينية. مثال آخر : الجماعات التي ترى الاجهاض

يمثل خرقاً لمعاييرها الدينية تعده يمثل مشكلة اجتماعية لمعاييرها الدينية ،بينما لا يُعد كذلك عند الذين لديهم مشكلات صحية أثناء الحمل وعند اصحاب الدخول المالية المتدنية ،بغض النظر اذا كان الاجهاض يمثل خرقاً قانونياً ام لا.

لذا فان الحدث الاجتماعي قد يشّكل مشكلة اجتماعية لجماعة معينة لكنه لا يشكّل ذلك لجماعة ثانية داخل نفس المجتمع.

لا مناص إذن من القول بأن معايير الجماعة الاجتماعية هي التي تحدد وتقرر ماهو مشكل لها وبخاصة التي تتعارض اهدافها مع موازينها ومقاييسها.

بيد أن كلارنيس مارش كيس (عالم اجتماع امريكي حديث) يرى تحديد الحدث الاجتماعي على انه يمثل مشكلة اجتماعية يتم من قبل التفكير الاجتماعي وهذا المتغير هو الذي جعل مشكلات المجتمع الامريكي غير مشكلات المجتمع الصيني او الالماني على سبيل المثال .ثم دلفَ «كيس» الى وضع أربع مجاميع للمشكلات الاجتماعية هي:

١- تلك التي تظهر من خلال الاوجه غير المرغوب فيها للمحيط الفيزيقي.

٢- تلك التي تظهر من خلال خلل في تركيبة السكان نفسه او ميل غيرمرغوب فيه في معدل النمو السكاني او في توزيع السكان الجغرافي او في توزيع الجماعات العرقية.

٣- تلك التي تظهر بسبب تمزق النسيج الاجتماعي مثل ضعف التنظيم الاجتماعي بين الافراد والجماعات.

٤- تلك التي تبرز بسبب صراع القيم الاجتماعية الملتصقة بالطبقات الاجتماعية او بالجماعات الفرعية ضمن المجتمع الواحد.(٥)

٥-لا أريد ان اترك هذا الباب ما لم اسبر غور موضوعها لكي اصل الى حقيقتها الجوهرية او كبدها الذي اجده يتمثل في موضوع الوعي بالمشكلة والشعور بها وهنا اود تبصير الطالب بالفرق الاساسي بين الوعي بالمشكل والشعور به.

(١-جـ) محّكات المشكلات الاجتماعية

ذكرت في الصفحات السالفة تعابير الناس واحكامهم على فعل من الافعال يصفونه بانه مزعج او بغيض او شنيع للدلالة على عدم ارتياحهم له ويسبب ازعاجاً واشكالية لهم. والآن أطرح بعض المحكات الاجتماعية التي تحدد معالم المشكلة الاجتماعية بعيداً عن كلام الناس واحكامهم الذاتية وهي الدين، والقانون،والصحافة،والاداب الفنية.

١-**الدين**: مثلاً يحدد المحرمات والمسموحات في السلوك والعلاقات الاجتماعية والجنسية .أي يوضح ماهو محلل ومحّرم .أي ان الدين يمثل المصفاة التي تصفّى فيها الافعال المسموح بها والممنوع منها وكل فرد يخترق الممنوعات تتسبب له مشكلة اجتماعية امام مجتمعه ودينه فضلاً عن دعم الدين للشعور الجمعي لانه هو (الدين) الذي يقرر ماهو خير وما هو شر، ماهو خلقي وغير خلقي ماهو رباني وماهو غير رباني، ماهو اخلاقي وغير اخلاقي ومايمثل الخطيئة وما يمثل الاحسان وما تقره السماء وما لا تقره.

لذلك اذا حاول الفرد القيام باعمال محرمة في الدين فانه يخلق له مشكلة اجتماعية لانه خالف تعاليم دينه وهذا يعني ان التعاليم الدينية تقدم للفرد التمييز بين ماهو مشكلة وخلافها.اي يتم تحديد المشكلة من خلال معايير وأقيسة دينية .فما يعد منحرفاً حسب المعايير الدينية يعني خروج الفرد عنها او اختراقها وحدوث مشكلة معيارية حددت من قبل المعايير الدينية واعتبارها خطيئة اوعمل ضد قدسية المعيار وان الله لا يرضى عليه ولا تقرها حكمة السماء وان عقابه نار جهنم والعذاب في الآخرة .

٢- **القانون** :غالباً ما يستمد القانون بعضاً من بنوده من الدين السائد في المجتمع اذ يعمل على منع وقوع الخروقات القانونية اكثر من كونه قانوناً عقابياً. أي يمنع الناس من الانحراف او الوقوع في انحرافات وجرائم يعاقب عليها القانون . اي انه يعزز النظام الاخلاقي والادبي في المجتمع.

٣- **الصحف** : تكشف الصحف اليومية والاسبوعية العديد من المشكلات الاجتماعية التي تحدث في المجتمع سواء كان ذلك على شكل رسوم كاريكتيرية أو عرض وتحليل احداث اجتماعية تكشف الفساد الاخلاقي او الفات نظر الناس الى حالة الفقراء والعاطلين عن العمل والذين يعيشون في مناطق موبوءة بالجريمة او الاحياء السكنية الفقيرة والبغاء والانحرافات السلوكية وجنوح الاحداث لابراز معاناة الناس وهمومهم وشجونهم والمطالبة بمعالجتها وايقاع العقوبات على المسبّبين لها. انه محك اعلامي لا عقابي ،هدفه الفات نظر الناس نحو المشكلات الاجتماعية الدائرة في المجتمع.

٤- **الادب الفني**: الذي يتمثل في الرسوم والمسرحيات الدرامية والشعر والنثر المعبر عن الظلم وعدم العدالة الاجتماعية وفقدان المساواة بين فئات الناس. ففي القرن الثامن عشر مثلاً كان يعبر عن معاناة الطبقة الفقيرة التي افرزتها الثورة الصناعية مثل كتابات اميل زولا وجارلس دكنس والسيدة جاسكل وجارلس كناكزلي لاطلاع القراء على ما يقع من مشكلات اجتماعية عند الفقراء.ثم جاء فيما بعد هينرك ابسن وويلز وسموئيل تبلر وجورج برنارشو وجو جالوتي لجلب الانتباه حول المشكلات الاخلاقية والتقرحات الاجتماعية في اوروبا .

وهنا لعب الادب الاجتماعي والقصصي والمسرحيات الاجتماعية دوراً فاعلاً في هذا المجال (الفات نظر الناس حول التقرحات الاجتماعية المنتشرة في احشاء المجتمع لتوضيح معاناة الانسانية عند البغايا واسر المجرمين والفقراء والعاطلين عن العمل والمنحرفين والمدمنين على المسكرات والمختلين عقلياً والذين يعانون من التمييز العرقي وسواها من المشكلات، ليس هذا فحسب بل كشف الجوانب التعيسة من حياة البؤساء والمحرومين والأشقياء المقتلعين اجتماعياً. وحتى الغناء والموسيقى اتجها بهذا الاتجاه (التعبير عن البؤس والحرمان اكثر من التعبير عن الجانب العاطفي والرومانسي) .وهذا ما اتجه اليه البيتلز في بريطانيا لتوجيه احاسيس الناس للجانب الانساني المزري .هذا المحك لا يهدف التماثل مع النسق

الاخلاقي أو قوانين المجتمع مثل المحك الديني والقانوني بل لجلب انتباه الناس للمعاناة التي يعيشها ابناء المشكلات المتقرحة في الجسم الاجتماعي. اي انه جانب انساني اكثر من كونه عقابياً اوعلاجياً. انه محك ساهم ويساهم في توعية الناس لآلام وشقاء المحرومين والبؤساء والفقراء والمنحرفين .مثل هذا المحك نجده في بعض القصص والمسلسلات العربية التي تعُرض على شاشة التلفاز(٦).

(١-د) الاطار المرجعي للمشكلات الاجتماعية

يمثل التغير الاجتماعي إطاراً مرجعياً لمعظم المشكلات التي تحدث داخل المجتمع لانه سنّة الحياة ،لا يتوقف أو ينقطع عن استمراره في التحولات والتطورات التي تحدث تدريجياً لدرجة لا يستطيع المرء ان يلاحظ ما يحصل فيه من تحولات ونقلات . وهناك تغير يحصل في بعض الاحيان بشكل مبرمج ومخطط له سلفاً إنما في اغلب الاحيان يقع -التغير- ويأخذ مساره واتجاهه دون تخطيط مسبق وعندما يتغير فعل الانسان فإنه يكون مختلفاً في شكله عما كان في المرحلة السابقة . وحتى اذا تعارض الفعل الفردي - لا شعورياً - مع أهداف التغير فإن الاخير لا يقف بل يستمر دون تقطع أو تلكؤ.

ثمة حقيقة تستدعي التركيز عليها وهي انه ليس كافة اقسام المجتمع تتغير بنفس السرعة والدرجة والنوع وبنفس الاتجاه .فالقسم المادي من الثقافة الاجتماعية يتغير أسرع من القسم المعنوي وهذا ما يسميه وليم اوكبرن بالتخلف الثقافي لأن التطور التقني يتطلب من الجانب المعنوي ان يقوم ببعض التحويرات والتكيفات لكي تتساوق مع التطور المادي هذا التفاوت يخلق مشكلات عديدة قبل ان تحدث التكيفات الاجتماعية ويشير أيضاً الى ان الاطار المرجعي لمعظم المشكلات الاجتماعية هو التغير الاجتماعي.

لا مندوحة من الاشارة الى ان الثقافة نسبية وليست مطلقة إذ لكل ثقافة سماتها الخاصة بها التي تكون لا معنى لها بذاتها او بوضعها المستقل إنما تتضمن معناها الكامل فقط في حيزها الثقافي . فالشيء الجيد لا تُعرف جودته الا في وضعه الثقافي. والشيء السيئ لا يعرف جوهره الا في حيزه الثقافي. أي الجيد يكون جيداً اذا كان منسجماً مع باقي أقسام الثقافة ويقوم بوظائفها بشكل منسجم والشيء السيىء يكون سيئاً عندما يصطدم مع كافة اقسام الثقافة .مثال على ذلك : تعدد الزوجات في المجتمع الاسلامي يكون مقبولاً دينياً واجتماعياً لكنه ليس هكذا في المجتمع الغربي وهذه هي النسبية الثقافية.

ادلف الآن الى مدار التغير الاجتماعي في المجتمع العربي : يواجه مجتمعنا العربي تحولات اقتصادية وسياسية الامر الذي يتطلب من الشرائح الاجتماعية أن تبدل مواقفها ومعاييرها تجاه هذه التحولات إلا أن بعض مكونات الشريحه الاجتماعية واجهت هذه التحولات باليأس وبعضها بالارتباك والحيرة والتمرد والآخر بالهروب من مواجهتها.

فالفئة المتيئسة شعرت ان معاييرها قد تصدعت واهتز وجودها فخافت على مستقبلها وشكّت في قدرتها على مسايرة ومتابعة التحولات فأصابها اليأس والقنوط والرؤية المتشائمة للامور والاحداث.

اما **الفئة الثانية** فقد أصابتها الحيرة والارتباك بسبب تفاجؤها من التحولات السريعة في القوى الاقتصادية والسياسية الامر الذي جعل مواقفها مهتزه فباتت مواقفهم غير واضحة ومتردده غير قادرة على اتخاذ القرار والموقف الواضح تجاهها. اي لا تعلم هل تُقدم على التراجع ام التبني لهذه التحولات المتسارعة فبقيت مستقرة وراكدة في مواضعها لا تعلم ماذا تصنع.

ثم الفئة الثالثة: المتمردة التي ترفض مسايرة التحولات ومواكبتها لعدم إيمانها بها او لأنها ضد مصالحها الذاتية أو تسبب خسارة مادية او معنوية او الاثنتين معاً فوقفت موقف السلبي والناقد لها.

أخيراً **الفئة الهاربة** من هذه التحولات. وهي التي ذهبت الى مجتمعات اخرى غير عربية(الهجرة الطوعية) لتعيش فيها بعيداً عمل حصل من تحولات في المجتمع وذلك لعدم قدرتها على مشاهدة ما طرأ على مجتمعها وما اصابها من آثار تحوّليه عليها وهي غير راغبة في ان تتحول مع ما تم تحوله آملةً ان تجد الامن والاستقرار فيها أو ماهو أفضل مما تحول في مجتمعها .هذه جملة مشكلات اجتماعية افرزها التغير الاجتماعي الذي طرأ على المجتمع العربي المعاصر. ثمة مشكلة اخرى اعدها إحدى افرازات التغيرات العربية وهي ان قدرة الفرد على طيّ

الماضي القريب وما يتضمن من ذكريات جميلة وحلوة تجعل منه غير قادر على رؤية الحاضر بعين صافية وواسعة كما هو بشكله الطبيعي . هذا النقص المقدري لا يجعله سعيداً في وضعه النفسي بل تعيساً ومتكدراً. لذا يتوجب عليه ان يترك التفكير فيما مضى ويوظف طاقته الفكرية في التأمل والتفكير في الحاضر وان يعيش معه ويتفاعل ايجابياً وليس سلبياً (اي لا ينسحب منه) لانه اذا تم ذلك فسوف يرجع تفكيره الى الماضي ويتفاعل معه ايجابياً (بدافع تفاعله السلبي مع الحاضر) ثم إن إعاقه قدرة الفرد في التعايش مع الحاضر قد يرجع الى عدة متغيرات وابرزها هي :

١-تسارع الاحداث المتطورة والتحولات الاقتصادية والثقافية بسرعة فائقة وخلال فترة زمنية قصيرة.

٢- تعلق الفرد بحلاوة الماضي.

٣- المجهوليه المتعلقة بالاحداث المتطورة والمستحدثة.

٤- خوف الفرد من هذه المجهولية والارتياب من الخوض فيها.

٥- كثرة المصدات والعقبات التي تتضمنها الحالات المستجدة.

٦- مقارنة وضعه في الماضي المعلوم والحاضر المضبب في نظره.

٧- التعاكس مع المصالح الذاتية.

جميع ذلك يجعل من هذا الفرد متشائماً ومتكدراً وهذه مشكلة اجتماعية نفسية خلفتها التحولات الاقتصادية والسياسية التي حدثت في المجتمع العربي، لكن المعاصر نجده لا يعيش هذه الحالة بل يتجاوزها بسهولة ويسر لانه لا يلزم نفسه بالتفكير في الماضي بل يصب تفكيره وتأمله في الاحداث القائمة والمرتقبة فنجده متوثباً ومتهيئاً للاحداث أو يخلق احداثاً تتناسب مع تطلعاته وتأملاته القريبة المدى وهذا يتم بسبب جرأته واقدامه على كل شيء جديد وعدم اغراق تفكيره فيما قام به في الماضي بشكل مستمر كما يفعل المتكدر والمتيئس.

لا أريد ان اترك هذا الطرح (التغير الاجتماعي والمشكلات الاجتماعية التي يفرزها او يفرّخها) ما لم اوضح بعضاً منها وهي:

١-ضحايا وقرابين

لما كان التغير الاجتماعي سنّة الحياة ،فان ذلك يعني أنه لا توجد مجتمعات لا تتغير اولاً تخضع له ،بل جميعها قابله للتطور والنمو إنما الاختلاف في درجة قابليتها للتغير والى العوامل المعيقة لها وللمتغيرات المساعدة على تغيرها.

لا عصابة دكناء على الافهام تحجب حقيقة كل تغير تقع يخسر المجتمع بعضاً من عناصره البشرية ،أستطيع تصنيفهم بشكل رئيس الى نوعين هما «القرابين» الذي يدعمون حركة التغير ويدعون اليه فيخسروا بعض الشيء مقابل توقعهم في الحصول على أشياء تعويضيه مراده . إنها (القرابين) قمة التضحية التامة والكاملة في سبيل هدف سام بالنسبة للفرد الذي يقدّم روحه قرباناً لقيمة اجتماعية يتمسك بها أو فكرة أوعقيدة أو طائفة دينية أو مذهب ديني ولا يقبل سواه أو بديلاً له فيذهب فداءً له او في سبيله (طواعية) مثال على ذلك الفدائي في سبيل الله او العقيدة او الوطن أو المنتحر في سبيل الحب (حب شريك الحياة اوالحبيب) فالقربان يعني قبول الانسان ان يفنى ولا يتخلى عن معتنق فكري او يتحلل من التزام قيمي او ينفصل نفسياً عن انسان متعلق به روحياً (الحبيب او الحبيبة) إنها ثمن عدم الانفصال أو ثمن الرفض للتنازل عن أو الخروج من اي أنه يفني جسده لكي يعّبر عن وجوده الاجتماعي ولا تحصل الا في اوقات الازمات السياسية أو الاجتماعية او الاقتصادية او النفسية .النوع الثاني هو « الضحايا» وهم الافراد المتمسكون بما هو قائم وسائد ومتعودون عليه ومتعلّقون به وليس من صالحهم النفعي ان يتحولوا الى حالة جديدة او التكيف لشيء جديد والتمسك به (إلا إذا إضطروا الى ذلك أو أجبروا عليه) لذلك يلجأون الى الدفاع عن مصالحهم الذاتية من خلال ماهو قائم وسائد لدرجة انهم قد يخسرون مواقعهم الاجتماعية او يفقدون ادوارهم او

احوالهم او اعتبارهم او انفسهم (جسدياً) في سبيل المحافظة على ما تعودوا عليه أو الفوه وهنا يذهبون ضحايا لعدم تقبلهم للتغير ومواكبتهم له هذه الخسارة البشرية (مشكلة اجتماعية) تحصل لأغلب حالات التغير الاجتماعي الذي يحصل فجأة او يقع لقطاع كبير من المجتمع عن طريق الثورات السياسية والانقلابات العسكرية والانتفاضات الشعبية والكساد الاقتصادي والحروب الاهلية.

انها ضريبة بشرية يدفعها المجتمع عندما يبدأ في عملية التغير الاجتماعي على الا ننسى هناك نماذج اخرى من الافراد ممن لا يكونون من ضحايا التغير أو من قرابينه لانهم لا يتماثلون مع تطورات مجتمعهم مهما بلغت بسبب انسحابهم منه او تمردهم عليه . أو من الذين لا يعيرون أهمية للتغير بسبب عدم تضرر مصالحهم الشخصية فلا يكونون من القرابين او الضحايا. زبدة القول يكون دعاة التغير والمؤيدون له من القرابين ومن الذين ضدهْ (ضد التغير) من الضحايا.

٢- اموات على قيد الحياة واحياء في ذمة الخلود .

النوع الاول يستذكرون من خلال اعمالهم وأفعالهم الخلاقة او الرائدة او المبدعة او التي تقدم اضافة ايجابية (فكرية او نقدية او تقويميه) جديدة لما هوْ قائم من أفكار وأعمال وأقوال حتى بعد وفاتهم بسنين (امثال ابن خلدون والجاحظ وأبي حيان التوحيدي).

بذات الوقت يعني الافعال اوالافكار الشاذة اوالمتطرفة او ضد الطبيعة البشرية كالجرائم السلوكية الحادة او الشاذة او القيادة الاجتماعية التي تخدم ذاتها وموقعها وسلطتها وليس خدمة المجتمع وانمائه او ترفيهه .يستذكرون ايضاً كنموذج سيء على افعالهم واقوالهم كالمجرمين الخطرين وقادة المجتمع السفاحين والطغاة أمثال (أبي العباس السفاح وهتلر وموسيليني وفرانكو) هذا النموذج من الافراد يمثل مشكلات اجتماعية سادت ثم بادت.

اما النوع الثاني (الاحياء في ذمة الخلود) فإنه يشير الى الافراد الذين يحيون حياة الدواب أو قطيع من الغنم يأكلون او يشربون ليومهم لكن لا وجود لهم ولا فاعلية لهم في الحياة الاجتماعية لا يغيرّون أو يتغيرون بل يساقون سوقاً نحو الحياة لا طموح لهم ولا يقدمون افعالاً أو افكاراً جديدة لهم أو لغيرهم او خلاقة مبدعه لانماء حياتهم (اي يعيشون ليومهم) لا يفعلون ولا ينفعلون بالحياة الاجتماعية النابضة بالحيوية . انهم موتى اجتماعياً إنما إحياء جسدياً يتحركون مكانياً لا يعكسون روح العصر المتطوره يمثلون السبات الاجتماعي القاتل ، يكرهون التجديد ،يعشقون المسكون الخانق، يحلمون في الماضي السحيق ،ينامون في واقع يستدعي اليقظة والانتباه والتحرك والتوثب نحو مرحلة متجددة ومتبدلة. انهم افراز معضلة اجتماعية سببها تعسف النسق المحوري في البناء الاجتماعي (كأن يكون النسق القرابي لأسرة حاكمة او طاغية او عسكري او قبيلة متسيدة او حزب واحد حاكم او طائفه دينية متسلطة) فهي اكبر من مشكلة وحلها عسير لانها تتطلب ازالة النسق المحوري واستبداله او تغيره للصالح العام لا الخاص.

٣- اللّوبان الاجتماعي:

الذي يشير الى الحيوية الفكرية والفعلية (السلوكية) التي تدور في حلقه مفرغة او في محيط اجتماعي ضيق تبحث عن مخرج لها لكي تحيا حياةً جديدة تعّبر عن حيويتها ونشاطها المتدفق وقدراتها التي كُبحت أو طوّقت ثم أُسرت بحوائل مانعة (قيمياً اوعقائدياً) او التي قمعت قسراً بقوانين متعاكسة مع الطبيعة البشرية من أجل كسرها وقهرها واخناعها وترويضها لخدمة الجماعة المتسلطة والمتكبرة والمتجبرة.

هذه الحالة تعيش بين الموت والحياة لا تريد ان تموت ترفض الافناء ،تضحي بالكثير لتحقق ذاتها الحية وتعيش من جديد في مناخ متجدد ومحيط متطور. لذا تكون متقلبة بين الركود والوثوب ، بين الحركة والسكون ،بين الاستقرار المؤقت

والحركة المفاجئة بين القفز الى الاعلى والارتطام بالواقع الجامد. لذا فإنها تخسر الكثير لتنعش نبضات فعلها لتبقيه حياً على قيد الحياة .خير مثال على هذه الحالة وضع المجتمع العربي في الوقت الراهن.

٤- الرهاب الاجتماعي :

تظهر هذه المشكلة في المجتمعات غير الديمقراطية او ذات البناء المتصلب ذات الحزب الواحد الحاكم او الرجل الاوحد او الاسره الحاكمة او الطائفة الدينية الحاكمة التي يكون فيها الفرد من غير ابناء او المؤيدين للفئة الحاكمة ،مرصوداً في سلوكه وتفكيره وحديثه وعلاقاته مع الآخرين ،فإذا بدا منه أي شيء ضد هذه الفئة فإنه يعاقب أشد عقاب (هذا في احسن الاحوال) مع باقي افراد اسرته ،لذا يكون الفرد هنا مهزوماً داخلياً خائفاً ممن حوله يشك بهم على أنهم وكلاء للاجهزة الامنية الحكومية وعليه ان يبدي ولاءه لهذه الاجهزة وللنظام ورموزه ،وعلى مر الزمن يبدأ الفرد في هذه المجتمعات يعاني من خوف دائم في مواجهته للاخرين التي بدورها (هذه المعاناة) تتحول الى شعور قمعي داخلي يردع تفكيره الحر وموضوعيته الحقه وصراحته الطبيعية وتحت هذا الشعور الخانق يبدأ هذا الفرد العيش في حالة رهاب اجتماعي. فيفضل الانعزال التام عن المجتمع كما يشعر بالاكتئاب الشديد احياناً.

٥- المرآة المهشمة :

عندما يأخذ الفرد باراء واحكام ورؤى الاخرين المحيطين به من اصدقاء وزملاء ورموز مهمة في حياته الشخصية والعملية والفكرية ،فان ذلك يشكل عنده مرجعاً ذاتياً يتفاعل معه عند اتخاذ قرار او فعل سلوكي معين. لكن عندما يشعر الفرد ان الاخرين المحيطين به لا قيمة لهم عنده وان الناس الذين حوله لا يخرجون عن كونهم ذئاباً مفترسة تحاول ايذاءه وتجريحه. أو أن المادة (المال) هي التي تتحكم في اراء ورؤى واحكام الاخرين عندئذ نجده لا يأخذ بها ويحتقرها ويأسف

أو اذا كان الآخرون من الانتهازيين والوصوليين واصحاب مصالح مؤقتة معه. عندها يشعر بندم واسف لما هو عليه فلا يرجع الى احكامهم أو يأخذ بها ويعتمدها في رؤية ذاته النفسية والسلوكية والفكرية.

هذه الاشكالية الاجتماعية تتعارض مع ما جاء به جارلس هرتن كولي (عالم اجتماع امريكي قديم) صاحب نظرية الانسان في المرآة التي عنى بها ان الانسان يرى ذاته في احكام واراء الاخرين المحيطين به التي شبهها كالمرآة التي يشاهد الفرد صورته فيها.

وما اردت طرحه هنا هو ان المرآة لا تكون صافية دائماً إذ احياناً تكون مهشمة لا يستطيع الفرد ان يشاهد صورته فيها لعدم استكمالها لكل اجزاء صورة الفرد الواقف امامها لذلك لا يستطيع رؤية صورته الحقيقة عليها ولا ترتسم ملامحه عليها .إنها إحدى افرازات التغير الاجتماعي السريع .

٦- الصراع الخفي والطبيعي :

سببه تباين او تعارض معايير الجماعات المتعددة التي ينتمي اليها الانسان المعاصر لحاجته لها في اشباع حاجاته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والدينية التي بواسطتها يكتسب روح عصره المتمدن المتصف بالتنوع والتباين والتعارض في الاهداف والمعايير والقيم. وبحكم انتمائه الى هذه الجماعات (شركات ،نقابة ،شلل صداقية ،نادي رياضي ، نادي اجتماعي، حزب سياسي، مجتمع محلي، جماعة عمل، تجمع ثقافي، جماعة فنية) يكتسب معايير كل الجماعات التي لا تكون واحدة عندها بل متباينة حسب اختصاصها وعملها وشروطها ومستلزماتها ،تبلور عنده التزامات عديدة ومتنوعة ومتباينة تنعكس على سلوكه اليومي مسببة له تناقضاً في فعله المنظم . أي يكون غير متناسق في بعض الاحيان وليس في اغلبه . واذا استمر عدم التنسيق هذا فسوف يوّلد صراعاً في فعله الاجتماعي الذي يصبح (الصراع) حالة طبيعية تفرزها روح الحياة

العصرية المتصفة بالتبدلات الاجتماعية السريعة .فالابتعاد عن الاسرة بسبب العمل اليومي يمسي حالة طبيعية بعد ما كانت شاذة .وممارسة سلوكية مهنية تتعارض مع المعايير الاسرية او الدينية او الثقافية تضحى حالة مألوفة بعد ما كانت غير مألوفة. وتقبّل السلوكية الغريبة يغدو امراً حضارياً بعدما كان مرفوضاً وعمل المرأة في أعمال لم تألفها سابقاً صار مقبولاً واشتغال الصبية في الورش الصناعية اثناء العطل الصيفية امسى ضرورياً بعد ما كان متعارضاً والانجاب بدون زواج أضحى وارداً على الرغم من تعارضه مع القيم الدينية ، والمعاشرة الجنسية المثلية باتت مستساغة بعدما كانت مرفوضة قيمياً ودينياً، وبيع بعض اعضاء جسد الانسان وهو على قيد الحياة اضحى رائجاً بعد ما كان ممنوعاً ومحرماً .واخيراً بات تعقيم الرجال جنسياً مقبولاً بعدما كان مستهجناً .جميع ذلك أعدّها مشكلات اجتماعية قريبة المدى منتشرة داخل المجتمع المعاصر.

٧- غريب في عالم راكد:

عندما يعيش الفرد في مجتمع محافظ تقاليدي لا يتقبل التغيرات الاجتماعية الا بوساطة اقحام قسري او من خلال صدمة ثقافية لا يشعر الفرد فيها بوجود تغيرات سلوكية وفكرية في الحياة اليومية بل يتفاعل مع مفردات الحياة اليومية الرتيبة بكسل وبحيوية ضعيفة جداً، وعندما يريد الفرد ان يعيش في حيوية متدفقة ويفكر بدقة وعمق ويرغب في تبديل رتابة حياته اليومية لكي ينمّي طاقاته الفكرية والسلوكية هذه الحالة في الواقع تفرّخ مشكلة اجتماعية لدى الفرد اسمها الاغتراب الذاتي مفادها انه يشعر بانه غريب عن العالم الذي يعيش فيه.

٨- غريب في عالم متغير:

عندما يعيش الفرد في عالم تتوغل اليه التطورات السريعة في مفردات الحياة اليومية من انتقال الافراد والجماعات من مكان الى آخر وتحدث تغيرات جديدة آتية من المحيط الخارجي ولا يريد ان يتغير او غير قادر على مواكبة التطورات

والتغيرات الحاصلة في الظواهر الاجتماعية وحدوث مشكلات اجتماعية متعددة ومتنوعة ،فان هذه الحالة تفرّخ مشكلة اجتماعية للفرد مفادها ادراكه بالغربة عن عالمه المتبدل الذي يعيش فيه وغير قادر على مواكبة ومسايرة اوالتكيف لهذه التغيرات السريعة.

لا جناح من هذا الطرح الغريب عما هو مألوف في دراسة المشكلات الاجتماعية اذ ان التغيرات الاجتماعية تفرز وتفرّخ مشكلات جديدة ليس لها مثيل عما تفرزه التغيرات الاجتماعية التي تحصل بين فترة واخرى. اقصد ان كل فترة زمنية يحصل فيها تغير اجتماعي تطرأ مشكلات جديدة تختلف عن التي ظهرت في مرحلة زمنية سابقة وهذا لا يعني بأنني انكر حصول المشكلات الصادرة عن مخالفة المعايير والقيم الاجتماعية او التي تصدر عن خرق القوانين الرسمية والوضعية كالجرائم والانحراف السلوكي انما اردت ان اسلط الضياء على ما هو مفرز عندنا في المجتمع العربي من مشكلات اجتماعية ذات طابع نفسي انما منشؤها اجتماعي سببها التغير الاقتصادي والركود السياسي المتعارضان والمتعاكسان في الاتجاه والقوة لاني ارى ان المشكلات الاجتماعية لا تصدر فقط عن التغير الاقتصادي والسياسي بل من ركود احدهما مثل الكساد الاقتصادي أو السكون السياسي الثابت هذه الحالة المتعارضة مع سنّة الحياة الاجتماعية افرزت المشكلات الاجتماعية – النفسية الثماني التي اشرت اليها انفاً .

وتتحول المشكلات الاجتماعية الى معضلات اجتماعية اذا حصل ركود في الانشطة السياسية والاقتصادية عندئذ تتعسّر معالجة المشكلات الاجتماعية الناجمة عن هذا الركود المزدوج.

مثل : ١– بطالة المتعلمين : اذ يوجد في الوطن العربي ملايين من العاطلين عن العمل من خريجي المعاهد والكليات والجامعات وحتى من حملة الشهادات العليا (ماجستير ودكتوراه) .هذه المشكلة احدثها الركود الاقتصادي.

٢–تدجين الكتّاب : هذه المشكلة افرزها تكلس النظام السياسي في الوطن العربي الذي بات محتكراً على مجموعة صغيرة متسلطة بشكل مستديم على كراسي الحكم والسلطة لغاية موتها .فألزمت العديد من المفكرين والكتاب بان يجيروا معلوماتهم وافكارهم ويسخروها لصالح الفئة الحاكمة ورموزها واعتبار هذا الصالح هو الصالح الوطني والقومي. هذه مشكلة ثقافية اجتماعية تعمل على تقنين الثقافة وعدم التنوع الفكري الذي يشكل معين كل ثقافة اجتماعية.

٣– خمرنة الجماهير الصغيرة: هذه المشكلة افرزها ايضاً تكلس النظام السياسي، التي توضح الهاء الاطفال والتلاميذ والطلبه والفلاحين والعمال والموظفين بمهرجانات واحتفالات جماهيرية صاخبة ومناسبات مفتعلة ومسيرات لا حصر ولاعد لها لاشغالهم بها والهائهم بنشاط غير مجدٍ وابعادهم عن بناء الشخصية المتنوعة الميول والسمات بذات الوقت لاستخدامهم واجهة اعلامية مضللة .انها حالة انتشائية تشبه السكران او المخمور الذي لا يحس بما يدور حوله من مشاكل. انها مشكلة اجتماعية موجودة في مجتمعنا العربي.

٤– الهجرة الجماعية الطوعية :مشكلة اجتماعية افرزها تكلّس وتعسف النظام السياسي بحيث ادى الى هجرة المثقفين والاطباء والمهندسين والتجار واصحاب الصنائع الماهرة الى خارج الوطن العربي (الغربي) ليعيشوا عيشة كريمة وآمنة يشعرون فيها – على الاقل– بانهم من البشر، لهم حقوق مثل ما عليهم واجبات . هذه المشكلة تمثل قرحة اجتماعية تأكل في احشاء الجسد العربي (ان جاز التعبير والتشبيه).

بات واضحاً الآن ان المشكلات الاجتماعية لا تظهر ولا تفرّخ فقط بمجرد معارضتها او اختراقها أو كسرها أو مخالفتها لمعايير وقيم المجتمع السائدة فيه بل من الحالات الاتية.

١– التغير الاجتماعي (ضحايا وقرابين).

٢-الكساد الاقتصادي (البطالة،الفقر، التسول، الاضطرابات ،التظاهرات،التفاوت،الطبقي).

٣-تكلس النظام السياسي(الهجرة الجماعية الطوعية ،مشكلة حقوق الانسان ،الرهاب الاجتماعي ،التهريب،الرشوة ،الفساد الاداري، الواسطة).

٤- تزمت النظام التربوي (هروب التلاميذ والطلبة من المدرسة او تركها كلياً).

٥- الكوارث الطبيعية (الزلازل، التصحر، الفيضانات،ثوران البراكين،الاعاصير).

هذا يعني انها قائمة وسائدة ومنتشرة في كل فترة زمنية يعيشها المجتمع انما تتسع في المجتمعات ذات الكساد الاقتصادي وتكلس النظام السياسي وتزمت النظام التربوي والكوارث الطبيعية ، وتزداد بشكل مطرد في المجتمع المتسم بالتغيرات التقنية الصناعية والاقتصادية والسياسية السريعة الحدوث .

هذا من جانب ومن جانب آخر فان ظهور المشكلات الاجتماعية يصاحبها امراض صحية متنوعة وعديدة مثل الامراض النفسية (الاكتئاب والقلق والتوتر والرهاب والجلطة القلبية والدماغية والقرحات بانواعها والانهيارات العصبية) بسبب عدم تقبل بعض الناس للتغيرات بسهولة او بتدّرج الامر الذي يعرقل او يمنع تكيفهم للتطورات الجديدة أو بسبب ركود مناشط الحياة اليومية فتسبب عندهم الرؤية التشاؤمية او اللغط او القرف أوعدم حيوية النشاط الذهني اواللجوء الى الرؤى الغيبية والماورائية لتخدير ذواتهم وهم على دراية وعلم بهذا الهروب المؤقت والمسكّن (اي تخدير روحي ذاتي).

١-هـ- القاعدة الثقافية للمشكلات الاجتماعية

تكشف المشكلات الاجتماعية (بغض النظر عن نوع المجتمع الذي تظهر فيه) عن إتجاهها المضاد لمعايير وقيم المجتمع، وسأذكر ابرز مكونات هذه القاعدة وهي:

١-التفسير الغيبي: الذي يعبر عن الجذور الشريرة (غير الطيبة) للسلوك المضاد لمعايير وقيم المجتمع اذ يقول الناس عن العمل الطيب بانه صادر من جذور طيبة وعند الفعل المضاد لمعايير وقيم المجتمع بانه صادر عن جذور شريرة ،اي الفعل الجرمي صادر عن اشرار المجتمع او جماعة شيطانية .

٢- الوظيفة الاجتماعية للقيمة الاجتماعية :مثال على ذلك يرى المجتمع الامريكي ان تناول الكحول على مائدة الطعام يحمل في طياته نتائج تعزز روابط الصداقة بين المتناولين لذا نجدهم يشربون الكوكتيل قبل تناول الطعام كمقبل ومفتح للشهية وكتعبير عن المودة والالفة بين الموجود حول مائدة الطعام. في حين لا يتضمن تناول الكحول في المجتمع الاسلامي هذه الوظيفة الاجتماعية بل يرفضها لان الخمرة محرمة دينياً.

٣- إفرازات التغير الاجتماعي: مثل التمدن والتحضر اللذين يجلبان قيماً ثقافية مختلفة تماماً عما تفرزه الحياة الراكدة .فالنمو السكاني داخل المدينة يجلب معدلاً عالياً من الانحراف والجريمة والاضطراب الاسري وتضارب أدوار ومواقع الافراد والتفرد المعاش كمنط مديني هذا ناهيك عن تعطيل بعض الوظائف الاجتماعية لبعض الانساق الاجتماعية (كالمؤسسات والتنظيمات والقيم الاجتماعية) فضلاً عن التمييز العرقي والعنصري الذي يتحكم في علاقات المجتمع المديني، اضافة الى سخط واستياء الناس داخل العمل من بعض المؤسسات اللاقانونية مثل الرشوة والفساد الاداري والواسطة وتبدل مفاهيم الشرف والعفة والعلاقة الزوجية داخل الاسرة ....جميع ذلك يمثل افرازات التغير الاجتماعي.

في الواقع هذه الافرازات يقرها الفلاسفة والمصلحون الاجتماعيون والمفكرون ويطالبون باستئصالها من رحم المجتمع لاصلاحه وتنقيته من تلوثاته الاجتماعية والثقافية امثال لينين وستالين وهتلر وماركس وماو وارسطو وافلاطون وسانت اوغسطين وروسو ومونتسكيو.

٤- الجانب الذاتي للمشكلة : لكل مشكلة جانب ذاتي بسبب ممارستها من قبل الافراد وبرغبة منهم . مثال على ذلك تدخين عقار المارجوانا (مخدّر) يُعد سلوكاً منحرفاً يساعد على تشجيع الاخرين من المدخنين للسكاير بالاستمرار على التدخين لانه لا يعد انحرافاً ولا يعد المدخنون للسكاير انفسهم ان تدخينهم يمثل حالة مرضية بل عادية وغير منحرفه لان هناك من هم أسوأ منهم واخطر منهم (وهم مدخنون المرجوانا) اي اذا كانت هناك رغبة ذاتية في ممارسة سلوك يعده الفرد سلوكاً عادياً وطبيعياً فان ذلك السلوك لا يعطي ركناً من اركان القاعدة الثقافية للمشكلة الاجتماعية لكن اذا كان هناك نفور ذاتي من ممارسة سلوك معين وتم اختراقه من قبل البعض فان ذلك يمثل او يشكل مشكلة اجتماعية.

٥- قيم الاغلبية : ليس المقصود بقيم الاغلبية حجماً اوعدداً بل قيم سادة او علّية او سراة القوم التي تطغي على بقية الفئات والاقليات الاجتماعية التي تعيش معها في نفس المجتمع. في هذه الخصوص يقول رايت ملز (عالم اجتماع امريكي حديث) «ان معايير البروتستانت الانجلو سكسونيا هي التي تتحكم بمعايير المجتمع الامريكي وتعدها هي السوية والصائبة والصحيحة وذات قيمة اعلى من معايير الايرلنديين والايطاليين والبولنديين والزنوج والصينيين والكاثوليك واليهود كأقليات في المجتمع الامريكي»(٧).

زبدة القول : تكون معايير الانجلو سكسونيين البيض هي التي تحدد ما هو سوي وغير سوي ،مرضي وغير مرضي ،اخلاقي وغير اخلاقي.اي معايير سراة القوم تكون بمثابة محكات او مساطر يقاس من خلالها معايير التجمعات الاجتماعية الاخرى التي تعيش معها. وهذا يعني ايضاً انه ليس دائماً يستخدم العامل الانساني في تفسير وتوضيح وتحديد المشكلة الاجتماعية بل هناك متغيرات تاريخية او حجم الاقلية والاغلبية.

(١-و) أفكار خاطئة ومغالطات حول المشكلات الاجتماعية

ليس جميع افراد المجتمع يمتلكون نفس الدراية والمعرفة عن المشكلة الاجتماعية السائدة في المجتمع، بل تتباين حسب قربهم وبعدهم منها، وعلى نوع العلاقة بينهم. مثال على ذلك: قبل جيل من الزمن لاحظ بيترم سروكن (عالم اجتماع من اصل روسي وعاش بعدئذٍ في الولايات المتحدة) ما يلي: كلما زاد البعد الاجتماعي بين ضحايا الكارثة والاخرين، قلت دوافع (الاخرين) في إدراكهم ودرايتهم بالكارثة -كمشكلة- وقل تعاطفهم مع ضحاياها. مثال على ذلك: ذهب ملايين من البشر ضحايا المجاعة في الهند والصين بيد أن تعاطف الاميركان مع هؤلاء الضحايا كان اقل بكثير من تعاطفهم مع الكوارث التي حدثت ضمن حدود الولايات المتحدة الامريكية.

فضلاً عن ذلك فإن جميع المشاكل الاجتماعية يتم ادراكها بدرجة اقل اهمية عند البعداء اجتماعياً. اي يدرك الفرد مشكلة اجتماعية معينة ويتعرف عليها وعلى أبعادها اذا كان متلصقاً بها والعكس صحيح. اي اذا كان بعيداً عنها (جغرافياً واجتماعياً) فإن معرفته بها تكون قليلة ولا يعير لها اهمية (مثال شعبي البعيد عن العين بعيد عن القلب، الجوعان غير الشبعان، الذي يده في الماء غير الذي يده في النار) هذا ناهيك عن أن اهتمام الناس بالمتاعب الذاتية للافراد يكون اكثر من اهتمامهم بالشؤون العامة للمجتمع. على الا ننسى ان ادراك الناس للمشكلات الاجتماعية يزداد اذا كانت (المشكلات) تمثل حالات مستعصية وذات صيت واسع ويركز عليها الناس اهتمامهم مثل الامراض السارية والمزمنة أو السلوك الجمعي مثل الاعتصام والتظاهرات والمسيرات والحصار الاقتصادي.

لا شك في ان معظم الناس لديهم معدل محدود من الدراية والمعرفة حول المشكلات الاجتماعية وغالباً لا تكون منتظمة واحياناً تمسي متناقضة ومرات تغدو غير صحيحة، والذي يستمع الى المغالطات الواسعة المتعلقة بالمشكلات الاجتماعية يكتشف ان معظم معرفة الناس حولها سطحية غير متعمقة، الامر الذي يتطلب عدم الوثوق بها.

سأطرح ما جاء به كل من بول هورتنغ وجيرالد ليسلي حول هذه المغالطات:

١- ماهو متفق عليه بين بعض الناس على انه يمثل مشكلاً لا يكون هكذا مع جميعهم.

اذ يتفق معظم الناس على أن الفقر والبطالة وازمة السكن تمثل مشكلات اجتماعية ،لكن البعض الاخر لايراها هكذا بل يجد لها مردوداً حسناً للانسان لانها تساعده على ادراك حالة البؤس الانساني فالاغنياء يرون ان الفقر ضروري للمجتمع لانه يجعل مالكي المال والثروة في اعلى السلم الاجتماعي ويرى البعض الاخر ان وجود العاطلين عن العمل ضروري للعاملين لكي يزيدوا من اندفاعهم للعمل وحرصهم عليه واخلاصهم فيه. وهناك من يرى المشكلة العرقية بين السود والبيض تمثل مشكلة اجتماعية بينما لايراها البعض الاخر هكذا لانها تضع الاعراق في المكانات التي تليق بها.

٢- المشكلات الاجتماعية ماهي سوى حالات طبيعية محتومة يتعذر اجتنابها.

في الواقع لا توجد هناك مشكلة محتومة ومتعذر اجتنابها انما هناك ظروف معينة تعمل على انتاج او طرح أو افراز ناتج لا محال لا يمكن اجتنابه او منع وقوعه. اي ان المشكلة ناتجه عن القانون الطبيعي ويمتلك الحتمية الاكيدة.

٣-المشكلات الاجتماعية ماهي سوى حالة غير سوية :

ينظر احياناً الى المشكلة الاجتماعية – من قبل بعض علماء الاجتماع – على انها كسر للنظام الاجتماعي او اختراق أو انحراف عن السلوك الاجتماعي السوي السائد بين الناس. هذا التحديد او الرؤية تنطبق على بعض المشكلات مثل الادمان على المخدرات او بعض الجرائم .لكن في الواقع ان المشكلة تظهر من السلوك السوي وليس عن اختراق القوانين أو الخطأ. مثال على ذلك : يكون تلوث البيئة داخل المدن ناتجاً عن الاختراعات التقنية واساءة تصرف الناس في رمي النفايات والكثافة السكانية داخل المدينة.

مثال آخر: يساهم السلوك السوي في طرح العديد من المشكلات الاجتماعية التي يقوم بها الناس من غير المهذبين والمنحرفين وغير الاسوياء. فالمنافسة بين الناس وطموحاتهم تجعل بعضهم ينحرف عن السلوك السوي اذ تظهر عندهم حالات القلق والخيبة والاحباط والفشل .

مثال ثالث: موسيقى وغناء الخنافس التي سادت المجتمع البريطاني والغربي في الستينات والسبعينات من هذا القرن كفن من فنون الثقافة الشعبية الا انه أفرز ضرباً من ضروب السلوك المنحرف اجتماعياً وقانونياً في تلك المجتمعات وهي استخدام عشاق هذا الفن للمخدرات كالمرجوانا اثناء سماعهم هذا اللون الموسيقي والغنائي.

٤- تتسبب المشكلة الاجتماعية من قبل الاشرار والسيئين من الناس .

هذه اوسع مغالطة على الاطلاق، اذ احياناً يحلل بعض الناس المشكلات الاجتماعية تحت مضمون الثنائية المتبادلة او المتقابلة مثل جيد وسيء او مقارنة الاشرار مع الاخيار. في الواقع تصدر معظم المشكلات عن الناس الاخيار وبالذات عند الذين يتمتعون بعقلية تجارية اكثر من الاشرار. مثال على ذلك : ينتقل بعض الناس من وسط المدينة الى ضواحيها ليعيشوا فيها ابتعاداً عن مناطق الفقراء والموبوءه بالجريمة ،ويعزز البعض الاخر هذا الانتقال بشراء منازل في حي خاص اواقلية اجتماعية – ثقافية معينة .هذا الفعل في الواقع يعزز التعصب العرقي– العنصري لانه يجبر عرقاً معيناً على العيش في منطقة مزدحمة بالسكان تعج بالاسر المفككة التي تساعد على تفريخ مشكلات اجرامية وجنحية وتزداد معدلاتها هناك وهذا بفعل الموسورين والاخيار من الناس اذ انهم افرزوا هذه المشكلات الاجتماعية من خلال تعزيزهم للظروف التي يعيشونها.

انه من السهل ان نقفز الى خلاصة سريعة لنقول بان المشكلة وجدت بسبب ان بعض الناس ناقصون أو معابون .اذ عندما نجد انساناً عاطلاً عن العمل وهو في

حالة سكر فإن ظرفنا يملي علينا أن نقول بأنه عاطل عن العمل لانه سكران او سكير وليس كونه سكيراً بسبب عطله عن العمل ولأن ظروفنا تهيئ لنا وضعاً او ظرفاً نتقبل شرحاً واحداً ونفشل في شرح الاسباب الاخرى او نهمل او نغفل الاسباب الحقيقية.

٥- تتسبب المشكلات من كثرة الحديث عنها .

ان الحديث عن وجود مشكلة اجتماعية بين الناس كالفقر والبطالة والجريمة أو هروب التلاميذ من المدرسة يعمل على إثارة مشاعرهم وهواجسهم وخيالهم ويوسع حجمها أو يبالغ في خطورتها بحيث تصور وكأنها معضلة مستعصية الحل تعيش في أحشاء المجتمع يفهمها السامع بان المسؤولين في المؤسسات الاصلاحية والعقابية غير قادرين على السيطرة عليها او معالجتها .اذ ان تضخيم المشكل بين العوام يعمل على إقلاقهم وعدم ارتياحهم فيمسي هذا التضخيم مشكلة اكبر من حجمها وآثارها تتعّسر على المصلحين معالجتها بيسر وسهولة .فالحديث عن حالة شغب جماهيري ويتم نقله على شاشة التلفزيون كجزء إعلامي يزيد من إثارة المشاهدين وتحريك وعيهم وزيادة حديثهم عنه ولغطهم حوله انما عدم عرضه يعني تأجيل أو إرجاء تأثيراته السلبية.

٦- أماني الناس :

اذ أن هناك قسماً من الناس لا يرغب في رؤية المشكلة محلولة اما لكون حلها يعود بتأثير سلبي عليهم. أو أن حلها يتعارض مع معاييرهم وقيمهم ،أو تبدو معالجتها مكلفة لهم، كأن يدفعوا ضرائب اضافية او باهظة تمسي ازالتها مؤثرة على نفوذهم وسلطتهم ،لذا فإن بقاءها قائمة -في نظرهؤلاء الناس- داخل المجتمع يعزز نفوذهم ويزيد من تأثيرهم الاجتماعي ويقلل من خسارتهم المادية.

٧- الاعتقاد بأن الزمن سيحل المشكل

هناك من الناس من يعتقد بانه مع تقادم الزمن وتواتر الاحداث وخضوع المجتمع لقانون التغير والتطور، فان المشاكل القائمة تكون في طريقها الى الزوال وهذه رؤية ساذجة وغير واقعية ان لم تكن وهمية.

٨- عندما تصبح المشكلة حقيقية تكون محلولة.

ان معرفة الحقيقة أمر مهم جداً لكن الاهم من ذلك هو معرفة كيف نستطيع تحقيقها بواسطة التعرف على ابعادها وعناصرها .وان الحقيقة يصبح لها معنى فقط، إذا فُسّرت استناداً الى قيم الانسان .وعندما يكون للناس قيم مختلفة فإن وجود الحقيقة لا يستطيع حل عدم اتفاقهم بل إن الحقيقة تساعد الفرد على تحديد قيمتها بدقة اكثر، بيد أن النهايات المشتركة تجعل من الافراد ان تكون وسائلهم مشتركة في حلها وعندما تكون أهدافهم مختلفة فإن اتفاقهم حول الوصول اليها يكون محالاً.

٩- يمكن معالجة المشكلات الاجتماعية بعيداً عن تغير المؤسسات الرسمية.

يعتقد البعض بانه يمكن معالجة المشكلة الاجتماعية دون دفع تكاليف معالجتها -مادياً أو معنوياً- وهذا اعتقاد بعيد عن الواقع لان معالجة اية مشكلة يتطلب تغيراً سريعاً وجاداً في المؤسسات وممارساتها الوظيفية . مثال على ذلك: معالجة الفقر يتطلب تغيراً سريعاً في فلسفة واهداف المؤسسات التربوية والاقتصادية والحكومية تصل في بعض الاحيان الى التغير الكامل .لان وجود المشكلات في المجتمع يعني حالة مؤلمة انما علاجها يخلق مشكلة اخرى تتطلب الحل ايضاً. لذا فانه من الخطأ وعدم الواقعية التوقع من قبل المرء بان المشكلات سوف تحل بسهولة ويسر، ولكون المؤسسات تتغير ببطء فانها لا تستطيع معالجة المشاكل بسرعة بل ببطء ايضاً وهذا يعني اننا لا نستطيع القضاء التام على الفقر والبطالة والجريمة انما يمكننا وضع برنامج متطور لتقليل حجمها وتأثيرها الاجتماعي،بذات الوقت لا يمكن القضاء او اقصاء الامراض العصبية والعقلية من المجتمع انما بامكاننا تطوير وسائل علاجها في المستشفيات المتخصصة بها او معالجتها في القريب العاجل لان معالجتها تأخذ وقتاً طويلاً وان معالجتها تقلل من آلام المصابين بها(٨).

(٩ – ز) رؤى جديدة للمشكلات الاجتماعية

يرى كل من روبرت نسبت وروبرت مرتون منطلقات دقيقة وذكية تمثل صوراً جديدة تعكس مرايا لزوايا اجتماعية لم يشر اليها علماء الاجتماع من قبلهم وهي ما يلي:

١–يبلور البناء الاجتماعي والثقافة الاجتماعية(اللذان يعملان على تنسيق وتنظيم سلوك الافراد وفق معاييرها وقيمها) ميلاً خاصاً نحو السلوك المنحرف والاضطراب الاجتماعي كثمن للتنظيم الاجتماعي الذي تهدف اليه. بعبارة أوضح تتولد المشكلات الاجتماعية من جراء التنظيم الاجتماعي ليس بقصد منها او بهدف تحدده بل كافراز غير مخطط وغير هادف.

٢– في ضوء هذه الرؤية ،او انعكاساً لهذه المرآة الاجتماعية يرفض علماء الاجتماع التفسير القائل بوجود روح شريرة اوعمل شيطاني يبلور المشكلات الاجتماعية وذلك لقناعتهم بان لكل تغير او تطور اجتماعي يحصل داخل المجتمع تحصل افرازات سلبيه يدفع ثمنها بعض الافراد كسعر اجتماعي لهذا التطور والتغير. انها نتائج مدانة غير مرغوب فيها الا أنها مصاحبة للتحولات الجديدة .

٣– غالباً ما تبرز هذه المصاحبات والافرازات الاجتماعية غير السوية (المعلولة اجتماعياً) في حيز الوجود بشكل غير مباشر وتتسع بنفس درجة ظهور التغير التي تأخذ إتجاه التعارض مع الانماط المؤسسية للسلوك الاجتماعي السوي.

٤– وبناءً على ما تقدم فإن دراسة وتفهم الاضطرابات الاجتماعية يتطلب دراسة وتفهم التنظيمات الاجتماعية لانهما من الناحية النظرية متلازمان غيرمنفصلين.

٥–استمراراً لهذا الاستدلال فإنه يمكن القول بان كل بناء اجتماعي يتضمن مشكلات اجتماعية خاصة به تعكس نوعه وحجمه ودرجة تطوره.

٦– حالة متعلقة بالفقرات الخمس السالفة الذكر مفادها ان الافراد الذين لهم ادوار ومواقع بنائية وانتماء طبقي اذا تعرضوا لاهتزازات وزلل اجتماعي فإن

سلوكهم الاجتماعي يتعرض للانحرافات او المخاطر او التجريح او التعريض او النقد بسبب حساسية ادوارهم ومواقعهم البنائية.

٧- اذا تصرف شاغلو المواقع البنائية تصرفاً متناقضاً مع مستلزماتها وشروطها او قاموا بتصرف لا ينسجم او يتناسب معها فإن الآخرين من حولهم (في مواقع العمل او المجتمع المحلي) يوجهون سهام نقدهم لهم ويكثر اللغط الجارح حولهم المفعم بالنميمة والاغتياب على التناقض الحاصل بين تصرفهم الاجتماعي والموقعي.

٨- إن تكافل اقسام (انماط او انساق) البناء الاجتماعي يوّلد مشكلات ناتجه عنه.

٩- مشكلات نسق معين تخلق مشكلات جديدة لنسق آخر مثل مشكلات النسق السياسي توّلد مشاكل للنسق الاقتصادي[٩].

تساوقاً مع طرح نسبت ومرتون في هذا الصدد، ارى العلاقات القرابية في المجتمعات المحافظة والتقاليدية والنامية والمتخلفة توّلد مشكلات اجتماعية تعكس درجة ارتباطها وتضامنها الاجتماعي داخل التنظيم العشائري او المجتمع المحلي مثل الواسطة في التعيينات واختصار الروتين في الاجراءات الرسمية .أقول ان التنظيم التقاليدي (العشيرة او القبيلة) بهدف تأكيده على ترابطه الداخلي نجده يمارس الواسطة في التنظيمات الرسمية .أي يعمل على الاخلال بالاجراءات الرسمية المبنية على الكفاءة والانجاز والاداء. اقول يخلق مشكلة لتنظيم اخر او لنسق اخر.

فضلاً عن ذلك فإن ممارسة القوانين الصارمة داخل المؤسسات الرسمية توّلد انحرافاً عند الذين لا يمتلكون المؤهلات الكاملة او المطلوبة الامر الذي يوّلد سبلاً متحايلة للخروج من ضغوطها اوعدم الامتثال لها أو لاختراقها بسبب فقدانها الجوانب الانسانية او ما يفرضه المحيط الاجتماعي.

مصطلحات الوحدة

Automation	الاتمتة
Bad People	الناس الاشرار
Cankering Social	القرحه الاجتماعية(الاكاله)
Corrigibility	مدى صلاحية القيم الاجتماعية
Cultural Relativity	النسبية الثقافية
Cynicism	شكاك (متشائم بشكل ساخر)
Disorganization	الاضطراب الاجتماعي
Disrepute	انثلام السمعه
Indifference	لامبالاة
Inescapable	محتم لا يمكن الفرار منه او تجاوزه
Latent Soical problems	مشكلات مستترة
Fatalistic Resignation	الاستسلام للقدر
Manifest social problems	مشكلات ظاهرة
Sentimen talism	الافراط العاطفي
Social Standard	المعيارية الاجتماعية
Religions Retribution	جزاء ديني
Violence	العنف

مراجع الوحدة

1-Merton,Robert and Nisbet, Robert (eds.)1971 "Social Problems and Sociological Theory "Contemporary Social Problems" Har court Brace Jovonovich Inc.NewYork .P.794 .

2-John,E.Nordskog and etal (eds.)1956 Analyzing Social problems"Henry Holt and co. Inc.New York .P.P.4-5.

3- Horton,Paul B.,and leslie,Gerald 1970 "The Sociology of Social Problems "Appleton-century crofts NewYork,P.4.

4- Ibid.,P.P.3-15.

5-Case ,clarence Marsh 1956"What is social problems "Analyzing social problems (eds.) John Eric Nordskog and etal Henry Holt and co.Inc.NewYork ,P.8.

6- Merton,R.and Nisbet,R.1971,P.3.

7- Ibid,P.P.4-5.

8-Horton,Paul Band leslie G.1970,P.P.10-12.

9-Merton,R.Nisbet,R.1971,P.14.

الوحدة الثانية
منطلقات علم الاجتماع

(٢ /أ/ ١) منطلق العلة الاجتماعية

(٢ /ب/ ٢) منطلق الوهن التنظيمي (التفكك الاجتماعي)

(٢ /جـ/٣) منطلق الصراع القيمي

(٢ /د/ ٤)منطلق السلوك المنحرف

(٢ /هـ/ ٥) منطلق الوصم الاجتماعي

منطلق نظريات علم الاجتماع

(٢ /و/ ١) منطلق بنائي -وظيفي

(٢ /ز/ ٢) منطلق صراعي

(٢ /ح/٣) منطلق تفاعلي رمزي

حوار ونقاش مع المنطلقات

(٢ /ط) رؤية عامة الناس للمشكلة الاجتماعية

(٢ /ي) رؤى العلوم الانسانية للمشكلة الاجتماعية

(التاريخ ،علم الانسان الثقافي ،علم النفس الاجتماعي)

(٢ /ك) تحديد مفهوم المشكل الاجتماعي

مراجع الوحدة

مراحل منطلقات علم الاجتماع للمشكلة الاجتماعية

إلماعة عاجلة

سأتناول في هذه الوحدة التمهيدية لعلم المشكلات الاجتماعية المراحل التاريخية لرؤية علم الاجتماع لها مبتدئاً من بداية تناوله لها ماراً بنظرياته،ومتعرفاً على رأي عامة الناس بها ومنتهياً بنظرة العلوم الانسانية لها.

بيد أني أجد من المفيد والمجدي الاشارة الى بعض الحقائق الاساسية التي سبقت هذا الميدان المحوري لكي أُسهّل على القارئ ان يدخل فيه ويطلع على مضامينه فتغنيه عن الكثير من الاسئلة التي قد يرغب بطرحها في هذا الباب. منها ان دراسة مشكلات المجتمع لا يعني استهداف الاجتماعيين لجعل المجتمع خالياً منها وايصالها الى الحالة المثالية – النموذجية فيصبح مجتمعاً فاضلاً (يوتوبيا) لأن مثل هذا الاستهداف غير وارد في الحياة الاجتماعية الواقعية بل إن المجتمعات الانسانية بحكم تطورها وتغيرها تحدث فيها اعتلالات واوهان اجتماعية تصيب معاييره وقيمه وانساقه وجماعاته ونظامه وبناءه.

وعلى الرغم من تطور المجتمعات ومعرفة الافراد حقوقهم وواجباتهم وزيادة وعيهم بهويتهم الوطنية والقومية والسياسية ،فان مشكلات المجتمع في تزايد وتفاقم بسبب التغيرات الاجتماعية وما تحدثه من تناقضات في المعايير الاجتماعية وتنافس الافراد حول اكتساب نفوذ أوسع وثروة اكثر من اجل السيطرة على ظروف الحياة المتبدلة ،فتظهر رغائب آفاقه وطموحات واسعة وجشعة في بعض الاحيان.

جميع ذلك بلور اصطراعات اجتماعية ،ويمكن ملاحظة ذلك من خلال ازدياد عدد السجون والاصلاحيات ومستشفيات الامراض العصبية والعقلية والتظاهرات

واندفاع الجماهير نحو المطالب بحقوقهم وازدياد حالات العنف الجماعي والفردي والمنظم.

ثمة حقيقة اخرى اجد من المهم ان أقدمها وهي أن علم الاجتماع الامريكي بدأ تأسيس حقله بدراسة المشكلات الاجتماعية (فضلاً عن باقي الميادين الاخرى) التي أفرزتها الحرب العالمية الثانية وما جلبته من تطورات التصنيع السريعة وعمليات التحضر المتواصلة.

بقي ان أُشير الى أن أول كتاب خاص بالمشكلات الاجتماعية نشر عام ١٩١٠ (أيلوود) بعنوان« المشكلات الاجتماعية».

لا التمس في هذا المقام الرمز أو التلميح بل التوضيح المتجذر في بدايات دراسة المشكلة الاجتماعية من قبل الاجتماعيين الاول (الرواد) اذ لم تُدرس من قبلهم بل من قِبل الجيل الثالث حيث استعمل مصطلح:

(٢-أ - ١) العلّة الاجتماعية:

بشكل واسع ومتكرر متأثرين بالتطوريه (في الولايات المتحدة الامريكية) الدارونية الاحيائية (البايولوجية) مستعينين بها بقصد المشاكلة اوالمشابهة الظاهرية بين المجتمع الانساني وعضو الجسم. أقول إنهم نظروا الى المجتمع الانساني على أنه يشبه العضو الجسمي من حيث تطوره وعلاقته بوظائف اجزاء الجسم الاخرى من حيث حالته الصحية والشكلية وكل حالة لا تشبه التماثل بينهما عدّوها حالة عليّه أو مرضيه لانها لا تمثل الحالة الطبيعية وعدّوها أيضاً حالة غير سوية لانها لا تعّبر عن الاستواء الاجتماعي الاعتيادي.

وفي هذا السياق تعني «العلّية الاجتماعية» الخروج عما هو مألوف في الوضعية السوية والسائدة في التنظيم الاجتماعي.

وفي ضوء ذلك فقد انكب علماء الاجتماع الاميركان الرواد على دراسة حال المهاجرين الفقراء الاتين من أوروبا وآسيا وافريقيا واستوطنوا في المدن ذات النمو الحضري السريع والواسع والحراك الاجتماعي العمودي الحيوي التي لها حياة اجتماعية منفصلة عن المعيشة التقاليدية التي الفوها (المهاجرون) وعاشوها قبل الهجرة مثل القرية والاسرة الممتدة والعلاقات القرابية -الدموية. وكانت هذه المدن (الصناعية والحضرية) تغصّ بالاحياء الفقيرة والجرائم والانحرافات السلوكية والوهن التنظيمي ومعدل عالٍ من الطلاق والانتحار والاصطراعات الاثنية -العرقية .مثل هذه الحالات الاشكالية بحثت ودُرست من قِبل الاجتماعيين فأطلقوا عليها مصطلح (العلل الاجتماعية).

يحسن بنا ان نشير الى أن أحد الاجتماعيين الاميركان من الجيل الثاني وهو رايت ميلز قام بدراسة أصول وقيم العلل الاجتماعية فوجدها غير ممثلة للحالات الحضرية بالدرجة الاساس ، انما كشفت عن نمط الحياة الاجتماعية الريفية وان معظم المهاجرين كانوا من الشباب ومنحدرين من الطبقات الوسطى ومن ابناء الحواضر الاوروبية فضلاً عن كونهم لم يمثلوا الطائفة المسيحية البروتستانتية.

جميع هذه الصفات اتى بها المهاجرون الاوروبيون الى مجتمع الولايات المتحدة الامريكية الى المدن الحضرية الامر الذي ادى الى تفاقم العلل الاجتماعية (عكس نمط العيش الريفي المتصف بالتماسك الاجتماعي والنسق القيمي المنضبط بوسائل ضبطية اجتماعية عرفية اكثر مما هي رسمية تتحكم فيه ضوابط الاسرة الممتدة والقرابة و المجتمع المحلي الصغير). بات اذن من المعلوم ان تحديد استخدام هذا المنطلق في الولايات المتحدة الامريكية بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى والحرب الاهلية في المجتمع الامريكي نتجت عدة مشكلات اجتماعية ومازاد الطين بلة رافقت مرحلة ما بعد الحرب حركة ناشطة في التحضر والتصنيع فجلب الى مدنها العديد من المهاجرين سواء أكانوا من الولايات المتحدة ام من خارجها وكان آنذاك علماء الاجتماع الاميركان الرواد متأثرين بالتقنيات العلمية الميدانية

باحثين عن سبل علمية في دراسة مشاكل مجتمعهم واكساء علمهم الفتي رداء العلوم الصرفة فاستخدموا «العلّة الاجتماعية» تقليداً وليس «إبتكاراً» اوصكاً او نحتاً لمصطلح جديد يتناول مشكلات مجتمعهم، اذ أرادوا تشبيه مجتمعهم ومشكلاته باعضاء جسم الانسان المترابطة عضوياً ووظيفياً لكي يصلوا الى كيفية المحافظة على صحة وتوازن جسم الانسان والمجتمع معاً. فدرسوا ارتباط المؤسسات الاجتماعية وتكافل وظائفها من اجل استقراء البناء الاجتماعي وكيف ومتى تحصل الاعتلالات وتكافل وظائف تلك المؤسسات وما تؤول اليه من آثار على صحة المجتمع وحيويته .هاك مثالاً على ذلك ،لما هاجر الاوروبيون الى امريكا وفشلوا في تحقيق التكيف الاجتماعي للمجتمع المستضيف اعتبر الاجتماعيون الاميركان هذا الاخفاق «علّة اجتماعية» تؤثر على صحة وحيوية مجتمعهم وتصدع معنويتهم وتكدّر آدابهم الاجتماعية بسبب تجاوزات المهاجرين لها. في الواقع كان المنادون بهذا المصطلح يرجعون مصدر المشكلات الاجتماعية للفرد ذاته لانه فشل او رفض الالتزام بضوابط مجتمعه (معايير وقيم اجتماعية) لانهم (اي المنادون بهذا المصطلح) كانوا يهدفون إلى تعزيز النظام الاجتماعي والمحافظة عليه اكثر من دراستهم للمشكلات الاجتماعية وغير مهتمين بالخصوصية الثقافية والانسانية للمهاجرين. وبالوقت ذاته انتقدوا ذات الفرد الداخلية التي جاء بها من مجتمعه وهي متصدعة غير قادرة على التكيف مع الحياة الجديدة لذلك نادوا وأكدوا على تربية هؤلاء المهاجرين من جديد لكي تحل جميع مشكلاتهم.

(٢-ب- ٢) منطلق الوهن التنظيمي (التفكك الاجتماعي)

ظهر هذا المصطلح بديلاً للعلة الاجتماعية دون تغيير اوتعديل في محتوى المفردة وبقيت معبرة عن الحالة غير السوية مثل الطلاق والانفصال الزواجي اللذين يمثلان الوهن الاسري وعدم انتظام العلائق الاسرية المنظمة والمستقرة .اي الخروج عن نمط الحياة الاسرية السوية – الطبيعية السائدة في الاسرة ثم سحبت هذه المفردة الاصطلاحية على كل حالة تخرج من وضعيتها التي تقوم بها بشكل دوري ومستمر.

فالحالة العضوية السوية للعضوية الاجتماعية اذن وصفت على إنها تنظيم اجتماعي، والخروج عنه يعني وهناً تنظيمياً .في الواقع هذا التوصيف يشبه ما قيل عن العلة الاجتماعية .اذ ظهرت هذه التوصيفة في بداية القرن العشرين وهذا يدلل على أن استعمال المفردة الاصطلاحية الجديدة مقترن مع مرحلة تاريخية زمنية وليس مضمونية .من الجدير بذكره في هذا المقام فكرة مفادها إن علماء الاجتماع لا يعدون الجريمة والبغاء من المشكلات الاجتماعية الحديثة اوالمعاصرة بل قديمة قدم الزمن. بيد أن التصنيع والتحضر زادا من حدتهما اذ كانت هاتان الحالتان غير سويتين تحدثان بفترات زمانية متقطعة واحيانية وبشكل فردي لكن الآن اصبحتا تحدثان بشكل متكرر وشائع. فالامراض العصبية والعقلية –على سبيل المثال– كانت موجودة في القرن التاسع عشر وازدادت بشكل كبير بسبب آثار التصنيع والتحضر في القرن العشرين . فالذي حصل اذن هو تغير في استعمال الاجتماعيين للمفردة الدالة على خروج اوانحراف عما هو مألوف في نظر المجتمع فعدّوه حالة غير سوية ، اسماه الجيل الاول من الاجتماعيين بـ(العلة الاجتماعية) واستعمله الجيل الثاني بمفردة جديدة اسمها (الوهن التنظيمي) وبقي استعمال المفردة الثانية الى الثلاثينيات من هذا القرن الى ان أتى شابان من علماء الاجتماع في جامعة ميشكن فاستبدلا المفردة الاخيرة (الوهن التنظيمي) وهما ريتشاد فوللر وريتشارد مايرز[١]. مزيداً من التوضيح ،ظهرت هذه الرؤية بعد تنامي حركة التصنيع بعد

الحرب العالمية الاولى-الامر الذي نشّط من حركة عملية التحضر .كل ذلك ادى الى تبلّر موجات الهجرة الخارجية (من اوروبا الى امريكا) وكان من نتائج هذه الهجرة اخفاق العديد منهم في تكيفهم للحياة الحضرية اذ تجمع المهاجرون الاوروبيون والفلاحون من الجنس الابيض والزنوج جنوب الولايات المتحدة الامريكية في مناطق صغيرة وفقيرة وغالباً ماكانت تواجههم صعوبات في تعلم اللغة الانجليزية واكتساب معايير سلوكية سائدة في الحياة الحضرية والثقافية وبعضهم واجه التمييز العنصري والديني الذي بدوره جعلهم يعيشون مع ابناء جلدتهم الاصليين، والبعض الاخر فقد عمله الذي تدرب عليه عندما كان في بلده الاصلي، وبسبب التقدم التكنولوجي باتت مهارات واختصاصات المهاجرين الاوروبيون تحتل المرتبة الثانوية وتقلل من قيمتها الانتاجية وتحت هذه الظروف ادركت عدة جماعات بان ثقافتهم الفرعية تتعارض مع وسيلة العيش في الوسط الحضري الصناعي المتقدم. وامام هذه الخصوصية الاجتماعية الجديدة مال المهاجرون نحو الوسائل التي تخفف غربتهم وترطب عيشهم في هذا الوسط المشحون بالظواهر غير المألوفة عندهم وازدادت حالات الادمان على المسكرات والمخدرات وارتفعت حالات الطلاق والجنوح والجرائم وسواها. كل ذلك حفز علماء الاجتماع والنفس الى دراسة هذه الحالات المتنامية والمتفاقمة، فاختاروا مفردة (الوهن التنظيمي) لانها تعبر عن عدم الاتساق والانتظام بين دور الفرد وتوقعات موقعه الذي يشغله فضلاً عن فشل العديد من المهاجرين في إنجاز ادوارهم بعدم تفهمهم للتوقعات الاجتماعية الخاصة بدورهم وقد أخذ هذا لفشل ثلاثة سبل هي:

أ- **فشل معياري**: أي أن المهاجر يفشل في عثوره على معيار او منظم اجتماعي يوجه سلوكه امام الخضم الهائل من الانماط السلوكية الجديدة التي لا يعرف ايهما يختار وينتقي بحيث يكون مناسباً ومتساوقاً مع موقعه الاجتماعي الذي يشغله.

ب-**فشل ثقافي**: اي عندما يواجه ثقافة جديدة علية بكامل او معظم عناصرها ومكوناتها الامر الذي يجعل منه متمسكاً بعناصر ثقافته والسير بموجب

منظماتها(وخاصة عندما تختلف وتتباين عناصر الثقافتين) فيحصل نوع من الصراع الثقافي بين ثقافته الاصلية وثقافة المجتمع المستضيف .

جـ- الاحباط : الذي ينشأ من جراء عدم وجود بديل لما ترك او اهمل من سلوك او معتقد او تقاليد ،فضلاً عن غياب المكافئات المعنوية او المادية للذين تركوا السلوك القديم او ايقاع العقوبات على كل من لم يترك سلوكاً معيناً وتركه على هذه الشاكلة دون منحه او تقديم البديل لذلك السلوك. فالزنجي الاسود في المجتمع الامريكي قد ينجح في المدرسة ويتفوق على زملائه لكن بعد حصوله على الاجازة المدرسية لا يستطيع ان يحصل على عمل استناداً الى اجازته لانه يواجه تمييزاً عنصرياً في حصوله على عمل فيحصل عنده احباط. قد يؤدي به الى «وهن في شخصيته» الذي يترجم على شكل ادمانه على المسكرات او المخدرات او يجنح للجريمة .اذ انه عندما يشعر بوجود قوى او ضغوط اتية من (الوهن التنظيمي) اليه فإنه يضطر للاستجابة او الخضوع لها فتحبط اماله وطموحاته .ولكن علاج هذا المشكل يمكن تحقيقه عن طريق عزل اسباب الوهن من اجل عمل موازنة بين اقسام النظام الاجتماعي . مثالاً على ذلك : الفرد في دول العالم الثالث عندما يحصل على شهادة الاجازة ويعرف بانه لا يستطيع الحصول على عمل بناءً على شهادته بل يخضع للوساطة او للعلائق القرابية او الانتماءات الاخرى فيصاب باحباط بسبب التحيز الانتمائي المتخلف فيخضع مستسلماً لضغوط الوهن الاجتماعي المتبلر من عدم ترابط الحقوق و الواجبات والدور الاجتماعي والموقع الاجتماعي دون تقديم مجتمعه احد البدائل لتحقيق طموحه الامر الذين يؤدي به الى الاحباط والانخراط في سلوكيات اشكالية لا تفيد المجتمع . هذه مشكلة اجتماعية ذات صفة وهنية لا تمثل الترابط بين معوقات النسق الاجتماعي. قصارى القول :إن الوهن التنظيمي يعني فشل الافراد في تحقيق التوقعات الاجتماعية التي يحددها المجتمع من افراده فيحصل صراع بين ما يقوم به الفرد من سلوك يومي وبين توقعات مجتمعه وغالباً ما تحصل مثل هذه الحالة بسبب التغير الاجتماعي المفاجئ الذي يخلق عدم توازن

اوعدم تساوق او عدم انسجام بين اقسام النظام الاجتماعي القائم في المجتمع . وان اسباب هذا التغير المفاجئ تحصل بسبب التطورات التقنية اوالاجتماعية مما يؤدي ذلك الى تزايد الضغوط والمؤثرات على الفرد ذاته فتقوده الى اخفاقات في تحقيق التوقعات الاجتماعية ولاجل تنظيم المجتمع وعدم وهنه فإن تحقيق أو إقامة التوازن بين اقسام المجتمع امر لابد منه ومهمة جسيمة لا يستطيع تحقيقها الفرد رئيس المجتمع (الزعيم او القائد او الرئيس) بل الهيئة الاجتماعية او مسؤولية الافراد الواعين بمشكلات مجتمعهم.

ثمة علاقة بين المنطلقين اوردها ديفيد دريسلر مفادها ان الفرد الذي يشغل موقعاً اجتماعياً يكون مطالباً بان يتصرف حسب ما تملي عليه توقعات موقعه فيقوم بدور إجتماعي يعكس فيه توقعات موقعه وعندما لا يتم ذلك فإنه من المتوقع ان يحصل وهن اجتماعي، اوعندما يحصل تركيز على الواجبات الاجتماعية للمواطن او إبعاد او تقليل منحه حقوقه فإنه يحصل نوع من الانحراف السلوكي عنده نتيجة فصل الحقوق عن الواجبات والمفاضلة بينهما. فالوهن الاجتماعي يشير الى تهشيم النسق الاجتماعي الخاص بالادوار والمكانات الاجتماعية . بينما يشير الانحراف السلوكي الى ابتعاد أو خروج الفرد عن النسق الاجتماعي الخاص بالمعايير والقيم الاجتماعية الضابطة والاثنان يولّدان صراعاً قيمياً والحالات الثلاث (السلوك المنحرف والوهن الاجتماعي والصراع القيمي) تمثل اوجهاً للمشكلة الاجتماعية[٢].

(٢-جـ-٣) منطلق الصراع القيمي :

الذي ينطوي على تنافس السلوك الفردي من أجل اكتساب او تحقيق منافع مادية على حساب النوازع الادبية والخلقية اذ أن العيش في مجتمع صناعي أو رأسمالي يحفز الفرد الحصول على ثروة او مال لكي يستطيع ان يعيش بمستوى معاشي جيد حتى لو ادى ذلك الى انحراف سلوكه . فقد ظهرت مثل هذه الحالة بعد الحرب العالمية الثانية في المجتمع الامريكي حيث تفاقمت حالة التنافس من أجل جمع الثروة والمال وهذا الهدف المادي جعل ثلاثة سبل للتعامل بين الافراد هي التساوق اي التنافس على قدم وساق او تبادل المنافع اوخضوع احد الاطراف لنفوذ الطرف الاخر وهذه حالات صراعية اساسها دوافع الفرد المالية – المادية وليس العلة الاجتماعية او الوهن التنظيمي ولا يمكن حل اومعالجة مشكلة الصراع المادي بين الافراد الا عن طريق تبادل المنافع او تكافؤ نفوذ الاطراف المتصارعة.

(٢-د-٤) منطلق السلوك المنحرف :

ظهر هذا المنطلق بسبب تأثر الباحثين الاجتماعيين بالمنهج التجريبي الذي يؤكد على استعمال وحدات اجتماعية صغيرة الحجم او قريبة المدى في قطرها داخل النسيج الاجتماعي. ولما كان من المتعذر والمتعسر إخضاع الاداب العامة والصراعات القيمية والهياكل التنظيمية والمجتمع بأكمله لشروط المنهج التجريبي مال الباحثون الى استقراء سلوك الفرد المنحرف بعيداً عن بنائه الاجتماعي وثقافة مجتمعه فضلاً عن اكتساب البحث الاجتماعي عن المشكلة الاجتماعية تفاسير وتحاليل ادق واعمق حول كل سلوك خرج عن المعايير الاجتماعية او إنحرف عن القواعد السائدة في المجتمع . فضلاً عن اقامة مقارنات بين الذين انحرفوا والذين لم ينحرفوا عن المعايير و القواعد المرعية والسائدة في المجتمع. هذه الحالة لم تكن قائمة في المنطلقات السالفة الذكر. اضافة الى كون السلوك المنحرف يولّد تبلوراً متزايداً في مسلكه او في مجراه بسبب تقاليد بعض الافراد الذين تحبط طموحاتهم وآمالهم او يصلون الى طرق مسدودة ولا يجدون عملاً لتوظيف مهاراتهم أو طاقاتهم فيميلون نحو الانحراف والانخراط فيه.

أما علاج مشكلة هذا المنطلق فإنه يقوم على إعادة تنشئه الفرد من خلال ازاحة ما تم اكتسابه من سلوكيات منحرفه ويغرس مكانها مقومات خلقية وادبية معيارية تقوّم سلوكه في الحياة العامة لتجعله اكثر تكيفاً للحياة السوية على ان يتم ترطيب أو تلطيف او تليين النسق الاجتماعي وعدم تركه جامداً او خشناً من خلال الاكثار من خلق اهداف اجتماعية جديدة ومتنوعة تخدم عيش الفرد بهناء وسعادة ورفاهية واقلال متاعبه او تقليص ارهاقه من اكتسابه سبل عيشه داخل مجتمعه والا سوف ينحرف ويخلق لنفسه مشكلات متعددة ومتنوعة.

(٢-هـ-٥) منطلق الوصم الاجتماعي :

الذي يمثل رؤية حديثة العهد بين باقي الرؤى في دراسة المشكلة الاجتماعية,إذ أنها تفسر لماذا أو تحت اي ظرف تتحقق افعال اجتماعية معينة وتحدد على إنها منحرفه وتشكل مشكلة اجتماعية استناداً الى هذا المنطلق الذي لا يعير اهمية لما يفعل الفرد بل الى كيف يستجيب المجتمع للفعل الاجتماعي الذي يعده منحرفاً عن معاييره او قواعده او قيمه الاجتماعية لأن المجتمعات تختلف في هذا الاعتبار وبالتالي تتباين في وصمها للسلوكيات الخارجية عن معاييرها .وعندما يصم المجتمع فرداً خارجاً عن معاييره فإنه (الفرد) يخضع لطابع غير شرعي في نظر المجتمع او أنه موسوم وسمة غير طيبة(عرفياً) الامر الذي يدفعه للانخراط بعمق في عدة سلوكيات منحرفة مترابطة بعضها ببعض .هاك مثالاً على ذلك المدمن على اخذ المخدرات يوصم من قبل افراد مجتمعه على أنه مدمن قد يدفعه هذا الوصم للانخراط في السلوك الاجرامي (الذي يسمى انحرافاً ثانوياً) نتيجة الوصم الاجتماعي وليس بدافع الاجرام أو أسباب اخرى . ويكون علاج مثل هذه المشكلة بتغيير معايير الوصم وتخفيف طابعه لكي لا يزيد من دفع الموصوم للانخراط به بشكل اعمق .

انظر جدول رقم - ١- الذي يلخص المنطلقات الخمسة التي اوردتها في هذا المدخل .

جدول رقم –١– يوضح منطلقات علم الاجتماع للمشكلة الاجتماعية

المنطلق	التحديد	الاسباب	الظروف	الآثار والتبعات	العلاج
العلية الاجتماعية	مخالفة التوقعات المعنوية والادبية	فشل التنشئة الاجتماعية في قدرتها لاكتساب او رفض القيم والمتعقدات الجديدة	الفساد الداخلي للمعنويات	تكلفة تجريد الفرد من صفاته الانسانية	تعليمه مبادئ اجتماعية جديدة من اجل رفع معنوياته
الوهن التنظيمي	تحلل معياري او فشل توقعات الناس الذي يبلور صراعاً ثقافياً	التغير الاجتماعي لا يكون منسجماً مع الواقع	متغيرات تقنية واجتماعية مؤهله لتغير المجتمع	فشل النظام الاجتماعي في تحقيق اهدافه وضغوط اجتماعية على الافراد	توازن في اقسام النظام الاجتماعي
الصراع القيمي	تعارض معايير قيم المجتمع	تصادم معايير القيم	تنافس حاد وحسد وغيرة	كلفة اجتماعية عالية ثمناً للصراع القيمي	تبادل في المصالح والنفوذ
السلوك المنحرف	الخروج عن معايير المجتمع	اكتساب طرق وسبل منحرفة	تشدد وحرمان وتقييدات اجتماعية صارمة	الانخراط في انحرافات ثانوية	اعادة تنشئة الفرد وتكيفه للظواهر المقبولة اجتماعياً
الوصم الاجتماعي	ظروف تحديد المشكل	الادراك بها	اكتساب سلوكيات جديدة	انحرافات ثانوية متعددة	تعبير مضامين الوصم

منطلقات نظريات علم الاجتماع

طرح هذه المنطلقات المنظّر الامريكي المعاصر (امتاي إتزيوني) وهي كما يلي :

(٢-و-١) منطلق بنائي - وظيفي :

الذي ينطوي على أخذ رأي الناس حول الحالة الاجتماعية سواء كانوا يعدونها مشكلة لهم ام لا . وهذا هو ابرز معياره .اما مقاييس الناس من تقييس الحال واعتبارها مشكلة فعلاً فهي :

١- عدم رضا الناس حول الظروف التي يعيشونها .

٢- يعدونها مصدراً لمتاعبهم وهمومهم .

٣- تعمل على تغيير بعض اوجه حياتهم التي ألفوها واستأنسوها .

٤- تعكس الوضع الاجتماعي -لا الجغرافي اي ملتصقة مع حياتهم اليومية وتعيش في نسيج علائقهم الاجتماعية .

٥- تهدد معتقداتهم .

٦- عدد الافراد الخاضعين للاقيسة السالفة الذكر . اذ كلما زاد عددهم عُدّ هذا مشكلة اجتماعية . واذا تعذر ذلك (اقترح ارنولد روس) عندئذ يؤخذ بنظر الاعتبار رأي سراة القوم (الصفوة المختارة) او أهل الرأي والمشورة داخل مجتمعهم مثل المثقفين والساسة ورجال الدين .

٧- تعرض عن تناقض كبير بين الواقع الاجتماعي ومستوى العيش .

٨- تكشف عن حاجات المجتمع التي يهدف (المجتمع) الحصول عليها بسبب فقدانها فيه .

٩- احباط تحقيق طموحات ثقافية - اجتماعية لافراد المجتمع الامر الذي يدفعهم للذهاب الى احد المسالك غير الشرعية او العرفية مثل الادمان على المخدرات كوسيلة لرفع معنوياتهم وجعلها في مستوى طموحهم المنشود .

١٠- فشل النسق الاجتماعي في مساعدة الافراد لتحقيق اهدافهم او طموحاتهم.

١١- عدم التوازن بين اقسام النسق الاجتماعي الذي يخلق حالة من الارتباك داخل النسق فتسبب اعتلالاً اجتماعياً او انحرافاً اولياً، مبتدئاً بالادمان على المخدرات ومنتهياً بالسرقة او القتل. او عندما يؤكد النسق على النجاح الاقتصادي وبالوقت ذاته يمنع اقليات مجتمعه من الاسهام في اكتساب هذا النجاح بسبب التمييز العنصري فان الانحرافات والسلوك الاجرامي يكون تحت هذا الظرف تحصيل حاصل (نتيجة).

(٢-ز-٢) المنطلق الصراعي:

الذي يجد مصدر المشكلات يكمن في وجود وسائل ضبط رسمية (غير عادلة) في الزام الناس بانجاز واجباتهم اكثر بكثير من تحقيق حقوقهم او المطالبة بها. أما مقاييس هذا المنطلق فإنها تنطوي على المعايير التالية:

١- تناقض في اهداف المؤسسات الاجتماعية القائمة في المجتمع فتجعل افرادها يعيشون بين اطراف متناحرة او متقاطعة لا تقودهم الى غايات افضل واسلم.

٢- استغلال مالكي السلطة اهداف المجتمع العامه كوسيلة لخدمة اغراضهم السلطوية والذاتية من اجل تعزيز موقعهم.

٣- وجود طبقة مالكة للثروة والنفوذ واخرى فاقدة لها.

٤- تبحث الطبقة المتنفذة والثرية عن سبل لخدمة وجودها ومركزها وثروتها ولا تعير اهمية لمصالح المجتمع بل تستخدم القيم الاجتماعية كوسيلة لتسخير باقي طبقات المجتمع لخدمة اغراضها وان ارتباطها بالمجتمع العام يكون من خلال الرباط الاقتصادي والسياسي وليس الاجتماعي وتكون مشاعر ابناء هذه الطبقة تجاه الاحداث الاجتماعية زائفة لا تعبّر عن حقيقة ارتباطها بمشاعر ابناء المجتمع.

٥- الحرمان الاقتصادي وعدم توزيع مصادر الطاقة بشكل عادل على ابناء المجتمع الذي يكون هو المصدر الرئيسي لمعظم الانحرافات السلوكية الاجرامية.

٦- تحويل العمال والفلاحين الى ارقام او الات مجردة تعمل لخدمة ولحساب مالكي وسائل الانتاج وجعلهم في النهاية افراداً مستلبين مهارياً و مغتربين اجتماعياً داخل اسرهم ومجتمعهم العام.

(٢-ح-٣) منطلق التفاعل الرمزي :

يذهب هذا المنطلق الى استخدام القيم الاجتماعية كمقياس لتقييس السلوك الاجتماعي وعده منحرفاً أو غير ذلك معتمداً على توقعات الافراد لكل موقع اجتماعي واذا تم مخالفتها يوصف ذلك السلوك المنحرف على شكل مفردة يوصم بها ذلك الفرد الذي لم يلتزم بتوقعاته .فضلاً عن ذلك فان هذا المنطلق يدرس المشكلات الاجتماعية بعيداً عن تأريخها اوجذورها وحيثياتها بل يبدأ من تفاعلات رموز واشارات الافراد وما يتمخص عنها من ملابسات واشكالات وهو يرى ان الحياة عبارة عن مسرح يلعب على خشبته ممثلون يمارسون ادواراً خلقها لهم المسرح نفسه (المجتمع) وما الملابس والاقنعة التي يلبسونها سوى مستلزمات الدور المطلوب منهم اداؤه. ومن الطبيعي ان يتنافس ويتبارى الافراد في ممارسة ادوار مسرحية يراد عرضها على خشبة المسرح و الممثل الفاشل يوصم ويكنى حسب اطلاقات الجمهور لذا فإن المشكلات الناتجة عن ذلك تمثل مشكلات ذاتية وليست موضوعية.

د- منطلق المحافظين الجدد : الذي يبرز من خلال الصفوة بعامة الناس الذي يعدها علاقة عقدية ملزمة كل منهما تجاه الاخر في خدمة المصلحة العامة. ويرى أيضاً أن الحكام يملكون السلطة والنفوذ وان عامة الناس مجبرة على اطاعة سلطة الصفوة .واذا رفض احد الطرفين فإن ذلك يعني انفراط العقد بين الحاكم والمجتمع . وتحت هذا الظروف تبرز العديد من المشكلات الاجتماعية وتتصدع الاداب العامة وتتخلخل مفاصل البناء الاجتماعية وهذا بدوره يبلور انحرافات سلوكية عند الافراد.

حوار ونقاش للمنطلقات :

إذا اردنا عقد مقارنة بين المجموعتين في المنطلقات فإننا سنجد ان الفرق الجوهري يكمن في حقيقة كون المجموعة الاولى تكشف عن التطور الاصطلاحي الذي يحقق عند الاجتماعيين في استخدامهم للاشارات والدلالات الاشكالية

الاجتماعية . بينما تكشف المجموعة الثانية كيف تقيس النظريات الاجتماعية السلوك الفردي الذي يخرج عما هو مألوف ومعتاد بين الافراد داخل مجتمعهم، لكن لم تختلف المنطلقات في استخدامها المفردة الاصطلاحية حول انحراف السلوك بل اختلفت في معايير قياسه وعدم الاكتفاء بمقياس واحد. بيد ان هناك اتفاقاً بين المنطلقات الاربعة حول المصدر العام للاشكالية الاجتماعية وهو التناقض القائم بين الواقع الاجتماعي ومستوى عيش الافراد. هذا من جانب ومن جانب آخر، فقد التقت المجموعتان حول نقطة رئيسية وهي أن الفرد الذي يخرج عن المعايير والقيم الاجتماعية السائدة يعدّ في نظر المجتمع منحرفاً ويخلق مشكلة اجتماعية ، ولكن على الصعيد الاخر . لم تعد المجموعتان من المنطلقات ان المشكلات الاجتماعية تعد أحد حوائل التغير الاجتماعي السريع فضلاً عن إنكارها لاهمية العقل ووسائل الضبط الاجتماعية في ردعها او منعها لانحراف الفرد عن معايير وقيم مجتمعه . او ان كل فرد يتعرض لمغريات الانحراف ويعيش ظروفاً غيرمرغوب فيها ويعدها مشكلة اجتماعية لكنه لا ينحرف او لا ينخرط مع الزمر الاجرامية او يتأثر بما يدور حوله من انحرافات سلوكية وقيمية ،بل قد يكون متحصناً بتنشئة اجتماعية -خلقية رصينة او يخضع لتحكيم عقله فلا ينحرف مع تيار الظرف السيء بل يلتزم بسلوك عقلاني رشيد وهنا تبرز اهمية دور الاسرة والمدرسة في توجيه الفرد خلقياً وثقافياً ووطنياً . هذه النقطة لم أجدها في تفاسير المجموعتين من المنطلقات على الرغم من اهميتها في هذا الموضوع.

ومن اجل تبصير طلبة مادة المشكلات الاجتماعية اوضح لهم الحقيقة الاتية وهي ان استخدام مفردة «العلة الاجتماعية» من قبل الباحثين الاجتماعيين الكلاسيكيين او الاول كان لوصف احد امراض المجتمع وليس لفئة اجتماعية اوجماعة اجتماعية معينة . ثم استخدمت مفردة «الوهن التنظيمي» (التفكك الاجتماعي) لتوضيح الخلل الذي اصاب البناء الاجتماعي او اصاب البناء التنظيمي داخل مؤسسة رسمية لتبيان عدم تناسب او تساوق دور الفرد مع الموقع التنظيمي

الذي يشغله . بعدها تم استخدام مصطلح «الصراع القيمي» لتعريف المختصين بتناحر القيم فيما بينها وليس البناء التنظيمي او احدى الجماعات الاجتماعية ، بعدها جاء استعمال مصطلح « السلوك المنحرف» ليعبّر عن خروج الافراد عن معايير المجتمع . أي وصف كل من يخالف آداب ونواميس مجتمعه وهذا التحديد لا يشمل الصراع القيمي اوعدم تساوق دور الفرد مع موقعه التنظيمي او أحد امراض المجتمع ؛ اخيراً جاء استخدام مفردة «الوصم» التي عكست سلوكية فردية وليس جمعية او قيمية لكل من ينحرف عن قواعد المجتمع .

هذا التدرج الاستخدامي للمصطلح المعّبر عن اشكالية اجتماعية لم تتم بمحض الصدفه أوخضوعه لمزاج او رغبة الباحث الاجتماعي بل اخذت تتقلص فتركت المجتمع يذهب الى البناء الاجتماعي والبناء التنظيمي ثم وصل الى القيمة الاجتماعية ،بعدها الى السلوك الفردي وأخيراً استقرت عند الوصم الاجتماعي للفرد الواحد عن سلوك معين، هذه المنطلقات اذن عبّرت عن الدقة التعبيرية والتوصيفية للباحث الاجتماعي عن حدود المشكل الاجتماعي اذ بدأ من مدى واسع وانتهى بمركز ضيق (الوصم او الكنية).

اما على صعيد المنطلقات الثانية فإنها خضعت للنظريات الاجتماعية حسب ظهورها على الساحة الاجتماعية فبدأت بأقدم نظرية وهي البنائية الوظيفية وانتهت باحدثها وهي المحافظين الجدد. وعلى الرغم من الرصانة والمتانة عند كافة الرؤى والمنطلقات فإني اجد بعض النقائض والهنات فيها،هاك مثلاً على ذلك : هناك بعض المشكلات تتبلور بسبب جمود القيم الاجتماعية السائدة في المجتمع وعدم قدرتها على مسايرة التطورات الحاصلة في المجتمع مثل غلاء المهور في المجتمع العربي، إذ أنه في تصاعد مذهل الامر الذي خلق مشكلات عديدة منها تأخر في سن الزواج بالنسبة للذكور وتفاوت عمري بين المتزوجين من الذكور والاناث اذ يتزوج رجل متقدم في السن من فتاة صغيرة السن وقد يكون الفارق العمري بينهما اكثر من خمسة عشر عاماً وذلك راجع الى قدرة المتقدم بالسن من الرجال على دفع مهر

عالٍ. هذه المشكلة خلقتها قيمة اجتماعية لا تتساوق مع التطورات الحاصلة في المجتمع العربي(من ارتفاع في مستوى المعيشة وزيادة في الاستهلاك الظاهري وتغير في نمط العيش الحضري والتقدم التكنولوجي المنزلي (مكنسة كهربائية غسالة للملابس، خلاطة، مجففة ملابس ،فرن وسواها) وهناك مشكلة يخلقها التغير الاجتماعي مثل اتخاذ القرار الاسري حيث يتطلب من الاسرة العصرية المتعلمة أن يكون قرارها حول الشؤون الاسرية مدروساً ومأخوذاً من قبل الزوج والزوجة . بيد أنه على الرغم من التحولات التربوية والاقتصادية بقي القرار الاسري بيد الزوج في الاسرة العربية لأن هذا التفرد مدعم من قبل القيم الاجتماعية السائدة في الاسرة العربية الممتدة – القديمة وهنا تحصل مشكلة اجتماعية اسرية تنعكس على تنشئة ابنائها وتعمل ايضاً على إغراب دور الام داخل اسرتها .مثل هذه المشكلات لم تتناولها المنطلقات التي اوردتها في هذه الوحدة.

ثم هناك مشكلة (الوساطة) في تعيين الموظفين داخل الاجهزة الديوانية (البيروقراطية) التي تعني استخدام العلائق القرابية اوالمكانية – الاقليمية (داخل النسق الاداري الذي يتطلب التخصص العلمي اوالتقني اوالفني والخبرة المسلكية لكن استخدام الوساطة يسيء الى انجاز العمل ويربكه فضلاً عن جعل انجاز العمل الديواني غير مدروس وظرفياً لايخدم المصلحة العامة وهذه مشكلة ادارية – اجتماعية تنعكس على مصالح العامة والخاصة في المجتمع). وقد اجد من المفيد ان اطرح ما وجده س.ن. اسنتاد من انواع للمشكلات الاجتماعية في المجتمعات المتحضرة وهي مشكلات متتانية (غير منفردة) وهذا الاهتمام يلتقي مع اهتمامي فيما يخص الثنائيات في علم الاجتماع اذ وجد ما يلي:

١–التحرر والتسلط: حيث يتجه المجتمع المتحضر في مسيرته الانمائية نحو التحرر من قيود الماضي وبالآن ذاته يكون اصحاب القرار في البنية الفوقية معارضين للتحرر ومتمسكين باهداب الماضي وقيوده للمحافظة على مواقعهم السلطوية ونفوذهم وثروتهم .انها حالة انشطارية مزدوجة.

٢- التغير والاستقرار: يميل المجتمع المتحضر في تطوره نحو الارتقاء الى مراحل افضل واحسن والى الثورة الجذرية وهو يعيش في حالة من الاستقرار والركود. هذه الحالة القلقة تكشف عن عدم وضوح ودقة خطة ارتقائه والتصميم في تحقيق اهدافها.

٣- العقلانية والتوجه الثقافي: حيث يميل المجتمع الحضري في نموه نحو تحقيق الكفاءة التقنية وسيادة الفرد على نفسه والتحرر الذاتي من قيود الموروثات التقاليدية وبالوقت ذاته ليس له القدرة على التخلص من سيادة القيم والمعايير الاجتماعية الموروثة من اجيال سالفة(٢).

فهي اذن مشكلة مزدوجة يتعسر عليه (الفرد) الخروج منها لانها مضطربة تحتاج الى جهود مضاعفة في التخلص من قيود الماضي اولاً وهي مهمة شاقة جداً وبالوقت ذاته تحتاج الى جهد مفعم بروح معنوية تواقة للولادة الجديدة والانطلاق للامام بثقة عالية وايمان راسخ دون تردد وهذه الحالة تتطلب غسل الذات من الاثار الماضوية لكي يخرج الى عالم جديد يظهر بمظهر يتناسب مع المرحلة الجديدة.

اخيراً، هناك بعض التعاريف الخاطئة للمشكلة الاجتماعية متداولة في الادبيات الاجتماعية العربية ، أجد من الواجب تبصير الطالب بها لكي لا يأخذها كسند او حقيقة مثل : المشكلات الاجتماعية هي كل صعوبة تواجه انماط السلوك السوي او انحرافات تظهر في سلوك الافراد والجماعات. إنها انحراف عن المعايير المتفق عليها في ثقافة من الثقافات او مجتمع من المجتمعات.كما انها خروج الفرد عن المتعارف عليه من العادات والتقاليد والاعراف والسلوك جماعياً واجتماعياً.

وهناك تحديد آخر، استخدام التعارض او الوجه الاخر كما هو سائد أو قائم في المجتمع يُعدّ مشكلة اجتماعية مثل الشيء ونقيضه ،فالنقيض عده الباحث مشكلة اجتماعية مثل اذا كان الاستقرار في مجتمع من المجتمعات هو الاساس فإن عدم الاستقرار (او الهجرة) يكون مشكلة واذا كانت الصراحة والصدق من الامور

المحبة الى النفوس السوية فان النفاق والرياء والكذب يكون انحرافاً عن سواء السبيل واذا كان اليسر والتيسير في المهور من الامور الواجبة دينياً واجتماعياً فان التغالي فيها يعتبر خروجاً على الوجوب الاجتماعي والالتزام الديني كذلك.

ثم هناك تعريف ثالث للمشكلات الاجتماعية مفاده هي انحراف السلوك الاجتماعي عن القواعد التي حددها المجتمع للسلوك الصحيح طالما ان هذه القواعد تضع معايير معينة يكون الانحراف عنها مؤدياً الى رد فعل واضح من الجماعة وما دام الامر كذلك فإن المشاكل الاجتماعية تختلف في الزمان والمكان باختلاف الثقافات.

حوار ونقاش حول المنطلقات

(٢-ط) رؤية عامة الناس للمشكلات الاجتماعية:

لقد وجدنا سالفاً كيف تباينت رؤى ومنطلقات الباحثين الاجتماعيين في دراستهم للمشكلة الاجتماعية وحددنا اسباب تلك التباينات وكان ذلك يمثل الوجه الاول لمجموعة رؤى ومنطلقات تمثل المختصين في علم الاجتماع بقي علينا ان نوضح الوجه الثاني لمجموعة اخرىٰ لرؤى ومنطلقات لا تمثل علماء الاجتماع بل عامة الناس لكي نبصر طلبة المشكلات الاجتماعية بما يفكر فيه الاخرون من غير اختصاصهم .فمثلاً تباين عامة الناس في رؤيتهم للمشكلة الاجتماعية فمنهم من استعمل المعايير الاخلاقية التي تنطوي على استخدام الرموز الخيرة المستنبطة من التراث الديني ولم يبحثوا عن المعايير الادبية -اخلاقية لقياس درجة استواء سلوك الاخرين ولكن بسبب تفاقم واستشراء المشكلات الاجتماعية بعد الحرب العالمية الثانية تغيرت انظمة العالم الاقتصادي وشاع التحضر والتصنيع واستخدام الاسلحة المدمرة في الحروب وما لها من آثار على البشرية وتحت هذه الظروف مال الناس لاستعمال المعايير الدينية لتمييز السلوك الخير عن الشرير. لكن هذا الاستخدام المعياري قوبل بنقد واستهجان من قبل الباحثين الاجتماعيين لانه لم يكن ممثلاً للمعايير العلمية بل الدينية وغالباً ما كانت تتعارض مع الحياد الاخلاقي.

وهناك فئة من الناس اكدت على عدم تكيف الناس للبيئة او للمجتمع الذي يعيشون فيه هو سبب جميع مشكلاتهم الاجتماعية لذا فان تكييفهم للمجتمع هو الحل الامثل لكافة مشكلاتهم وعند تعذر ذلك فالعقاب خير وسيلة لارجاع المنحرفين الى الطريق المستقيم والمعايير الاجتماعية السائدة في المجتمع.

وهناك فئة ثالثة ترى وضع خطط لسياسة اجتماعية تهدف إلى حل المشكلات الاجتماعية القائمة في المجتمع بشكل علمي مدروس وليس اعتباطاً.

(٢ - ي) رؤى العلوم الانسانية للمشكلة الاجتماعية

تباينت رؤى العلوم الانسانية بالنسبة للمشكلة الاجتماعية كل حسب اختصاصها . فالتاريخ مثلاً درس مشكلة السود في المجتمع الامريكي من خلال اصلهم العرقي في افريقيا وكيف عاشوا تحت السيطرة البريطانية ودرس القانون البريطاني الخاص بالعبيد وكيفية التعامل معهم وعلاقتهم بالحركة الصناعية الاوروبية وكيف استخدمتهم المصانع الاوروبية كعبيد بعيداً عن التعامل الانساني والحضاري واسكانهم في معسكرات قاسية العيش وخالية من المرافق الصحية والعناية البشرية وسواها. هذه الاهتمامات الجذرية تناولها المؤرخ من اجل التوصل الى تاريخ المشكلة العنصرية.

والاسباب التاريخية للمعضلة العنصرية في المجتمع الامريكي ولماذا يعامل الزنجي - الاسود مواطناً امريكياً من الدرجة الثانية في بلده ؟ ولماذا يعيش في حالة فقر شبه دائم؟ ولماذا لم يكتسب معرفة علمية متقدمة ويوجد في امريكا المعارف العالية والدقيقة؟ ولماذا يرتفع معدل الاجرام بين السود اكثر من البيض؟

مثل هذه الاحاطات الاجتماعية في العمق التاريخي يقوم بها المؤرخ لكي يعرف الظروف التي خلقت مشكلة عنصرية عبر التاريخ والتوصل الى معرفة الظروف التي ساعدت على ترعرعها وتفاقمها .هذا الاسهام المعرفي الانساني مثري وغني لانه يسلط الضياء على مساحات معرفية لا يستطيع الباحث الاجتماعي التوصل اليها اومعرفتها، لكن المؤرخ يستطيع ان ينزل الى هذا العمق الزمني واستكشاف الجذور التاريخية للمشكلة الاجتماعية المعاصرة.

اما علم الانسان الثقافي (الانثروبولوجيا الثقافية) فانه اقرب الاختصاصات الانسانية لعلم الاجتماع اذ يتناول في دراسته التنظيمات الاجتماعية ونمو وتطور المجتمعات البدائية في الماضي والحاضر. ومن المعلوم عند الجميع ان مشكلة الانتحار تعد احدى المشكلات الاجتماعية السائدة في المجتمعات الحديثة لكن هذه المشكلة يختلف معدلها من ثقافة اجتماعية الى اخرى الامر الذي ادى الى اختلاف

اتجاهات ومواقف الناس حولها .فاختلفت رؤاهم ومعتقداتهم حول هذه المشكلة. فهناك فئة من الناس تعد الانتحار محرماً واخرى تراه عملاً جديراً بالتقدير والثناء وهناك مجتمعات تملك اماكن خاصة لتنفيذ الانتحار لانه مقدس في معتقدها مثل جماعة (هارا-كيري) في اليابان وجماعة (سوتس) في الهند، وفي بعض المجتمعات القديمة كان الملوك ورجال الدين ينتحرون من اجل تحقيق اغراض ايجابية يتمنون الحصول عليها كأن ينذر نفسه اذا تحقق له شيء كان يتمناه واصبح قائماً او في متناول اليد مثل هذه الحالات اثارت اهتمام علماء الانسان الثقافي فدرسوا مشكلة الانتحار في المجتمعات القديمة والحديثة.

ثم درسوا دور المرأة وما يصاحبها من مشكلات دورية واجتماعية في مجتمعها اذ وجدوا ان معظم الثقافات الاجتماعية وضعت دور المرأة تابعاً لدور الرجل. ومن الدراسات الطريفة في هذا الميدان الانساني انه وجد في مجتمع تايوان عام ١٩٥٩-١٩٦٠ في قرية اسمها (بيهوتين) ان البنت تكون مصدراً اقتصادياً حيوياً في معيشة الاسرة اذ تبيع الاسرة او تمنح بنتها منذُ صغرها (وهي رضيع) لاسرة ثانية لكي تكون زوجة لاحد ابنائها وعندما تصل البنت الى سن البلوغ الجنسي ولم تتزوج فانها تشتغل باغية في قرية ثانية لكي تعيل اسرتها مادياً ولا يجلب لها عملها هذا أو لاسرتها العار او الوصمة الاجتماعية المخزية وتبقى مستمرة في هذا العمل الى ان تتزوج من أحد رجال قريتها وتكون بمثابة خادمة له لحين انجاب الوليد الاول الذي بواسطته تتحول مكانتها الاجتماعية داخل اسرتها فتكون مكانتها محترمة لانها اصبحت اماً لابناء اسرتها وعضواً في اسرتها .بينما قبل ذلك كانت معاملة زوجها واهله لها كخادمة او كغريبة.

واذا لم يحصل زواج للبنت الباغية فان ذلك يعني ان اسرتها بحاجة ماسة لها ولعملها وهذا يشير ايضاً الى ان الاسرة تستخدم بناتها من اجل لقمة العيش واعالة الوالدين.

ثمة حقيقة في هذا المجتمع ان البغاء لا يجلب العار أو يؤخر زواج البنت اذ ان ابناء القرية يقدمون على الزواج من بنات قريتهم الباغيات وهم على علم ودراية بذلك وان مكانتها الاجتماعية تكون افضل من الزوجة التي تخون زوجها بعد الزواج.

القصد من طرح هذا المثال الاجتماعي هو ان البغاء في هذا المجتمع لا يعد مشكلة اجتماعية وان بيع البنت لا يُعد مشكلة اجتماعية ايضاً .والتعامل مع الزوجة في بداية زواجها كخادمة وكغريبة لحين انجابها الوليد الاول لم يعد من قبل المجتمع التايواني مشكلة اجتماعية .مثل هذه الدراسات الانسانية –الثقافية تفيد المهتمين بدراسة المشكلات الاجتماعية لانها تمثل موضوع اهتمامهم اولاً ولانها اتت من مجرى علمي لا يستطيع علم الاجتماع الوصول اليه تالياً.

بينما اهتم علم النفس الاجتماعي بأثر الثقافة الاجتماعية على وجدان وعواطف ومواقف واتجاهات وخبرات الفرد. فضلاً عن اهتمامه بمشكلة التعصب والتميز والشخصية التسلطية ودراسة السمات النفسية الاجتماعية لاتجاهات الشباب ومناهضتهم لبعض المعايير التقاليدية والسلطة الابوبة والتطرف السياسي والثقافات الفرعية مثل ثقافة (الهيبز)[٤].

(٢-ك) تحديد مفهوم المشكل الاجتماعي

بعد أن طرحت منطلقات علم الاجتماع لموضوع المشكلة الاجتماعية وكيف تحدث داخل المجتمع على مّر الزمن ،اعرج بعد ذلك الى تحديد مفهومها بشكل عام ونظري ثم اناقش مضمون هذا المفهوم الزئبقي (المتحرك والرجراج الذي يتبدل مع تبدل الحالة الاجتماعية والفترة الزمنية والمعايير الاجتماعية).

في الواقع ان تحديد مفهوم المشكلة بحد ذاته يعّد مشكلة معقدة بحيث لا يجد المرء تحديداً شافياً وعلمياً له بسبب تأثيرها على الفرد والجماعة والمجتمع بشكل مختلف ومتبدل فضلاً عن احتياجها لاعادة تكييف الافراد لاوضاع جديدة وهنا تكمن العقدة التحليلية لانها تحتاج الى جهود اكثر من عالم يتناول كل واحد منهم جانباً من الوضعية ويتعاون مع باقي العلماء في توصيل نتائجه لكي تكتمل الصورة العامة عن الوضعية الاجتماعية الخاصة بالمشكلة المدروسة فضلاً عن نواتج المشكلة الواحدة المتصلة بمشكلات اخرى ومكملة لها (في بعض الاحيان) وذلك راجع الى اتساع شبكة ارتباط الفرد بأكثر من تنظيم اجتماعي في وقت واحد (مثل الاسرة والجماعة الرسمية وغير الرسمية والمجتمع المحلي والعام) ومن هنا جاءت بعض الطروحات من قبل الاجتماعيين بتأسيس حقل خاص يسمى بـ (علم اجتماع المشكلات الاجتماعية) مثال بول هرتون واين لا أتساوق مع هذا الطرح وذلك لغزارة المجتمع بالمشكلات وتنوعها واستمرار ظهورها لاسيما وان المجتمع في تطور دائم الامر الذي يخلق مشكلات متفاقمة يدفع ثمنها بعض الافراد. ولأن علم الاجرام وعلم النفس الاجتماعي ومساحة كبيرة من علم السكان وعلم الاجتماع الحضري وعلم الاجتماع الصناعي نهلوا من المجتمع مشكلاته وعالجوها. اقول باتت المشكلات الاجتماعية تمثل المعين الرئيسي لهذه الحقول المتفرعة من علم الاجتماع وازاء هذه الحالة ألا يتطلب تأسيس علم يمثل تناول المشكلات الاجتماعية وحصرها في اطار منهجي ودراستها وصياغة قوانين لها؟.

فضلاً عن تنامي وعي وادراك الناس بما حولهم المتأتي من التطورات التكنولوجية وتأثيرات وسائل الاعلام الحديثة (كالاقمار الصناعية) وسرعة ودقة الاتصالات السلكية والالكترونية بين الافراد،كل ذلك جعل شعور الناس بوجود مشكل يتنامى –سواء أكان بجزئيتها اوعموميتها او تعقيداتها .المهم ان الفرد بدأ يعيش في بيئة المشكل ويشعر بوجودها وتأثيراتها وهنا عليّ ان اوضح بان الشعور بالمشكل والاحساس به لا يعني الوعي به لان الاخير يشير الى معرفة اثاره وابعاده الايجابية والسلبية او كيفية معالجته، بينما الاول (الشعور بالمشكل او الاحساس به) يشير الى ادراكه انما لا يعرف الفرد آثاره الايجابية والسلبية او مخاطره.

فالفرد قد يشعر بظلم السلطة الحاكمة في مجتمعه وتعسفها وزيف تصريحاتها وعدم جدية قوانينها ويدرك ويعيش ظروفه (الظلم) انما لا يعرف اثاره الثقافية والسياسية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية. اقول لا يعي اثاره فيما يخص الامراض الناتجة عن التعسف والتمييز والتحيز من اغتراب وابعاد عن المشاركة الفعلية في اتخاذ القرار في المجتمع المحلي اوالمؤسسة الرسمية . بيد أن الواعي بمشكلة الظلم السلطوي (التسلطي) يعبر عن مخاطرها بوعي ودراية . وهذا يعني ان إدراك المشكل لا يؤدي بالضرورة الى الوعي بها دائماً .إنما هناك حالات يعي الفرد بما تؤول اليه حالة التسلط فتجعله يعي بمكوناتها وآثارها ونتائجها.

حالة اخرى تمثل الوعي المشكل: الزوج الذي يدرك ويشعر مسؤولية الحياة الزوجية يتجنب الخوض في مشاكل اسرية مع زوجته لكي لا يخلق مشكلة اسرية تصدع بنيانها وهذا يعني انه واعٍ بمسؤوليته الاسرية انما الذي لا يتجنب الخوض في مشاكل مع زوجته فإنه لا يعي ابعاد مشاكله المتكررة معها وآثارها السلبية على بنيان اسرته.

فالوعي بالمسؤولية الزوجية اذن يجعل الزوج خارج حدود التصدع البنياني .

ما أود القول في هذا الخصوص هو ان الوعي بالمشكلة يمثل اعلى درجات الاحساس بها لانه يتبلر من خلال تعايش الفرد معها وفيها وادراكه مكنوناتها ورؤية ابعادها الايجابية والسلبية .أقول ان المشكلة الاجتماعية تنتج الوعي بها عند الذين تعايشوا معها وتفاعلوا مع اسبابها وتأثروا بمؤثراتها. أما الافراد الذين يتعاطفون مع اصحاب المشكل او يستغلونهم لاهداف ذاتية -مصلحية لا يتبلر عندهم الوعي بالمشكل انما الاحساس الاولي به فقط، وحتى المثقفين والباحثين والنقاد والصحفين الذين يتناولون مواضيع او اوجه المشكل فإنهم لا يمتلكون الوعي به او مثل الذين تعايشوا معه وتأثروا بمؤثراته .فالباحث الذي يدرس الوهن الاسري ويوضح اثاره السلبية لا يكون واعياً بآثار الوهن مثل الزوجين اللذين تحملا ثمن الطلاق أو الانفصال او الوفاة (احدهما) او حالة الناقد الذي ينتقد مشكلة الرشوة عند الموظفين من المراجعين ويصفها كأحد اثار الروتين الجامد الذي لا يخدم المؤسسة الرسمية اوالمواطن معاً. اي أنه يشعر بخطورتها ويدرك سلبياتها الظاهرة أو السطحية إنما لا يمتلك الوعي بأثارها المتداخلة ومعاناة الناس لها وضغطها على مصالحهم. وهذا الوعي لا يتبلر عند الذين يدفعون الرشوة للموظفين الذين يعرقلون اعمالهم لكن تتضح عند المواطنين الذين لا يؤمنون بالرشوة ولا يستخدمونها في تمشية اومتابعة معاملاتهم لانهم يرون احقية وشرعية تعاملهم فلا يميلون لاستخدام الرشوة ويجدون البعض الآخر يستخدمونها بسبب النقص في معاملتهم او التزييف الموجود فيها. مثل هؤلاء يتبلر عندهم الوعي بمشكلة الرشوة ، أما الذين يقرأون و يسمعون عن المشكلة (الرشوة) فإنهم يحسون بها ويدركونها فقط لكن عندما يعيشونها (اي عندما يجبرون على دفعها أو يرفضون دفعها وتُرفض معاملتهم في الدوائر الرسمية) عندئذٍ يعون خطورتها وآثارها السلبية.

فالوعي إذن عبارة عن قرار عقلي ناتج عن احساس الفرد بالحالة التي يعيش فيها ويتأثر بها (مفعولاً به لا فاعلاً بها) لفترة من الزمن. ومع تكرار هذا التأثير

الاحادي عندئذ يتحول هذا الاحساس الى قناعة فكرية تعّبر عن المعاناة والاشكالات والاضطرابات والانفعالات الناتجة عنها والمصاحبة لها.

بينما يعني الاحساس التعايش الاولي مع المشكل والانتباه الابتدائي لمؤثراته الذي لا يشكل قناعات فكرية بسبب قصر الفترة الزمنية للتعايش وقلة تكرار مؤثراته على الفرد.

بعد هذا التوضيح أورد تباين علماء الاجتماع في تناولهم لدراسة موضوع المشكلة الاجتماعية(وهذا لا يعتبر نقيصة أو احدى الهنات) بل إن التشعب في الدراسة يغطي ابعاداً متنوعة ويفسح المجال للمقارنة والتبصر الاوسع في قطره أو مداه.فمثلاً كليرنس كيس استخدم الطرح النفسي – الاجتماعي وسبل معالجتها مستعيناً بالطرق الاحصائية . في حين استند فرانس ميرل على محور العلاقة المتداخلة بين المشكلات الاجتماعية والقيم الاجتماعية ثم ناقش الحاجة الملحة في تحسين اوضاع الافراد الذين يخضعون لمؤثرات المشكل او الذين يعيشون تحت وطأته.

ثم قام ريتشارد موللر محللاً لثلاثة مسالك للمشكل الاجتماعي في حين اهتم جيمس بوسارد بالمنطلقات الاجتماعية انما عالج وليم اوكبرن كيفية الوصول الى براهين فروض التخلف الثقافي كأساس قاعدي للوهن الاجتماعي. بينما اكد هورنيل هارت المشكلة من زاوية سعة تأثيرها على عدد كبير من الناس ودرجة احتياجها الى علاج وحل ضروري من خلال قياسات عامة لا خاصة او فردية او معزولة عن باقي المشكلات الاخرى لان علاج اية مشكلة اجتماعية يحتاج إلى جهد منظم من أكثر من جهة مقتدرة. أي أن هارت أكد على العلاج الجمعي المنظم الذي يبحث عن علاج يختلف عن العقل الجمعي والمنطق الاجتماعي او العقل العام الذي يميز او يؤكد على وجود المشكل فعلاً واصلاً .ولعل من المفيد ان اعرف القارئ على ان هارت متخصص في حقل الاحصاء الاجتماعي دخل الى دراسة المشكلات الاجتماعية من زاوية اختصاصه الذي طرح مشكلات عامة مثل المشكلات

الاقتصادية وكيفية علاج مشكلة الفقر وتقليص الاستهلاك الظاهري وعدم الافراط بالثروة والمشكلات الصحية وكيف يمكن ادامة صحة الانسان واطاله عمره وتقليل عدد امراضه وتقليص آثار بعضها ،والمشكلات السياسية والنفسية والاجتماعية وكيف توصل الانسان الى السعادة والرفاهية ، والمشكلات التربوية وكيف يمكن رفع مستوى تعليمه وتثقيفه. إستند هارت على الجانب الكمي مستخدماً المعلومات والبيانات الكمية في معالجاته للمشكلات الاجتماعية .لكنه اوضح تعاكس او تعارض الظروف الاجتماعية للانسان التي تؤدي الى خلق اشكالية اجتماعية لوضعه الاجتماعي(٥).

تحديد المشكل الاجتماعي :

هي الحالة الاجتماعية التي تعكس انتهاكاً لقيم الافراد او تعاكس احكامهم عليها شاعرين بها فيحكمون عليها بانها تشكل مشكلة لهم (٦) بمعنى اخر هي شعور أو ادراك الافراد بان احدى قيمهم قد انتهكت من قِبل البعض فخلقوا مشكلة اجتماعية تحتاج الى حل.

اذا اردنا تحليل هذا التحديد فانه يتبين لنا من اساسيات تحديد المشكل انها تكون واقعية وحادثة فعلاً في حياة الناس وليس من نسيج الخيال او التصور (وهذا يعد شرطاً موضوعياً) ثم يتوجب شعور او ادراك الناس لها (وهذا تحديد ذاتي) ولكن دائماً يشعر الناس بالشرط او الظرف الموضوعي وغياب هذا الشعور ينعدم اعتبار الحالة الاشكالية كمشكلة .فمثلاً اذا عدّ الناس الفقر انه قدرٌ محتوم عليهم لا مفر منه فان هذا الاعتبار لا يعني الشعور بوجود مشكلة تعترض حياة الناس. فالفقر هنا لا يمكن عده مشكلة اجتماعية لهؤلاء الناس. اي ان التحديد الذاتي منعدم وهذا يوضح ان احد اطراف التعريف الاساسي غير وارد لذا فانه يكون مبتوراً ولا يعبّر عن حالة المشكل.والتعصب العنصري اذا كانت احدى الشرائح الاجتماعية أو إحدى الجماعات العرقية لا تحمل موقفاً متعصباً او متحيزاً ضد جماعة عرقية معينة فانها لا تشعر بالتعصب وبذا لا تكون لديها مشكلة عنصرية.

في ضوء ذلك فإن التحديد الذاتي يستجيب للظرف الموضوعي في تعريف المشكل الاجتماعي لانه يمثل المرواز (البارومتر) لتحديد ماهية الظروف الموضوعية حيث انه يدفع الشاعرين اوالمدركين بالظروف الموضوعية بان يحكموا عليها على انها سبب لحدوث المشكل لهم ام لا.

هاك مثالاً على ذلك: فيما يخص تحديد الظروف الموضوعية من خلال ادراك الافراد لها. تلوث الهواء في المدن من جراء احتراق وقود العربات الذي يؤدي الى اختناق ابناء الحضر وتلوث هواء مدينتهم ،وان ابناء الحواضر يشعرون ويدركون هذه الحالة جيداً لكنهم على الرغم من ذلك يؤيدون زيادة انتاج العربات كل عام. هذا المثال البسيط يوضح شعور الناس ومعرفتهم بالظروف الموضوعية (تلوث الهواء) لكنهم يتغافلون عن موت بعض ابناء الحواضر بسبب تلوث البيئة فيؤيدون زيادة انتاج السيارات واستخدامها داخل المدن . فضلاً عن ذلك فإن الحكومة الاميركية تعرف جيداً هذه الحقيقة لكنها تطالب مصانع وشركات العربات بوضع بعض الضمانات التكنولوجية لحماية سائق العربة(مثل حزام الامان واستخدام نوع خاص من الوقود الذي لا ينتج غازات سامة او زيت خاص وسواها). لكنها لا تعالج مشكلات الناس التي تسببها العربة والمشكلات المرورية القاتلة ولا تعالج المشاكل الاجتماعية الناجمة عن انتاج العربة على الرغم من ادراكها ذلك. وبناءً على هذا التحليل يبرز امامنا ثلاثة محاور اساسية في تعريف المشكل الاجتماعي هي ما يأتي : الظرف الموضوعي الذي يخلق التحديد الذاتي وهو بدوره يبلور حكماً على الظرف الموضوعي معبراً عن وجود اشكالية للفرد ،هذا الالتزام المحبك عند الفرد يجعلنا نقول بان هناك مشكلة اجتماعية وفقدان احد هذه المحاور يعني غياب المشكلة او عدم وجودها في الواقع. اذ وجدنا الحكومة الاميركية –على الرغم من ادراكها بتلوث هواء المدينة– فإنها لم تحكم على الحالة التي سببتها سياقة العربة داخل شوارع المدينة بانها مشكلة ويجب معالجتها (غياب الحكم) ووجدنا غياب الشعور بأثر الظرف الموضوعي عند الفقراء حين عدوه قدراً محتوماً الامر الذي لم

يبلور عندهم حكماً على ان الفقر الذي يعيشونه يعد مشكلة على الرغم من وجود الظرف الموضوعي(الفقر) الا انه غيرمدرك (بسبب المعتقد الغيبي اوعدم الوعي او الظلم الذي يعيشون تحته) لذلك لم تعد هذه الحالة مشكلاً اجتماعياً.

هذا من جانب ومن جانب آخر تباين القاعدة الثقافية في استعدادها لقبول الشروط الموضوعية او رفضها فان ذلك يؤثر على قبول الناس للظرف الموضوعي اذ أن سيادة التقنية والتقدم العلمي في المجتمع يجعلان قبول الناس للظروف الموضوعية يأخذ السّياق وتبرير آثار المشكلات الاجتماعية فضلاً عن ان استجابة الناس لادراك الحالة الاشكالية يختلف من جماعة اجتماعية لاخرى حسب مصالحها الذاتية ومستواها الثقافي ومواقفها الاجتماعية التي لا تمثل حالة واحدة في استجابتها أو مستواها الادراكي تجاه الظرف الموضوعي.

لا مناص من القول بان التحديد الذاتي لا يمكن استعماله كمعيار ناضج او مكتمل ومعتمد عليه في كل الحالات لتحديد المشكل الاجتماعي لانه منفعل بالمصلحة والموقع والتحصيل التربوي فانه قد يشعر بالظرف الموضوعي لكنه لا يقره بسبب مصلحته الذاتية الظرفية او بسبب موقعه التنظيمي الذي يحول دون الافصاح عن حقيقة الظرف الموضوعي او بسبب معتقده الديني وهكذا فان التحديد الذاتي يعد معياراً زئبقياً تؤثر فيه العديد من العوامل والمتغيرات ويكفي القول بانه ذاتي لا يوضح عدم ثبوته وصدقه لاستجابته للظرف الموضوعي.

هاك مثالاً على ذلك: الموظف الاداري الذي يستخدم الواسطة في تمشيه معاملاته ومعاملات الناس انه يدرك بان هذا التصرف غير قانوني (شعور ذاتي) ويعرف ايضاً ان عوزه المالي وطموحه الموقعي – التنظيمي دفعه الى مثل هذا التصرف لانه غير كفء أو لا يمتلك جميع مستلزمات الهدف الذي يرومه (ظرف موضوعي) لكنه لا يحكم على تصرفه بانه مخالف للقانون وخارج عن المألوف الشرعي والطبيعي وهنا يعني ان احد اطراف المعادلة الخاصة بتحديد المشكلة الاجتماعية قد سقط فهل يُعد هذا الفعل مشكلة اجتماعية يمكن وضعها تحت باب

الفساد الاداري لا سيما وان المنفعلين بظرفها لا يعدونه مشكلة اجتماعية بل يبررونه منطقياً وواقعياً لحماية مصلحتهم الذاتية وموقعهم الاداري.

هاك مثالاً اخر على ذلك: الفرد الذي يسطو على احد المنازل ويسرق حاجات نفيسة منه هل يحكم هذا الفرد على نفسه بأنه مجرم؟ قد يشعر بان سلوكه السطوي مخالف للقانون وقد يكون سبب سطوه عوزه المالي لكنه لا يحكم على سلوكه بأنه مجرم بل من المحتمل ان يندفع نحو عمليات اخرى مخالفة للقانون فهل نعد هذا الفعل (تحت هذا التحديد للمشكل الاجتماعي) بانه يمثل مشكلة اجتماعية؟ هذا المثال ينسحب على المومس والقاتل والجانح والمدمن على المخدرات وغيرها من السلوكيات المنحرفة. اقول اننا غير مقتنعين بنضج ورصانة هذا التحديد لانه قد ينطبق على الفقراء والمتسولين والعاطلين عن العمل لكنه لا ينطبق على غيرها سن الحالات الاشكالية ولكن في تقديرنا ان هذا التحديد النظري يعد تحديداً اولياً ظهر في بداية الاهتمام بدراسة المشكلات الاجتماعية في علم الاجتماع.

هناك تحديد ثانٍ للمشكلة الاجتماعية مشابه للتحديد السابق مفاده «النظرة الموحدة لعدد كبير من الافراد للظروف التي يعيشونها ويعدونها غير مرغوب فيها ويحكمون عليها بانها مصدر مشاكلهم الاجتماعية[٧]. (هذا التحديد طرحه ديفيد دريسلر) على الرغم من غياب حكم الافراد على الظرف الموضوعي في هذا التحديد يبرز سؤال مفاده كم هو «عدد الافراد» لكي يحددوا الظروف غير المرغوب فيها؟ هل يقصد الافراد الذين يحتلون مواقع اعتبارية عالية داخل المجتمع؟ وهم الذين يحددون الظروف غير المرغوب فيها؟ ام يتوجب تحديد نسبة مئوية في المجتمع تمثل الاغلبية لتقرر تلك الظروف غير المرغوب فيها؟ ام اصحاب القرار ورجال السلطة هم الذين يجلبون انتباه عامة الناس للظروف غير المرغوب فيها.

اي ان هذا التحديد يوضح فقط الظروف غير المرغوب فيها هي مصدر مشاكل الناس لكن الواضح والثابت في هذا التحديد هو إتفاق الافراد حول الظروف غير المرغوب فيها واتفاقهم بان هذه الظروف هي مصدر مشكلاتهم ولكن الهنة في هذا

التحديد هو كم عدد الافراد وكيف حصل اتفاق في نظرتهم او توحدها تجاه المشكل؟ فضلاً عن ذلك ان هذا التحديد اغفل القانون الرسمي .اذ أن خرق القوانين الرسمية يعد مشكلة اجتماعية لان وجود القوانين في خدمة المجتمع وحمايته لا يحصل اتفاق عليه من قبل عدد من الناس بل موضوع من قبل الهيئة الحاكمة لحماية المجتمع من العناصر المؤذية له او التي تحاول تخريبه من الداخل. فمثلاً المشكلات المعاصرة في المجتمع العربي وبالذات في المجتمع المصري والسوداني والعراقي والاردني مثل تجارة الشنطه التي تعني التجارة التي لا تخضع لضوابط القانون واللوائح التي تنظم حركة الاستيراد في تحايل وخروج عن القانون التجاري اذ ازدهرت هذه التجارة في العقد التاسع من هذا القرن لاستيراد شتى انواع السلع بدءاً من الاحذية وانتهاء بقطع غيار السيارات وتشكل غالبيّتها بضائع محظورة وتاجر الشنطه هوالمسافر لعدة سفريات تصل الى عشرين مرة في المتوسط ويستورد عدة اصناف اومختلف البضائع حسب حاجة السوق وينتمي تجار الشنط الى عدة فئات مثل الطلاب الذين يدرسون في الدول العربية وتركيا وانجلترا وغيرها فضلاً عن ان الكثير من المواطنين الذين نزحوا من مناطق الانتاج بعد عام الكوارث والجفاف والتصحر (في السودان)والحرب بين العراق وايران ومع العالم والحصار الاقتصادي على العراق. هذه الظاهرة قديمة ترجع الى سنوات خلت عندما عجزت الدولة عن تمويل استيراد السلع الضرورية وما صاحبه من اختلال ميزانها التجاري .وتتركز تجارة الشنطة في المحطات والموانئ في اغلب الاحيان.

هناك تعريف ثالث اوسع تحديداً من التحديدين السابقين وهو ما يأتي:

انها حالة تعبّر عن عدم استقرار (او اضطراب) نمط العلائق الاجتماعية الذي يهدد وجود إحدى قيم المجتمع او إحدى مؤسساته لجعلها غير ملائمة داخل مجتمعها الامر الذي يدفع الافراد بمطالبة اعادة استقرار النمط المهدد او ردع مسببات اضطرابه (٨) . هذا التعريف يوضح شعور الافراد بتهديد احد الضوابط

الاجتماعية (قيمة او مؤسسة) يعيشون معها بحيث يطالبون باعادة نمط علاقاتهم لحالتها السوية الطبيعية وان تغيرها يعني وضعها في حالة غير مرغوب فيها لعدم خدمتها لوجودهم أو لمصالحهم الاجتماعية وهذا يسبب لهم مشكلة اجتماعية او سلسلة مشكلات متتابعة.

نستنتج من هذا التعريف ان الافراد يميلون للتشبث والتمسك بما يضبط حياتهم الاجتماعية لكي لا تضطرب او تقلق. اي يميلون للاستمرار في ثوابت حياتهم (قيم أو مؤسسات) على الرغم من ميلهم نحو تغير بعض انماط حياتهم التي لا تسبب لهم الاضطرابات الاجتماعية او تخلق لهم مشكلات تتطلب معالجات.

ثمة حقيقة طرحها ريتشارد فوللر مفادها عدم تشابه المشكلات الاجتماعية ادى الى عدم تشابه تحديد المشكل. ويضرب مثالاً على ذلك فيقول. اذا اخذنا بطريقة عشوائية عدة مشكلات في مجتمع واحد(مثل طلاق وتمايز عنصري وامراض عقليه وعصبية وادمان على المخدرات) فاننا سوف لا نجد تشابها بينها بل نجد تشعب وتفرع وتعدد اسباب كل مشكل منها سواء أكان في زمانها او مكانها. واذا وجدنا احد الباحثين قد استخدم اطاراً نظرياً في تأطير بحثه لمشكلة اجتماعية فإن اطاره النظري يكون مصطنعاً غير واقعي بل من نسيج تصوره او صناعة خياله. فضلاً عن ذلك فان الباحث الذي يشخص اسباب المشكلة وآثارها على الظواهر والمشكلات الاجتماعية فإن مهمته وقابليته تقف عند هذا الحد ولا يستطيع حلها او معالجتها لان في بعض الاحيان والحالات الوضعية الاجتماعية او المؤسسية الاجتماعية عندما تتبلور فيها مشكلة اجتماعية تعمل على عدم حلها او تزيد من تعقيدها. هاك مثالاً على ذلك: عندما يطرد بعض العمال من العمل في المعمل بسبب نقص في الموارد المالية او بسبب البطالة المقنعة فانهم لا يعادون الى عملهم وهنا يتحجم دور الباحث فلا يستطيع حل المشكل لان المصنع لا يعيد عماله للعمل. وعلى الرغم من هذه الحوائل فان الباحثين الاجتماعيين لم يملّوا من دراسة المشكلات التي يشاهدونها او يعيشونها لان وجودهم العلمي ووقوفهم

على ارض علمية صلبة لا تتحقق الابدراسة المشكلات الاجتماعية ومن هذا الباب استطاع علم الاجتماع ان يدخل الى القلعة العلمية العلوم الانسانية لانها بابه الامامية وغيرها يدها (فوللر) ابواباً خلفيه او جانبيه[٩].

لا أريد ان اثقل على القارئ زيادة في تباينات تحديد هذا المفهوم الذي يملك العديد من المضامين او المتون المتباينة .بل اكتفي بعرض ابرزها واشملها وسوف اتناول بين الفينة والاخرى بعضها عبر سياق الحديث عنها .واجد نفسي ملزماً في هذا الصدد ان اقدم ابرز وجهي المشكلة الاجتماعية وهما الوجه الظاهر والوجه الباطن، يعني الاول الظروف المميزة والمدركة او التي يشعر بها افراد المجتمع ويعدونها مشكلة اجتماعية سواء أكانت بالنسبة لهم أو لجماعة معينة او لمجتمعه لذلك فان ملاحظتها او ادراكها يعني مشاهدة ظاهرها او معرفة وجهها الظاهري وشعورهم بان الظروف التي تبلورت فيها هذه المشكلة باتت متقاطعة مع قيمهم فلا يرغبون بها اوالتعايش معها او فيها.

اقول ان الفرد يلاحظ ظروفاً متقاطعة اوغريبة او شاذة تسود حياة مجتمعه وتوجهها نحو اهداف لا تخدم مجتمعه آنذاك يطلق عليها عبارة مشكلة اجتماعية اما الظروف التي خلقتها فهي ظروف غير مرغوب فيها ومرفوضة لانها لا تخدم المصلحة الاجتماعية العامة بل هي ظروف شاذة.

اما الوجه الثاني(المستتر او المكمون) فانها تعني الظروف الاجتماعية غير المدركة من قبل افراد المجتمع على الرغم من شذوذها او غرابتها او تقاطعها مع مصالحهم ولا يعدوها مشكلة اجتماعية (في كلا وجهيها الظاهر والباطن) بل هناك فئة واعيه تعدها مشكلة اجتماعية. هاك مثالاً على ذلك : زيادة حجم السكان في منطقة معينة قد يسلط الضياء عليها علماء الاجتماع او الاحصاء التي تكون غير مدركه او مشخصه من قبل عامة الناس وهنا لا تعبر زيادة السكان عند العامة مشكلة اجتماعية بل هي مشكلة اجتماعية مستترة لكن بالنسبة لعلماء الاجتماع والاحصاء تعد مشكلة اجتماعية ظاهرة وبعد ان يبرهنوا عليها للناس ويثبتوا حقيقة

وجودها ويكشفوا آثارها السلبية على السكان تصبح آنذاك مشكلة اجتماعية ظاهرة للمجتمع .

ومن باب المقارنة ليس الا ، فان تحديد المشكلة الاجتماعية المستترة لا يتساوق بل يتعارض مع تحديد فوللر وموريز للمشكلة الاجتماعية لانهما حدّداها على انها شعور وحكم الافراد على الظروف غير المرغوب فيها فعدّاها مشكلة في حين يعدّها الافراد الواعون بتشخيص العلة الاجتماعية مشكلة اجتماعية مستترة .وهنا يمكن القول بان من الجائز جداً ان يستمر الافراد في عدم ادراكهم وشعورهم للمشكلة على الرغم من استمرار قيامها وبقاء ظروفها الا بعد ان يقدم العلماء والباحثون الادلة والبراهين والاسانيد على اثارها السلبية وتهديداتها لنمط عيش الناس، انذاك يدرك(الناس) بوجود مشكلة في مجتمعهم .والفرق الجوهري بين المشكلة الظاهرة والمستترة هو وجود وعي او شعور أو ادراك عند بعض الناس للمشكلة ومؤثراتها اذ يكون عدد الافراد الذين لا يعون بها كبيراً جداً بالمقارنة مع الواعين بها وان نوع الواعين بها يكون اكثر ثقافة واعلى مقاماً واعتباراً من غير الواعين بها.

ثمة حقيقة اخرى من المفيد ان انوه عنها من هذا المقام وهي «العامل الزمني ودرجة الاحتكاك الثقافي وسعة التفاعلات الاجتماعية بها » لها الاثر البالغ في ابقاء الوعي وتوسيع مداه وعندما يكون الاتصال مكثفاً مع ثقافات متنوعة ومبنياً على التفاعلات (الايجابية أو السلبية) فإن ذلك يقصّر من الفترة الزمنية في ايقاد فتيل الوعي عند الناس الذي بدوره يزيد من درجة شعورهم بالمشكل الذي يعيشونه بل يزيد من ادراكهم للوجه الظاهري له ويقلل من عدم شعورهم به.

اي ان التوجه الباطني للمشكل يكون صغيراً في عدده ونوعه . في تقديري اذا اردنا استعمال شعور الافراد لعدد ونوع الوجه الظاهر للمشكلات الاجتماعية كمعيار للتحضر والتمدن في المجتمعات الانسانية فان هذا المعيار يزداد استخدامه في المجتمعات المتحضرة والمتمدنه ويقل كثيراً في المجتمعات التقاليدية

والمتخلفة. اي ان شعور الافراد بمشكلاتهم يزداد في المجتمعات المتحضرة والمتمدنة ويقل في المجتمعات المتخلفة والتقاليدية.

ومن هنا يأتي الدور المهم والريادي للباحث الاجتماعي في رصده للمشكلات الاجتماعية ودراستها وتحليلها وطرح اثارها على المجتمع. وفي تقديري ان الباحث الاجتماعي الذي لايستطيع القيام بذلك لا يمكن عده باحثاً اجتماعياً حتى لو امتلك ناصية العلم وآليات البحث الاجتماعي لان المتطلب الجوهري لكل باحث هو امتلاك الحس والملاحظة الثاقبة والطليعية للمشكلات الاجتماعية التي تعيش في مجتمعه وهي في بدايتها قبل ان تتحول الى مشكلة اجتماعية ظاهرة او علنية يطلب العامة معالجتها او قبل تحولها الى معضلة او الى ظاهرة اجتماعية منتشرة.

مراجع الوحدة

1- Fuller, Richard C. 1956 "Sociological Theory and Social Problems".

(ed.) John Eric Nordskog. Henry Holt and co. Inc., Mew York , P.P. 18-24 .

2- Dressler, David 1969 "Sociology"

Al Fred A. Knoph, New York, P.P. 574-576.

3- Eisenstadt, Samaiel, 1957 "Compartive Social Problems" The Free Press, New York P.P. 259-260 .

4- kenkelly, William, F. 1980 "Society in Action" Harper and pub. New York P.P. 422-423 .

5- Case, claryence Marsh . 1971 : What is a Social problems" Harcourt Brace Jovanovich Inc. New York P.P. 6-8 .

6- Fuller, Richard C., 1956 , P. 21 .

7- Dressler, David. 1969. P. 573 .

8- New meger, H. Martin 1971 " The nature of social problems" Harcourt Brace Jovanovich, Inc New York, P.P. 24-25 .

9- Fuller, Richard C., 1956. P. 23 .

الوحدة الثالثة

أسباب المشكلات الاجتماعية

إلماعة عاجلة :

لا يمكن حصر المشكلة الاجتماعية تحت سبب واحد، بل عدة أسباب متفاعلة في بلورة مشكلة تخص مجموعة من الناس تسيء أو تصدع او تعيق او تمزق أو تحرف سلوكهم او قيمهم او علائقهم . ولما كانت المشكلات الاجتماعية واحدة في اسمها وظاهرها مثل الجريمة والانحراف والادمان والفقر والبطالة والطلاق وغيرها ، وتوجد في كل مجتمع إنساني وفي كل مرحلة تاريخية يمر بها بيد أنها تختلف في تحديد اسبابها وفي ادراك الناس لها والحكم عليها ويعدونها مشكلة تسبب لهم الاساءة او التصدع او الاعاقة او التمزق او الانحراف في قيمهم او علائقهم او سلوكهم فإن هذه الاختلافات (في التحديد والادراك والحكم) جعلت الدراسات الاجتماعية في هذا الميدان (المشكلات الاجتماعية) مختلفه في التحليل والتفسير ، على الرغم من لقاء او تقارب اهتمام الباحثين الاجتماعيين بها ومنها . أقول إن الباحثين لا يختلفون في ابراز اهتمامهم حول دراسة مشكلات مجتمعهم بل يختلفون في تشخيص اسباب مشكلات المجتمع لأنها غير متشابهه ومتطابقة في ادراك الناس لها واعتبارها مشكلة، ومردّ ذلك يعود إلى اختلاف ثقافات المجتمعات ومعتقداتهم وقيمهم ومعاييرهم الثقافية- الاجتماعيه. وعلى الرغم من هذا الاختلاف فبأمكاننا إيجاد قواسم مشتركه بين المشكلات الاجتماعيه دون ربطها بنوع المشكلة او تحديد نوع مجتمعها بشكل دقيق ومن هذه الاسباب هي ما يأتي:

(٣/آ/١) الهجرة الخارجية من بلد الى آخر.

(٣/ب/٢) صعوبة تكيف الفرد في مواجهة متطلبات التغيرات الاجتماعية .

(٣/ج/٣) عدم مسايرة النظم الاجتماعية مع تطورات المجتمع الحديثة.

(٣/د/٤) الاحتدام القائم بين المتطلبات والتوقعات الاجتماعية للمجتمع مع قدرات شريحة عمرية معينة. أي عدم تناسب متطلبات المجتمع كأن تكون قيم المجتمع لا تخدم متطلبات الام العصرية التي تعمل خارج منزلها (في شركة او

مصنع او دائرة حكومية او جامعية) او الاختلاف بين الرغبات الفردية والتوقعات الاجتماعية.

(٣/هـ/٥) عجز المؤسسات الاجتماعية في تحقيق او إنجاز اهدافها او غاياتها. ففي أزمة الكساد الاقتصادي الكبرى التي سادت العالم (ابان العقد الثالث من هذا القرن) ظهرت مشكلات اقتصادية واجتماعية لملايين الناس حيث لم يجدوا عملاً يعيشون من ورائه بغض النظر عن نوع مهاراتهم وخبراتهم وتحصيلهم العلمي. فظهور البطالة الواسعة في العمل وانتشار ضعف ضبط المعايير والقيم الاجتماعية داخل المجتمع، ادى ذلك الى ارتفاع معدل الكآبة والامراض النفسية والاجتماعية لدرجة عجزت المؤسسات الصناعية والتجارية والمالية في إمتصاص مشكلات الكساد الاقتصادي المفرزة عنه الامر الذي دفع بالعديد من الناس بالانتماء الى حركات اجتماعية من أجل الخروج من محنتهم الاقتصادية والاجتماعية.

(٣/و/٦) التغير الاجتماعي:

لما كانت الحياة الاجتماعية في تبدل وتغير بشكل مستمر وكان العمر الزمني للوحدة الاجتماعيه او أحد مكونات النسق الاجتماعي(مؤسسة او جماعة او حزب او نقابة وسواها) مديداً فإنه يصبح من الصعب تغيرها عندئذ تبلورت مشكلات اجتماعية تعيق تحقيق التغير واذا كان حجم قاعدة الوحدة الاجتماعيه او احد مكونات النسق الاجتماعي في بعض الاوقات أحد ركائزه القوية التي تثبت بنيانه وفي فترة اخرى يصبح نفس المكوّن – الذي كان ركيزة بنائية– مشكلة اجتماعية فإن ذلك يزيد من إعاقة المجتمع وتطوره.

فالاسرة الممتدة في المجتمع العربي– على سبيل المثال لا الحصر– كانت قبل جيلين او اكثر من الركائز الاصلية في النسق القرابي. لكن بعد ان تغير المجتمع العربي وازداد تحضره اصبحت متطلبات الحياة الحضرية المعاصرة العيش حسب

نمط جديد يختلف عن النمط السابق للاسرة وهو نمط الاسرة الصغيرة(متكونة من جيل واحد- ابوين وابناء فقط-) واصبحت الاسرة الممتده إحدى معوقات نمو الاسرة الصغيره وعائقاً في طريق تطورها لانها تتقاطع معها وظيفياً وبنائياً.

وعلى الرغم من عمر الاسرة الممتدة في النسق القرابي العربي وسعة حجم قاعدتها ، فإنها أصبحت في الوقت الراهن شكلاً تراثياً في النسق القرابي وهذه احدى حالات الفقدان الوظيفي للنسق. ويبدو أن غياب القاعدة الثقافيه في المجتمع يؤدي الى التخلف الاجتماعي ويقود الى تأخير التغير وخضوعه لمؤثرات الصدفه وهذا المؤثر بالذات يخضع لفترة زمنيه غير محددة تأخذ عقوداً من الزمن حسب الظروف التي يمر بها المجتمع.

بَات اذن اساس التغير هو القاعدة الثقافية وغيابها يعني ظهور مشكلات اجتماعية ووجودها يعني دفع عجلة التغير الى الامام . هاك مثالاً على ذلك، لو طبقت طروحات المهندس المعماري حسن فتحي في الانشاءات المعمارية ابان الخمسينات من هذا القرن لحلت مشكلات سكنية عديده في القطر المصري ولم تتأخر ربع قرن اذ ابتكر المهندس المعماري حسن فتحي طريقة استخدام المواد المحلية المستوحاة من حياة الشعب المصري في المباني وحاول أن يطبقها في الخمسينات من هذا القرن عندما كان مديرًا للمباني المدرسيه في القاهره ولكن طروحاته المبتكره لم تلق الاستحسان بل رفضت لكن ربع بعد قرن من طرحه الابتكار تم قبولها وتطبيقها في اسوان حيث بنيت (٣٤) قرية انجزوها خلال عام واحد على الطريقة النوبية. وقد انتشرت طروحاته في دول العالم الثالث لانه اثبتت التجارب بأن نماذجه البنائيه هي التي صمدت في وجه الزمن وعلى اثر ذلك منح لقب احسن مهندس انشاءات في العالم من قبل الاتحاد الدولي للبنائين والحرف التقليدية بالولايات المتحده الامريكية(بريكلايزر إنترناشونال)*

---

* مجلة كل العرب (تصدر في لندن) العدد ٢٨٣ بتاريخ ٢٧/ ١/ ١٩٨٨ .

هذا من جانب ومن جانب آخر فإن احد اسباب التغير الاجتماعي القائد المحوري فإنه على الرغم من اصلاحاته وخلقه إيقاعاً جديداً وانظمة جديدة فإنه يخلق مشكلات اجتماعية لدعاة النظام القديم وللافراد الذين يتمسكون بكل ما هو قائم يخدم مصلحتهم.، أقول إن القائد المحوري يكون عاملاً محركاً لاحداث ظواهر جديدة لكنه بالوقت ذاته يخلق مشكلات اجتماعية للذين لا يريدون أو لا ينتفعون من الظواهر الجديدة التي يبلورها الاصلاح الجديد..

ناهيك عن إن اعتبار واحترام طبقة اجتماعية معينة يخلق مشكلة لتقدم وتغير طبقة ثانية. فإحترام واعتبار الطبقة الارستقراطية او الوسطى يكون حائلاً امام تغير الطبقة الفقيرة ويخلق لها مشكله اجتماعية تطورية. والتغير الاجتماعي الذي تحققه الطبقة الارستقراطيه يكون على حساب تخلف الطبقة الفقيرة او الدنيا وهذه مشكله معيقة لتطور الطبقة الاخيرة.

ومن المشكلات الاجتماعية الاخرى التي يفرزها التغير الاجتماعي تآكل الثقافات التقليدية حيث بدأت تختفي بعض العادات المحلية وخصوصاً في المجتمع التقاليدي مثل المعتقدات وطرق العيش والصناعات اليدوية التقليدية بسبب تحضر المجتمع التقليدي وربطه بالمجتمعات الاخرى بفضل ثورة وسائل الاتصالات (المقروءة والسمعية والبصرية) والمواصلات ، فلم يعد معزولاً اجتماعياً وحضارياً. وفي هذا الخصوص نورد حالة اجتماعية وقعت في المجتمع الايرلندي توضح تآكل بعض الصناعات التقليدية عند جماعة اجتماعية محلية تعيش داخل المجتمعات على جانبي الطرق الخارجية للمدن الكبيرة حيث يقوم هؤلاء بتقديم بعض الخدمات البسيطة للفلاحين في قراهم فهم يبيعون لهم الملابس والحاجيات المنزلية البسيطة ويصلحون لهم ما هو عاطل عن الاستعمال من ادوات منزلية مثل الادوات المعدنيه(كالاواني والاقداح وحافظات الحليب وبقية الأدوات التي يستعملها الفلاح الايرلندي) وتصليح الالات الزراعية. اما النساء فيبعن المسامير والابر وصبغ الاحذية والفرش والسجاد (انهم يشبهون الغجر الذين يعيشون في ارياف اوروبا لكن الايرلنديين يسمونهم بالسمكرية الرّحل.

لكن عندما ازدادت حركة التحضر من مدن ايرلندا الرئيسية(وبخاصة بعد منتصف هذا القرن) أثرت بشكل ملموس على طريقة عيش(السمكرية الرحّل) الامر الذي ادى الى تهشيم حياتهم التقليدية التي اعتادوا عليها فأزيلت تجمعاتهم وأنشئت معامل للصناعات البلاستيكية الخاصة بالادوات المنزلية واصبحت الاسرة الايرلندية الريفية والحضرية تستعمل الادوات المصنوعة من البلاستيك وليس من النحاس او الصفيح وبذا لم تبق الاسر الايرلندية بحاجة الى مصلحين لادواتهم المنزلية، فضلا عن ذلك عندما زادت شبكات الطرق السريعه بين المدن الايرلندية اصبح المواطن يسافر يومياً بسيارته أو بأجرة) الى المدينة لشراء حاجياته وسلعه بدلاً من إنتظار الرّحل لشرائها منهم.

علاوة على استعمال الفلاحين للمكائن الزراعية الحديثة واستغنائهم عن الحيوانات في العمليات الزراعية، مما ادى ذلك الى انهيار تجمعات الرحالة التي كانت تعيش على حافات المدن والضواحي، فبقيت حوالي(٢٥) اسرة تقيم عند حافة العاصمه دبلن في عام ١٩٦٢ وفي عام ١٩٧٦ كان عدد الاسر التي هاجرت من حافات المدن الى داخلها بحدود (٣٥٩) أسرة اي بحدود (٢,٥٠٠) فرد.. لكن عندما استقروا داخل المدن لم يعملوا على تحسين اوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية فعاشوا في فقر مدقع وكانوا يحصلون على قوتهم من تبرعات ابناء المدن وتقوم النساء بالتسول(حيث كانوا يلبسون ملابس ممزقة ومرقعة ويحملون اطفالهم على اكتافهم ويتسولون) وكان الرجال يبحثون عن الالات المستعملة القديمة المتروكة ويبيعونها . جميع ذلك كان بسبب فقدانهم صنعتهم التقليدية (تصليح الادوات المنزلية) التي لم تعد تستعمل لدى الايرلنديين واصبح الرجل يعيش على ما تجلبه زوجته من هبات او صدقات وهذا غير مألوف عندهم فاصبح الرجل مدمناً على شرب الكحول وحصل تبدل في نمط الزواج عندهم من الداخلي(بين الاقارب) الى الخارجي(من خارج علاقات الاسرة القرابية)واصبح عصياً على الابوين السيطرة على سلوك ابنائهم كما هو الحال في الماضي وبقوا

غير قادرين على الاندماج مع طرق عيش المدينة بسبب فقدانهم عملهم التقليدي الحر غير المقيد بساعات عمل يومية وعدم قدراتهم على التكيف مع الحياة الجديده التي لم يألفوها والتي لا رغبة لهم فيها[١].

نموذج آخر يمثل تآكل التراث هو تآكل الوظائف الاجتماعيه للمقاهي الشعبية. ففي المجتمع البغدادي وفي غيره من المجتمعات الاخرى التي تشابه هذا المجتمع الشرقي ادت المقهى ادوارها واحسنت مهمتها وكان الناس يجدون فيها الوسيلة الناجحة في التخلص من حالات السأم والابتعاد عن اجواء الضجر الاخرى وتحقيق اللقاءات الاجتماعية التي يتم فيها استذكار الاحداث ومناقشة الوقائع وبحث شؤون الناس وربما كانت بعض اللقاءات تعقد لمعاونة محتاج او اسعاف طلب بائس او تلبية صوت وجد في ابناء المحلة عوناً على كشف غمته وازاحة همه. وفي نهاية الاربعينات وما تلتها من سنوات ازدهرت اصناف اخرى من المقاهي بعد أن تخصصت مهمتها في استقطاب الطلبة وقد اتخذوا منها اماكن للقراءة الصامتة واصبحت لهذه المقاهي ضوابط مغايرة عن الضوابط المعروفة في غيرها من المقاهي فهي خالية من وسائل اللهو تماماً ويقتصر المذياع فيها على اوقات محددة. وكانت هناك مقاهٍ متخصصة بنوع خاص من اصحاب المهن حيث هناك مقهى خاص بالمعلمين والمتقاعدين وآخر بالتجار وآخر بعمال البناء وآخر للموظفين يقتضي العمل فيه أن يكون في اوقات متقدمة[٢].

ولكن بعد منتصف هذا القرن لم تبق الوظائف الاجتماعية للمقاهي البغدادية كما كانت عليه بسبب ازدياد عدد سكان مدينة بغداد وتوسعها الحضري السريع وظهور نواد ليلية مهنية تضم اصحاب المهن والحرف وظهور نقابات مهنية وحرفية تجمع اعضاءها وغيرها من المؤثرات الحديثه التي اثرت على وظائف المقاهي الاجتماعية وقللت من اهميتها بشكل كبير فحولتها الى اماكن لشرب الشاي او القهوة بعد أن كانت تمثل المجالس والملتقيات الاجتماعيه والمهنية.

وحري بي أن اقول في هذا المقام انه في ضوء التآكل بسبب التحضر والتطور تتعطل وظائف بعض القيم الاجتماعية التي تربط الافراد بعضهم ببعض باشكال تقليدية محافظة ذات صفة علائقية قوية الامر الذي يترك فراغاً في النسق القيمي يتطلب ملؤه بقيم بديلة الا ان هذا الامر عسير جداً ويأخذ وقتاً طويلاً وعندما تتآكل بعض التقاليد الاجتماعية وتتعطل القيم تظهر مشكلة جديدة تعكس ازدياد القلق المتأتي من تصارع طلبات المعايير الاجتماعية غير المنسجمة ومن العلائق الاجتماعية المبنية على المجهولية ذات المصالح ومن الانتماء الى التنظيمات الرسمية الضخمة في حجومها تلك التي تتعامل مع المواقع والادوار وليس مع الاشخاص ومن ترك المعتقدات الدينية وعدم التمسك بها ومن تحول في معايير النجاح الشخصية. تحت هذه الظروف والمشكلات يزداد التحلل الخلقي فيصبح ارتباط الفرد بمجتمعه ضعيفاً ومتأثراً بالمتغيرات المادية ويكون انحرافه عن الالتزام الادبي والخلقي سهلاً بعدما كان عسيرا وترتفع معدلات الجنوح والطلاق والانتحار.

(٣/ز/٧) **الحرب**: التي تسبب عدة مشكلات اجتماعية منها ما يأتي:

آ- **الهجرة الخارجية**: أي إنتقال افراد المجتمع من موطنهم الاصلي الى بلد آخر للاستيطان والعيش فيه. ففي السنوات العشر التالية للحرب العالمية الثانية (١٩٤٦-١٩٥٥) قدر عدد المهاجرين من اوروبا الى ما وراء البحار بحوالي ٤,٥ مليون مهاجر، منهم مليون مهاجر من دول الكتلة الشرقية. اما الباقي فمصدرهم اوروبا الغربية والجنوبية.

ب- **حركات سكانية مضطربة**: وهناك ثلاثة أنواع من الحركات السكانية ظهرت خلال الحرب العالمية وهي ما يلي:

١- حركات السكان امام الجيوش المتقدمة.

٢- الهجرات التي تمت لاغراض سياسية.

٣- الهجرات الضخمة التي حدثت لسد حاجات القوات المتحاربة من الايدي العاملة.

وقد كان مجموع اللاجئين بسبب العمليات الحربية ضخماً اذ يقدر أن عشرة ملايين شخص تركوا الاتحاد السوفياتي امام تقدم الجيوش الالمانية، ومع ان معظم هذه الهجرة عادت الى الموطن الاصلي الا أنها تركت مخلفات تتمثل في أعداد من السكان اقاموا واستقروا في الجهات التي هاجروا اليها حيث طاب لهم العيش هناك. في الواقع تؤثر هذه الهجرات كثيراً على توزيع السكان داخل الدول المهاجر اليها وتجعل النسبة بين سكان الريف والمدن مختلفه وذلك ان معظم المهاجرين يتجمعون في المدن حيث ابواب الرزق والعمل اوفر الامر الذي جعل حكومة الاتحاد السوفياتي تتدخل في إعادة توزيع السكان بعد هذه الهجرات فوجهت أعداداً كبيرة للسكن في الاقاليم الشرقية.

اما حركات السكان بسبب الاغراض السياسية فقد كانت ضخمه ابرزها عودة اليهود الى مواطنهم الاصلية التي كانت المانيا قد إحتلتها خلال الحرب فغادروها

وان كان عدد غير قليل منهم هاجر الى خارج القارة ولا سيما في فلسطين .

ويتمثل النوع الثالث من هذه الهجرات في الملايين التي قصدت المانيا خلال الحرب ذلك إن الجهاز الحربي للمحور كان في حاجة الى تجنيد ملايين الايدي العاملة من خارج المانيا. وقد ارتفع عدد العمال الاجانب في المانيا الى سبعة ملايين منهم خمسة ملايين مدنيون وحوالي مليونين اسرى حرب.

ج- **نقص الزيادة الطبيعية للسكان** : حاول عالم السكان وارن تومسن دراسة الوضع السكاني بعد الحرب العالمية الاولى مركزاً على نسبة المواليد والفئات في الخمس سنوات السابقة على الحرب ١٩١٠-١٩١٤ وفترة الحرب نفسها ومدتها خمس سنوات ١٩١٥- ١٩١٩ ثم الخمس سنوات التي اعقبت الحرب ١٩٢٠-١٩٢٤ فوجد نقصاً كبيراً في الزيادة الطبيعية خلال سنيّ الحرب الخمس عنها في السنوات السابقة عليها والسنوات التالية لها(اي نقص في عدد الولادات أثناء الحرب بسبب التشتت الاسري زائداً قتلى الحرب وضحاياها) وقد إنتهى في بحثه الى تقدير الخسائر السكانية نتيجة نقص الزيادة الطبيعية ونتيجة خسائر الحرب المباشرة للارواح بحوالي ٢٥ مليون نسمة ووجد المشكلة ذاتها في الحرب العالمية الثانية.

د- **تعزيز التفاوت الاجتماعي** عند الغزاة المنتصرين بسبب الحرب التي مكنتهم من الاستيلاء على ثروات غيرهم وأتاحت لهم تقاسم الغنائم وفقاً لرتبهم مما ادى ذلك الى إحداث نظام اجتماعي طبقي متسلسل.

هـ- **معاناة الطبقة الوسطى من الاوضاع الاقتصادية** المضطربه اذ عانت الطبقة الوسطى بعد الحرب العالمية الاولى من تبلبل الاوضاع والارتفاع في الاسعار حيث ازدادت ارباح المحتكرين ومعظم ارباب الصناعات والمصارف.

و- **بروز تناقضات في نظام القيم** : اذ ظهرت هذه التناقضات بعد الحرب العالمية الثانية في المجتمعات الصناعية بين وازع المثل الاعلى المتمثل في النجاح الفردي وفي الانجاز عبر المنافسة وبالتالي في التميز والتفريق والحاجة الى إيجاد

تقدير للمساواة كمعيار أساسي للاستفادة من الفرص وكقاعدة اخلاقية عامة بحيث يتسنى الاعتراف بالانجاز الفردي وتسويغه على صعيد اخلاقي علاوة على المشكلات الواردة فهناك مشكلات اخرى لكنها تظهر اثناء الحرب وليس بعد انتهائها مثل مشكلة الربا وبيع حلي النساء وازدياد محلات واسواق خاصة بالمزاد العلني للامتعة والاثاث المنزلية بسبب الغلاء المرتفع وشحة المواد الغذائية والادوية وعدم قدرة المستشفيات على ايواء المرضى وانتشار الخيالات والخرافات البدائية المتعلقة بظاهرة الحرب وتضخيم أخبار الحرب والمبالغة في عملياتها[٣].

هذا من جانب ومن جانب آخر فقد برزت شريحة متكالبة شرسة مستغلة تبتز الناس في ظروف الحرب تمثل أغنياء الحرب الذين استغلوا حالة الحرب للاثراء على حساب الشرائح الاجتماعية الاخرى .أو إبتزاز الافراد في تحقيق رغباتهم المستجدة في ظروف الحرب مثل تسهيل مهمة تهجيرهم خارج البلد وحصول تأشيرات دخول مزورة الى بلدان أخرى أو تهريب المخدرات، او ادارة الملاهي الليليه ونوادي القمار والميسر او القيام باحتيال ونصب في إنجاز معاملات رسمية حكومية او عقد صفقات تجارية غير قانونية، او الاشتغال في تنشيط السوق السوداء ، او المتاجرة بالاسلحة النارية او العملات الاجنبية الصعبة.

إستغل هؤلاء ظرف الحرب فعملوا بالاتجار غير المشروع وغالباً ما تكون ثرواتهم المنقولة موجودة خارج بلدهم. أي نقلوا أرصدتهم واحوالهم الى البنوك في الخارج تحسباً للمتغيرات التي تطمح بها اعمالهم. انهم لا يشكلون طبقة اجتماعية بل طبقه اقتصادية واعني بذلك إنها تملك المال الوفير والعقارات والمعامل التي جنتها بوقت قصير وقياسي بشكل مخالف او غير مألوف في صيرورة بناء الثروة في الاوقات الطبيعية اذ إنها استخدمت وسائل او طرقاً ملتوية وغير قانونية منتهزة فرصة الازمة الحربية فأثرت على حساب المستهلك لكنها لا تملك جذوراً تقاليدية واسلوب عيش يعكس نفس درجه ثرائها.

اي أنها لا تملك المعايير والقيم والمعرفة الاجتماعية الرفيعة المستوى بحيث تتساوق مع مستوى ثرائها بل متفاوتة في الكم والنوع . إنها طبقة فقيرة في ثقافتها لكنها ثرية في مالها وذكية في استغلالها للفرص لتكثر ثروتها، بيد انها غبية في ادراكاتها وتركض وراء الربح المالي السريع وتبتعد عن مواجهة القيم المعنوية والاخلاقية الرفيعة .إنها طبقة اقتصادية ضارة بالمجتمع حيث تقوم بافساد وتصديع تقاليده ومعاييره الاجتماعية وبالوقت ذاته تعيق اساليب الاستثمار العلمي والموضوعي لانها طبقة ظرفية لا تملك الخبرة الاقتصادية الكافية لخدمتها واطالة عمر بقائها في بناء المجتمع بل تزول او تنهار بمجرد زوال الظروف الطارئة والمستجدة التي سمحت لها بالظهور لكنها تعيق تطور المجتمع وتعرقل مسيرته نحو الأفضل اذ أن من اساسيات تقدم المجتمع ورقيه خدمته اجتماعياً وثقافياً فضلاً عن خدمته اقتصاديا بشكل مدروس متأت من اصحاب الخبرة والدراية الاقتصادية وليس من اصحاب رؤوس الاموال .اذ أن المال وحده لا يخلق الابداع والادراك الخلاّق بل المعرفة الاقتصادية العلمية المتزاوجة مع رأس المال يعملان على بناء الطبقة الاجتماعية الاقتصادية.

(٣/ح/٨) الوهن التنظيمي

من المعروف عن التنظيمات الاجتماعية الرسمية (جامعة، كلية، شركة، معمل، مصنع، مكتب حكومي، حزب سياسي، مستشفى) قيام مواقع هياكلها على التخصصات الفنية والعلمية والكفاءة والخبرة فقط. لكن عندما يتحول المجتمع من مرحلة تطورية الى اخرى(وخاصة في مجتمعات دول العالم الثالث والبلدان العربية من هذا النوع من الدول) فإنها لا تكون قادرة على اشغال المواقع البنائيه المؤسسية بكوادر متخصصة حسب متطلباتها، وذلك يعود إلى النقص أو حداثة تأسيس المؤسسة او عدم وجود اصحاب الخبرة الكافيه لها او ان قسماً منهم موجود لكنهم لا ينسجمون مع اصحاب المواقع العليا عندئذٍ تضطر هذه الدول الى إشغال هذه المواقع من أطر (كوادر) غير مؤهلة لاشغال بعض مواقع بنائية ادارية او فنية فتعين فرداً لا يملك مؤهلات انجازية تتناسب مع متطلبات الموقع الديواني (البيروقراطي) الرفيع او المتقدم على السلم الاداري. وفي هذا الوضع يكون موقف هذه الاطر امام المؤسسة ضعيفاً اذ لا يستطيعون مهاجمة او مواجهة اصحاب المواقع التي اعلى من مواقعهم بل يكونون من رجال الانصات والتأييد والتنفيذ والمتابعة لا يعرفون او يمارسون الرفض او المناقشه او المداولة بل يمارسون اصدار الاوامر الفورية والتعليمات الصماء وعدم فسح المجال للنقاش مع اصحاب المواقع الادنى من مواقعهم لانهم يريدون أن يتعاملوا مع اناس من نفس مواصفاتهم الادارية- النفسية (منفذين وخانعين معاً).

فضلاً عن ذلك، عندما تعتمد المؤسسة على هؤلاء الكوادر في تحقيق اهدافها ومهامها واستراتيجيتها فإنها لا تستطيع أن ترقى بمستوياتها المؤسسية والانجازية بل تصبح اكثر انتهازية من شاغلي مواقعها. واني لأسمي هذه الحالة ب(الفساد الاداري) لانه يشير الى المواقع الادارية التي تُشغل من قِبل اختصاصيين لكنهم غير ملتزمين بالضوابط والنظام الداخلي ويستعملون رشاوي ويستخدمون الوساطات في التعامل الديواني وهذا افراز للوهن التنظيمي المنطوي

على عدم انعكاس ادوار الافراد لمستلزمات ومتطلبات الموقع الديواني الذي يشغله .اقول ان دور الاداري يكون هنا في حالة الفساد الاداري متنافراً مع ما يتطلبه موقعه من موضوعية وحياد اخلاقي وتفكير ابداعي لخدمة المصلحة العامه. واذا كان شاغل الموقع الاداري لا يمتلك مواصفات او مستلزمات اختصاصه فإن هذا هو أول مؤشر للوهن التنظيمي الذي بدوره يبلور مشكلات تنظيمية متسلسلة،منها استقطاب العناصر غير الكفوءه لكي تستطيع تقبل وتنفيذ تعليماته واوامره فتتولد فئة إنتهازية وصولية داخل الجهاز التنظيمي وهذه مشكلة تنظيمية ثانية.

المشكلة الثالثة هي أن التنظيم يبتعد عن تقديم خدمات لصالح المجتمع او ينشغل عن تطبيق اهداف التنظيم الاساسية وهذا إعتلال مهني(مشكلة تنظيمية) ومثل هذه المشكلة تولّد بدورها مشاكل اخرى مبنية عليها مثل الرشوه والبطالة المقنّعة والتعيين بدون منافسة وتراجع في الابداع المهني وهبوط في مستوى الانتاج واصدار نتائج مضللة او كاذبة والاهتمام بالشعارات البراقة والمخادعة والمثالية بعيداً عن واقع العمل التنظيمي. كل ذلك يجعل من اخلاقية العمل التنظيمي في مستوى متدنٍ وضعيف وفاقد لمقومات الرصانة التنظيمية وهذه اكبر آفة عصرية تواجهها مجتمعات دول العالم الثالث (والمجتمع العربي احدها) في تحولاتها الحضرية السريعة.

وفي هذا الخصوص اوضح حقيقة مؤسسية تكشف عن ثلاثة اوجه وهي هناك مواقع ديوانية تمنح صاحبها الاعتبار الاجتماعي لانها تملك مقومات رصينة ويكون شاغلها متمتعاً بمقومات تنظيمية أقل منها او إنه غير مؤهل لاشغالها فيتكسب معنوياً ومادياً منها وتصبح (المؤسسة) في هذا الموقف وسيلة للوصول الى هدفٍ ذاتي فلا تخدم نفسها ولا المصلحة العامة (وهذه مشكلة اجتماعية تشير الى الوهن الديواني).

وهناك مواقع ديوانية تحصل على حركية معنوية من قبل شاغلها بسبب امتلاكه الخبرة والدراية والقدرة على تنشيطها لان مؤهلاته اوسع من شروط إشغالها فهي

تتألق بين باقي المواقع داخل الجهاز الديواني من خلاله ويصبح شاغلها وسيلة لكي تصل المواقع الى اهدافها الديوانية قبل خدمة المصلحة العامة.

ثم هناك افراد يشغلون مواقع ديوانية في الاساس غير مؤهلين لاشغالها لكنهم وصلوا اليها عن طريق التزلف والمداهنة والتملق او العلاقات القرابية مع اصحاب المواقع العليا في الجهاز الديواني.وفي هذه الحالة لا يستطيع شاغلها ان يديرها بكفاءة ، وبذا لا تمنحه الحركية ولا النشاط ولا يحصل على إعتبار اجتماعي من خلال إشغاله لها وبالوقت ذاته لا تمنحه المواقع الديوانية الاعتبار الاجتماعي لانها اكبر واوسع من كفاءته الوظيفية او المهنية فيعمل- لاشعورياً- على تجميد حيويتها بسبب قصور قدراته فلا تكون (المؤسسة) وسيلة لهدفه ولا يكون هو وسيله لهدفها ويكون هذا التعطيل الوظيفي المؤسسي على حساب خسارة المصلحة العامة في الاعم الاغلب .

هذا النوع من الافراد يكون (اسدا) ان جاز التعبير امام الزبائن او المراجعين للمؤسسة من أجل إتمام معاملاتهم ويكون (ثعلباً) مع الموظفين في مؤسسته الذين يحتلون مواقع مشابهة او مقاربة من موقعة ، ويكون (أرنباً) في تعامله مع شاغلي المواقع التي هي أعلى من موقعه .

مثل هذا الموقف يؤدي الى قتل الابداع والكفاءة العالية فتتراجع القدرات والمبادرات الخلاقة التي بدورها تنتهي الى الفساد الاداري والى الاعتلال الوظيفي. أقول ان هذا الفرد يبذل قصارى جهده من أجل المحافظة على موقعه من خلال تنفيذ اوامر شاغل الموقع الذي عينه او نصّبه فيكون عبداً ذليلاً لموقعه ومحتالاً امام الافراد الذين يتعامل معهم ممن يشغلون مواقع ادارية ادنى من موقعه ويكون عنيفاً ومستأسداً امام الذين يراجعون لانجاز معاملاتهم. هذه الحالة المرضية داخل المؤسسة الديوانية تخلق إعتلالاً وظيفياً وبالوقت ذاته تعزز ثلاثة نماذج من الموظفين وهي:

١- **الطفيلي**: الذي يكون هزيلاً في إختصاصه ومتحللاً في التزامه الادبي واحترامه للقيم الاخلاقية القويمة ويتقرب من شاغلي المواقع العليا ويتزلف لهم وبالوقت ذاته فإن شاغل الموقع الاعلى في الجهاز الديواني- الذي لا يتمتع بصفات وشروط موقعه- يبحث عن مثل هذا النموذج لاستغلاله في تنفيذ اوامره الذاتية ويسخره لخدمته وليس للمصلحة العامة.

٢- **المرتزق**: الذي يكون ضعيفاً في تكوينه المهني او بعيداً عن العمل الاختصاصي الذي نصّب فيه هذا النموذج يبحث عنه شاغل الموقع غير المؤهل لكي يتكئ عليه في دفع عجلة المؤسسة عنوة وبشكل صوري - شكلي نحو اهداف مضللة وغير حقيقية.

٣- **الوصولي**: الذي يتمتع ببعض الصفات الاختصاصية المتساوقة مع مواصفات الموقع الذي يشغله لكنه يتملق ويجامل شاغلي المواقع التي أعلى من موقعه من اجل أن يصعد الى موقع أعلى لا يستطيع الوصول اليه حسب المسالك او القنوات الاصولية والقانونية.. هذا النموذج الاداري يزداد عدده عندما يكون شاغل الموقع الاعلى في المؤسسة شخصاً لا تتناسب مؤهلاته لاشغال موقع عالٍ وهذا بدوره يؤدي الى انتشار الفساد الاداري والرشوة وعدم قيام المؤسسة بوظيفتها الاصلية او المخصصة لها من قِبل نظامها الداخلي. إنها مشكلة ادارية- اجتماعية اكثر خطورةً من مشكلة الفقر او البطالة او التسول او التشرد.

هذه النماذج الثلاثة يسميهم الدكتور عبد الجليل الطاهر(اجتماعي عراقي) ب (سد نة الصنم الاجتماعي) اذ قال عنهم «تحيط بالصنم الاجتماعي سد نة قادرة على تزييف الحقائق وتشويه الواقع تتألف من فريقين اساسيين يختلفان في المصلحة والسلوك والتفكير هما فريق من الثعالب المراوغة المخادعة ذات السلوك الحربائي، وفريق من الذئاب المفترسة التي تتحين كل فرصة وتستغل كل مناسبة لتحقيق مآربها وتطمين مصالحها ،ففي الازمات الاجتماعية حين تضطرب

المقاييس ويزداد الشك في السيطرة الصنمية يشيع التلون وتكثر الحيلة المراوغه وعندما يستتب الامر وتمارس وسائل السيطرة نفوذها تبدأ الذئاب في نهش الاعراض وقطع الارزاق وغلق ابواب الحياة.

ان الغاية التي تسعى اليها السد نة محدودة ومؤقتة ومقطعية تتناول مصلحة فئة معينة صغيرة الحجم تغتنم الفرصة فإن هبت الريح من جهتها تستغلها الى أقصى حد وليس من مصلحتها ان توزع الاسلاب والغنائم على عدد كبير من الناس فيجب أن تظهر قدرتها على وضع السذج او الخبثاء من عبدة الصنم في السلم الاجتماعي بحركة رأسية نحو الأعلى ولا تحاول السدنة أن تتعقب أهدافاً سامية عالية وانما تريد تحقيق اغراض مباشرة وآنية». (٤)

جدول يوضح الموقع التنظيمي وانعكاساته الاجتماعية

نوع شاغل الموقع البنائي التنظيمي	القبول الاجتماعي		الاعتبار الاجتماعي		النفاق الاجتماعي		خدمة المصلحة العامة	
	حقيقي	زائف	حقيقي	زائف	عالي	واطئ	ايجابية	سلبية
غير مؤهل		✓		✓	✓		✓	
كفء مهنياً	✓		✓			✓		✓
متزلف		✓		✓	✓		✓	

مراجع الوحدة

1- Kenkelly, William F. 1980 "Society in Action Harper and Row Pull. New yourk .P.P .422- 423

٢- القيسي، نوري حمودي ١٩٨٧« محاولات في دراسة اجتماع الادب» دار الشؤون الثقافيه ، بغداد ص١٥٦,١٥٨.

٣- عمر، معن خليل ١٩٨٢« الحرب ظاهرة اجتماعية لا غريزية » مجلة آفاق عربية، بغداد عدد ٦ ص ٣٢-٣٣.

٤- الطاهر ، عبد الجليل ١٩٥٦« أصنام المجتمع» مطبعة الرابطة - بغداد ص ٧١.

الوحدة الرابعة

الوهن التنظيمي (التفكك الاجتماعي)

إلماعة عاجلة

(٤-أ) البناء الاجتماعي والوهن التنظيمي.

(٤-ب) الاتجاهات الاجتماعية والوهن التنظيمي.

(٤-جـ) القيم الاجتماعية والوهن التنظيمي.

(٤-د) قياس الوهن التنظيمي

(٤-هـ) الوهن الفردي

(٤-و) الوهن الاسري

(٤-ز) اشكال الوهن الاسري

(٤-ح) وهن التنظيم المحلي

(٤-ط) العمليات الاجتماعية والاقليات

(٤-ي) اسباب الوهن التنظيمي

(٤-ك) المشكلات الاجتماعية والاعتلال الوظيفي

(٤-ل) التنظيم الاجتماعي

مصطلحات الوحدة

مراجع الوحدة



إلماعة عاجلة :

جرت العادة عند العديد من الاجتماعيين العرب ترجمة مصطلح (Social disor-ganization) بالتفكك الاجتماعي الذي يتضمن عدم فاعلية أو ضعفاً في حيوية ادوار ومواقع بنيوية داخل التنظيم أو عدم أدائها لمستلزماتها كما هو محدد ومطلوب منها هيكلياً ، الامر الذي بدوره يؤثر على وظيفة النسق أو أنساق البناء أو يحصل توتر شخصي ناجم عن العيش ضمن نسق تنظيمي يصعب التحكم فيه بشكل تام.

ويشير أيضاً الى معاناة الافراد في تحقيق ذواتهم داخل التنظيم بسبب جمود او تكلس بعض من قيمه.

ويدلل على أن النسق التنظيمي لا يكون متناسباً مع محيطه الاجتماعي أو أن النسق التنظيمي لا يسمح بشكل كافٍ لاعضائه أن يحققوا أهدافهم او أن العلاقة التنظيمية بين الاعضاء (من خلال مواقعهم) لا يقدرون فيها على استمرار تماسكهم الداخلي، إنما يحتاجون الى استنباط او استحداث وسائل ادائية جديده لكي ينشّطوا قيمهم ويعززوا ترابطهم ، بغض النظر عما اذا كان حجم التنظيم كبيرًا او صغيراً.

او ان تكون هناك قنوات تواصل غير مناسبَة للتنظيم او لا تمثل مرحلته التطورية او لا تليق باهدافه الرسمية (مثل إستخدام القناة القرابية في الجهاز الاداري او الاكاديمي داخل التنظيم الجامعي. او إن سرعة الحراك الاجتماعي تكون سريعة جداً او راكدة او ناقصة .اوعدم إشتراك المواطنين بتحمل المسؤولية الرسمية، او بالعكس تحميلهم واجبات اكثر من طاقتهم مع منحهم القليل من الحقوق. او اذا قلّت كفاءة التنظيم – على المستوى التنفيذي– العملي بحيث تضعف مقاومته لمواجهة التحديات والصعوبات التي تواجهه عندئذٍ يأتي الحُكم على عدم فاعلية التنظيم الاجتماعي بشكله المطلوب منه (استناداً الى اهدافه ومعاييره)

إعتبارياً وليس تقنياً او مقياسياً بدرجات محدّدة وواضحة. عندها يقال عن التنظيم الاجتماعي بانه لم يقم او يحقق متطلباته بشكل مناسب. أو أن الانماط الاجتماعية فاشلة في المحافظة على تنميط او تنشئة الافراد داخل التنظيم.

لذا وجدّتُ عبارة «التفكك» أوسع من مضمونها المراد تعبيرياً إنما في الواقع هو هفوت في فاعلية ادوار ومواقع النسق التنظيمي وضعف في قابلية الجهاز التنظيمي لادائه الوظائف المنوطة به واجتماع الهفوت والضعف في جهاز تنظيمي واحد يؤديان الى خلق علّة او حالة غير صحية (تنظيمياً) مآلها « الوهن » اي الضعف في القدرة الادائية. من هذا الطرح نفهم أن الوهن التنظيمي لا يعني غياب التنظيم الاجتماعي او إنهياره او زواله، إنما يعني ان بعضاً من عناصره المكونة له تتعطل وظائفها أو أن أحد هذه العناصر لا تكون قادرة على القيام بوظيفتها بكفاءة عالية او كما هو مطلوب منها.

روبرت فارس (احد علماء الاجتماع الحديثين) يوضح بان الوهن التنظيمي لا يشمل كافة مناحي الحياة الاجتماعية بل بعضاً منها. مثال على ذلك مناطق الجريمة او الموبوءه بالاجرام (Slum) كانت قبل خمسة عقود من الزمن تمثل الوهن التنظيمي في المدينة، بعدها تعدّلت الرؤية فباتت تشمل الجريمة والاضطراب العقلي والانتحار والفساد الاداري والفضائح الحكومية جميعها تعمل على تكسّر النظام الاجتماعي. لكن واقع الحال ان الوهن التنظيمي في الوقت الراهن يعني فشل في عمل آلية المؤسسة الرسمية اي تلف او عطب جزئي فيشكل وهناً جزئياً أما الوهن التام فيعني اختفاء التنظيم من الوجود.

ثم أبدى روبرت فارس بعض الاشكال الحديثة للوهن التنظيمي (التفكك الاجتماعي) منها ما يبرره علماء الاجتماع في الوقت الراهن حول الاشكال السائدة في الحياة الحضرية وأعتبارها امراضاً حضرية برزت على صعيد الحياة كثمن غالٍ للتحضر هذا الثمن ظهر على شكل تمزق في نسيج العلائق الاجتماعية وتلف او عطب في العديد من العادات الشعبية والادبية والاخلاقية فالمناطق الحضريه فقدت

العديد من المعرفة الشعبية في تربية ابنائها صحياً وباتت المؤسسات العلمية غير قادرة على (ملء الفراغ) الذي حصل في تربية الناشئة (الابناء) داخل الاسرة الحضرية .وهذا هو احد اوجه «الوهن التنظيمي» الذي اوضح العلل الوظيفية للاسرة الحضرية وفي المؤسسات العلمية التي لم تستطع ان تحل محل الاسرة في بعض الوظائف الاسرية مثل دور الحضانة والمدرسة الابتدائية، أي عاجزة عن اشباع حاجاتها المتزايدة لمواجهة التطورات الحضرية المتمدنة.

وفي مجال آخر- غير الاسرة- ظهرت السوق السوداء- بسبب التضخم المالي في المناطق الحضرية- والبسطات والتهريب وسبل البيع غير القانونية او الرسمية وباتت المحلات التجارية الشعبية لا قيمة لها أو غير فعالة أمام زحف التحضر والتمدن وأضحى الفلاحون يبيعون إنتاجهم الزراعي للحكومة لتضع عليه أسعاراً ثابتة مقررة من قبلها وغالباً ما تكون نوعيتها رديئة وأقل جودة ، وإزاء ذلك فقد الفلاح ثقته بقوة السوق فظهر هناك فساد اداري بين الموظفين وبالذات عند موظفي التموين والتجاره، الذي لم يكن موجوداً في زمن تسويق الفلاح ذاته لانتاجه الزراعي اما الاسباب الرئيسية للوهن التنظيمي فيرجعه روبرت فارس الى زيادة النمو السكاني في المدينة الذي ولّده زيادة طلبات الناس وإحتياجاتهم للخدمات العديده والمتنوعة اضافةً الى هجرة الناس واحتياجاتهم للخدمات العديدة والمتنوعه. فضلاً عن هجرة الناس الى المناطق الحضرية باعداد هائلة جعلها تحتاج اكثر الى الخدمات والسلع الاستهلاكية فحوّلت المدن من منطقة شعبية ذات تراث وطابع قديم الى منطقة عصرية تلبي إحتياجات الناس المتجددة وهذا بدوره عمل على زيادة الانجاب في معدلاته جعل تكافؤاً مع الوفيات وهذه ابرز صفه في المجتمع المتحضر، جدير بالذكر في هذا الخصوص وجود مناطق خاصة يعيش فيها الفقراء ومناطق اخرى موبوءه بالجريمة والانحراف(Slum) ، ومن الظواهر الاخرى الحضرية هي عدم استقرار الحضريين في العيش في مناطق سكناهم بل ينتقلون من حي الى آخر وعدم البقاء او الاستقرار فيها لفترة طويلة من الزمن أو

الى الابد وذلك بسبب الحِراك المهني الذي يتطلب منهم الانتقال سكنياً تباعاً، مع تصاحب سُكنى الاجانب في المدينه وترادف ارتفاع مستوى العيش في المدن الحضرية وتواجد التضخم المالي، كل ذلك ادى الى ظهور « الوهن التنظيمي» في المجتمع الحديث[١].

كلما دلفت الى مدار الوهن التنظيمي تواجهني مهام منهجيه تتطلب مني تناولها ومناقشتها لكي استكشف ما يدور وما يستجد في هذا المفهوم الواسع، فقد وجدت طرح فرانسس ميرل حول هذا المفهوم في المجتمع الحيوي الذي أرجع سبب وجود الوهن الاجتماعي الى تغير في موازين القوى داخل البناء الاجتماعي الذي يعمل على تكسير بعض او تعطيل أحد الانماط الاجتماعية او تعطّل أحد وسائل الضبط الاجتماعية، في حين تتطلب الدينامية الطبيعية في المجتمع إعادة تنظيم وتنسيق الانماط ضمن بنائها بشكل مستمر. إذ أن التغير الاجتماعي يلغي بعض الانماط السلوكية والعلائقية ويطلب بديلاً لها تتناسب مع مرحلته التطورية الجديده لكي يحافظ على استمرارية متانة البناء الاجتماعي لا سيما ونحن نعلم أن سرعة التغير المتواترة تجعل تأسيس او تكوين أنماط علائقية جديدة امراً صعباً ان لم يكن مستحيلاً (لبعض الناس).

هذا من جانب ومن جانب آخر فان المجتمع المعاصر يتصف بعدم انضباطه قيمياً بشكل دقيق وصارم (بسبب التنوع والتباين الاجتماعي الذي يعيشه) بل أن هناك بعضاً من الحرية الشخصية في الممارسة السلوكية والتفكيرية الامر الذي يجعل شبكة العلاقات الاجتماعية الفردية محدودة وسطحية ومصلحية وهذا يساعد على نمو الوهن التنظيمي داخل المجتمع سواء اكان هذا ضمن الاسرة أو الجيرة او المجتمع المحلي او المُجتمع بكاملة. فضلا عن تدني مستوى الاخلاق والاداب العرفية وانتشار الفساد الاداري والسياسي وارتفاع معدل البطالة والطلاق، كل ذلك يعمل على تقويض الروابط التقليدية داخل الاسرة والمؤسسة الدينية ، الذي بدورة يساعد على ظهور حالات غير سوية وجرمية وانحرافية داخل المجتمع.

ثمه موضوع أود التصدي اليه في هذا المقام وهو ان التغير الاجتماعي بسبب عدم اتساق جوانب التغير وبالذات الجانب المعنوي لثقافة المجتمع بسبب رسوخها في بنيان المجتمع وعمق جذورها فيه فيقاوم التغير لكن من اجل بقائه على امتداد الحياة عليه مسايرة التغير فيتغير جبراً وقسراً وليس طواعيةً فيتكيف ببطء وحسب حاجات التغير، ومع ذلك فان بعضه لا يتقبل التغير فيتكسر او يتفتت ويموت فيحصل تخلخل في البنية الاجتماعية وهنا يبزغ الوهن الاجتماعي . فالابتكارات الجديدة تعمل على تبديل بعض العادات والمعتقدات القديمة إلا أن هذا لا يتم الا بعد تمزيق النسيج الاجتماعي الذي يربطها فإذا تمزق النسيج ولم تحل معايير وقيم جديدة محل القديمة ساعتئذ يقع الوهن التنظيمي . لا سيما ان إحلال معايير وقيم جديدة محل القديمة يأخذ وقتاً ليس بالقصير وان تأسيس او تكون معايير جديده يأخذ زمناً طويلاً، واذا طالت هذه الفترات الزمنية فان الافراد يبلورون معايير تتناسب مع مرحلة التطور مرحلياً فالبطالة بين العمال تولد معايير خاصة بهم تختلف عن معايير العاملين.

غني عن البيان لا يوجد شيء أبطأ في تغيره من تغير أفكار الناس، اذ يضحّي بعض الافراد بارواحهم في سبيل الدفاع عن افكارهم التي يعتقدون بأنها صحيحه وتمثل وجودهم الانساني والفكري سواء كانت هذه الافكار دينية او ثقافية او عقائدية او فلسفة سياسية او نظرية إقتصادية . بيد أن الجانب المادي من ثقافة المجتمع يتغير بسرعة اكثر من الافكار ، على سبيل المثال لا الحصر، إبتكار سيارة ذات مواصفا ت ميكانيكية جديدة تخدم حاجة الفرد العصري يتقبلها الناس اكثر من تقبلهم للتغيرات السياسية او تغير سياسة الحكومة او تغير مكانة المرأة في المجتمع او إدخالها الى اسواق العمل بكثافه عالية، او تبني افكار سياسية تخدم مستقبل المجتمع ، جميع ذلك تواجهه عقبات معتقداتية ومصلحية من قبل حامليها بسبب تضررهم من الفكره السياسية الجديدة.

هذا التفاوت في سرعة تغير جزئي الثقافة الاجتماعيه يؤدي الى الوهن التنظيمي داخل المجتمع وهذا هو ثمن التغير لانه لا يمكن ان يحصل تغير دون ان تقع

تشققات في نسيج العلائق الاجتماعية او ذهاب العديد من الناس كقرابين وضحايا لهذا التغير، ان الوهن التنظيمي ما هو سوى ثمن التغير الاجتماعي يدفعه كل مجتمع يمر في حالة تغير بل انه ثمن العصر، ولا يُعد (الوهن التنظيمي) لعنة على المجتمع بل ضريبة التغير او ثمنه الاجتماعي. انه يمثل هزال الوظيفة الاجتماعية للنمط او للنسق او للقيمه او للعلاقة الاجتماعية. فعندها يقول الفرد العربي« هزُلت» على ظاهرة اجتماعية لا تمثل هدفاً سامياً او ما كانت تقوم به سابقاً.

(٤-أ) البناء الاجتماعي والوهن التنظيمي :

في المجتمعات الحيوية (المعاصرة) تتغير عناصر بنائية بشكل دائم ومستمر تُجبر المكانات الاجتماعية وادوارها بالتبدل تباعاً، لكن الذي يحصل غالباً في هذه المجتمعات تلكؤ تبدلها او تباطؤ تغيرها بسبب تعود شاغليها عليها لفترة زمنية طويله وألفتها لهم فتكون مشوشة ومبهمة في نظرهم وهذه اول بذره من بذور الوهن لانه يحصل هفوت في دور المكانة الاجتماعية فضلاً عن ذلك يعمل التغير على عدم إتساق توقعات الادوار الاجتماعية الامر الذي يعيق استيعاب ممارسيها لتوقعاتها اذ تبات له صعبة الاداء وسلوك غير ممكن ممارسته.

فالاسرة في هذه المجتمعات (الحيوية) تطلب من الزوجه أن تكون اماً وموظفة وسيدة منزل وجميله الشكل وانيقة المظهر ورشيقة القوام واجتماعية في علائقها مع الاخرين (الغرباء والمعارف) مثل هذه التوقعات لا تكون منسجمة بعضها مع البعض بل متضاربة ان لم تكن متعاكسة الامر الذي يُربك الزوجة في اداء توقعات ادوارها المتعددة والمتنوعة وبالتالي تكون مشوشة وتفشل في تحقيق احد هذه التوقعات على الرغم من محاولاتها العديدة والصادقة فتجعل عندها القلق والاضطراب الشخصي حالة قائمة مما يدفعها الى الانفراد في وضعها الاجتماعي. لكن مثل هذه الحالة في المجتمعات التقليدية لا تحصل لان توقعات الادوار الاجتماعيه محدده سلفاً من قِبل العادات والقيم الاجتماعية الموروثة ثقافياً من اجيال سالفة.

بيد أنه في المجتمعات الحيوية ذات التغير السريع وتمتعها بتغيرات اقتصاديه سريعه التبدلُ يجبر الفرد على ترك او التخلي عن بعض الانماط الاجتماعية التقليدية. لأن الرجل والمرأة يعيشان تحت ظروف اجتماعية واقتصادية مختلفة ويحصلون على مصدر رزقهم بطرق متباينة ويرعون أسرهم بطرق مختلفة ايضاً ويعيشون في محيطات أسرية مختلفة عن المحيط الاجتماعي الذي ترعرعوا فيه

عندما كانوا يعيشون مع ابويهم ، وهذا يعني أن ادوارهم القديمة غير قادره على مواجهة المواقف الجديدة المختلفة عما واجهوها مع والديهما.

مع ذلك، فان عدة أفراد في المجتمع المتصف بالوهن التنظيمي (تفكك اجتماعي) لا يتصرف بما يُفرض ان يتصرف به من قِبل المجتمع . فالزوجة لم تعد باقية في المنزل دائماً ولا الزوج باقياً بعمله دائماً ولم تعد الاسرة تميل للانجاب المتعدد، ولم تستمر الاسره تسكن في منزلٍ واحد طيلة حياتها ، بل تنتقل من واحد الى آخر، ولم يبق الرجل في المجتمع المعاصر يعيش تحت ظروف حياتية واحدة طيله حياتة، وغير متماثل بشكل تام مع توقعات ادواره ويتمتع بنفس المكانه الاجتماعية.

هذه الحالة تشير في نظر فرانسس ميرل الى الوهن الاجتماعي. اي حصل تغير في حياة الاسرة يتطلب تكيفاً للادوار الجديدة المطلوب منها من قِبل الانساق البنائية واذا اكتسب افراد الاسرة توقعات ادوارهم الجديدة فان ذلك يعني انها (الاسرة) تنظيم اجتماعي متوازن ومتنامٍ اما اذا تُعلّم الاسرة أبناءها توقعات ادوارهم ولايمارسونها على الصعيد الفعلي عندئذٍ يحصل هفوت ووهن اجتماعي داخلها.

(٤-ب) الاتجاهات الاجتماعية والوهن التنظيمي

كما اسلفنا انفاً ان الوهن التنظيمي يبرز من خلال او بسبب التمزق العلائقي الناتج عن التغيرات الصناعية والاقتصادية وهذا يتطلب تكيفاً جديداً من قبل الافراد لما هو مُنتج لكي لا تتوسع دائرة الوهن التنظيمي او لكي لا تطول مدته لان الفرد تحت هذا الظرف لا يستطيع الاستمرار في تصرفه تجاه المتغير الجديد بل عليه تعديله وتبديله فضلاً عن كون دوره التقليدي لم يعد متناسباً مع ما هو مستجد ويضحى هناك اختلاف بين الموقف الاجتماعي والقيم الاجتماعية السائدة افرزه التغير الجديد . لأن لكل اتجاه او موقف هدفاً يريد تحقيقه ولان الاتجاه يملك او يعكس قيمة اجتماعية قائمة، فالاتجاه الاجتماعي اذن حالة عقلية – ذهنية انتجتها طريقة العيش المنبثقة عن الخبرة الذاتية والاجتماعية فالزنجي مثلاً، يتعلم موقفه من الابيض من اسرته الذي بلرته تجربة علائقية مع البيض، اوأن صاحب العقيدة (آ) المتصارعة مع العقيده(ب) يتعلم الموقف الضدي مع (ب) اي الخوض في تجربة متصارعةمع (ب) اي لا توجد خبرة سابقة لهذا الموقف بل هناك إكتساب بواسطة التعلم من الاسرة او الجماعة او الحزب السياسي او الطائفة الدينية،اي ان الخبرات السابقه للجماعات الاجتماعية حول موضوع معين يقدم لافرادها الجديد ويُفرض عليهم عن طريق التعليم وبالذات اذا كان الموقف الاجتماعي يمثل موقفاً عدائياً او سلبياً تجاه هدف معين أو فئة معينة. وهذه احدى التشققات التي تصيب النسيج العلائقي لان الموقف او الاتجاه المكتسب يتم على اساس قاعدة الخبرة الذاتيه.

(٤-ج) القيم الاجتماعية والوهن التنظيمي

تشير المواقف الى طريق شعور الافراد نحو القيم والميل نحو فعل معين وإن العناصر الاساسية في القيمة ما هي سوى المعنى الملتصق بالامال البشرية وطموحها . وذلك لان الاشياء لا يصبح لها أي قيمة ما لم يكن لها معنى. فالمال والعقيدة السياسية او الدينية لا قيمة لها الا اذا التصق بها معنى يوضح أهميتها في الوجود الاجتماعي عندئذٍ تكون اشياء مهمة في نظر الناس بعدها تتحول او تصبح جزءاً من حياتهم الشخصيه. لذلك نجد لكل مجتمع قيمه الخاصة به حاملة معانيها معها تكوّن او تشكّل إرثاً ثقافياً متوارثاً من الاجيال السابقة لذلك تكون لها القدرة في التحكم بسلوك الفراد اليومي، وتحد د ما هو مشكل او غير ذلك. فالطلاق- على سبيل المثال- يعد مشكل لانه يمزق النسيج الاجتماعي الاصغر (الاسرة) والعلاقات الجنسية قبل الزواج تُعد مشكلة إجتماعية لأنها تخلق تشوشاً قيمياً متعلقاً بالطهاره والعفة.

بات واضحاً الآن ان القيم الاجتماعية يمكن إعتبارها نواة التنظيم الاجتماعي لذلك إذا تصدّعت (القيم) فإن « الوهن التنظيمي» يبدأ مفعوله ، من هنا نفهم لماذا دأب علماء الاجتماع بدراسة طبيعة ومكونات ووظائف القيم الاجتماعية، لانه يريد أن يتوصل الى تفهم عملية الوهن التنظيمي التي تعكس عدم انسجام المواقف الفردية مع قيم المجتمع، (بينما يعكس التنظيم الاجتماعي إنسجام الطرفين- المواقف الفردية مع قيم المجتمع-) ويعكس تأثير التغير الاجتماعي القائم على طريقة العيش.

الازمات الاجتماعية والوهن التنظيمي

معظم حالات الوهن الاجتماعي تحصل بسبب حدوث ازمات اجتماعية تعمل على تمزق حاد وجاد في انشطة الجماعة الاجتماعية الذي يتطلب تكيفاً للعادات والاعراف المستجدة لان الوضع الاجتماعي تبدل بالنسبة لها. فضلاً عن كون

الازمات الاجتماعية تولّد عدة ازمات فرديه تلزمهم وتجبرهم على تغيير سلوكهم الذي إعتادوا عليه وألفوه والمشكله تكون أعسر اذا لم يكن لدى الجماعة الاجتماعية بدائل جديدة لما تصدع من قِبل الازمة التي أضرّت بها ، علاوة على ان حالة التكيف لاي انسان لاي شيء جديد لا تكون سهلة او تلقائية لانها تتطلب روحاً معنوية عالية لاستقبال وتبني عادة او معيار جديد لم يتوقعه او متعرف عليه سابقاً فالافراد الذين يجبرون على إكتساب مكانة جديدة وممارسة دور جديد ليس لديهم دراية او خبره سابقه فيه امرٌ ليس سهلاً على الصعيد المعنوي والاجتماعي (الدوري) لكن علينا ان نميز بين نوعين من الازمات لانها لا تكون واحدة بالدرجه والنوع عند الناس فهناك : ازمات مفاجئة تحدث عند ما يقع تكسّر مفاجيء او هبوط حاد في العادات الجمعية بسرعة وبوقت قصير مثل وفاة زعيم امة او مجاعة او دمار طبيعي مثل الفيضانات والزلازل ، مثل هذه الازمات تحتاج الى اعادة تكيف سريع من قبل المتضررين من هذه الازمة المفاجئة هاك مثالاً آخر، إفلاس بنك يتطلب دعماً مالياً من بنوك اخرى لكي يعالج خسارة زبائنه الذين خسروا أموالهم ومدخراتهم واستثماراتهم.

ولان الادوار القديمة لا تكون متناسبه مع الوضع الجديد الذي فرضته الازمه المفاجئه ولا توجد لديها خطة جاهزة لمواجهة الموقف او الوضع المفاجيء عندئذٍ يحصل الوهن التنظيمي لانه يحصل إرتباك جمعي للناس المتضررين من الازمه المفاجئه، ارتباك سلوكي ومعياري وفكري.

النوع الثاني من الازمات هو «التراكمي» الذي يحدث تدريجياً عبر الزمن. مثال على ذلك : تصارع قيم الاقلية مع الاغلبية في المجتمع يولد نزاعات وخلافات اجتماعية على مرّ الزمن ، تتراكم يوماً بعد يوم اذا لم تُعالج في وقتها ومع مرور الزمن وتركها دون حلّ تتفجر الازمة فتخلق « وهناً اجتماعياً» يتعسّر علاجه بسهولة.

(٤-د) قياس الوهن التنظيمي

يمكن تحديد حالة الوهن التنظيمي من خلال المعايير الاجتماعية الاتية :

١- درجة إتزان النسق الاجتماعي ، فالطلاق على سبيل المثال يُمثل وهناً في نسيج الاسرة لانه يكشف درجة تكيف الزوجة لدورها الاسري والزوج لدوره الاسري ومدى نجاحهما فيه فضلاً عن توضيح السبب الذي ربط بين الزوجين هل هو الحب أم المصلحة الذاتية أو النفاق الاجتماعي الذي يعني أن الزوجين مختلفان شخصياً وفكرياً الا ان ازمة اقتصادية دفعتهم الى الزواج.

٢- وهن في المجتمع المحلي المتمثل في فقدان تعاون الاسرة مع المدرسة وعدم استقرار الناس بالسكن في حي واحد فضلاً عن الفساد السياسي وارتفاع معدل الجريمة والاختلاط الجنسي المشوش خارج نطاق الاسرة.

٣- البطالة : التي تساعد على انخراط العاطلين عن العمل على الادمان على المسكرات والمخدرات والعنف السلوكي الجرمي والطلاق وغيرها.

٤- الكساد الاقتصادي : كالذي حصل عام ١٩٣٠

٥- الامية.[٢]

بعد هذا الاستهلال استطيع ان اقول ان الوهن التنظيمي ينطوي على المضامين الآتية:

١- فشل المنظمات المؤسسية في تمتين وتعزيز روابط اقسام المؤسسة وعدم تمكنها من السيطرة عليها الامر الذي يؤدي الى إضعاف قدرة المؤسسة في انجاز وظيفتها بشكله المطلوب[٣]

٢- إنهيار او تحلل العلاقات الشخصانية التي تربط الافراد داخل الجماعات الاجتماعية[٤].

٣- ضعف قدرة المجتمع في إعادة بناء السلوك الرصين ليوجه الافراد نحو اهداف انسانية نبيلة.[٥]

٤- ضعف تأثير المعايير الاجتماعية في توجيه سلوك الفرد نحو اهدافها.[٦]

تشير هذه التحديدات الى أن الوهن التنظيمي يحصل عندما تصاب العلاقات الاجتماعية بين الافراد او بين الجماعات او بين اقسام المؤسسة الاجتماعيه بضعف وهفوت في وظائفها وتتقطع علائقها وتتباعد صلاتها فتكون روابط ضعيفه لا تقدر على جمع العناصر الاجتماعية او الوحدات الاجتماعيه في نسيج محبك.

في الواقع ان الوهن التنظيمي يرجع الى ضعف تأثير المعايير الاجتماعيه او الضوابط المؤسسيه في استمرار توجهها نحو اهدافها ضمن مقاييسها لكي تربط اجزاء الوحدة الاجتماعية بعضها ببعض.

خلاصة التحديد: الوهن التنظيمي يكون نقيض التماسك والتنظيم الاجتماعي بين علائق الافراد والوحدات الاجتماعيه (اسرة او جماعة او مجتمع محلي او مؤسسة اجتماعية رسمية).ولما كان المجتمع الانساني مبنياً على اسس منظمة ومتضمناً أدوات ووسائل ضبطية من أجل استمرار تماسكه وبقاء تنظيمه ، فإن أي تحول او تغير في بنائه او في احد مكونات بنائه يؤدي الى الوهن . اي ان الوهن يقع داخل المجتمع في كل مرة يتعرض فيها المجتمع لعمليات التحول او التغير او التطور لكن هناك درجات للوهن هي: ظاهري ومستتر وجزئي وكلي. اقول ان الوهن ناتج عن ضعف التماسك الاجتماعي والتنظيم الاجتماعي داخل المجتمع وهذا يعني انه لا يوجد مجتمع خالٍ من الوهن التنظيمي لانه لا يوجد مجتمع يمنع تغير ذاته او يقف حائلاً امام تيار التغير بل لا يوجد مجتمع فاضل (يوتوبي) لا يتضمن بعض الوهنات الاجتماعية في علائقه.

ارى من الضروري في هذا المقام ان اذهب الى بعض التحديدات المقاربة لمصطلح الوهن التنظيمي لكي تساعدنا على تسليط الضياء بشكل مكثف من اجل ابراز مضمون المصطلح بصيغته الجلية وحدوده الدقيقة . ابدأها بمصطلح الضبط الاجتماعي لما له من صلة بالتنظيم والوهن النظيمي معاً. اذ انه يعمل على تنظيم

سلوك الفرد ضمن معايير المجتمع وعدم السماح له بالانحراف عنها . هذه الوظيفه الضبطية مهمة وضرورية للمجتمع تغرز وترصن بناءه الاجتماعي. بمعنى آخر إن وسائل الضبط الاجتماعيه (المعايير الاجتماعيه والمحرمات والممنوعات والعيب واللغط الاجتماعي والحسد وسواها) تقلل من حدوث أي شكل من اشكال الوهن التنظيمي وان ضعف تأثيرها على الافراد يزيد من انحرافهم عنها فتزداد حالات الوهن التنظيمي تباعاً. اذن نستطيع ان نضع المعادلة المنطقيه الآتية. ضعف تأثير وسائل الضبط الاجتماعية على سلوك الفرد يدفعه الى الوهن التنظيمي والعكس صحيح.

(٤ -هـ) الوهن الفردي

يعني هذا النوع من الاوهان بضعف الروابط الاجتماعية القائمه بين الفرد والجماعة الاجتماعية التي ينتمي اليها او الجماعات التي إنتمى اليها عبر مراحل نموه العمري. أي أن الوهن الفردي يبدأ من عدم تماثله مع الخلايا الاجتماعية التي يعيش فيها (الاسرة والجماعة العمرية والمدرسة والشلل الصداقية واقاربه) الامر الذي يكون فيه بعيداً عن مؤثراتها وتفاعلاتها فتصبح مكانته واطئة ودوره هامشياً فيها وغير فاعل في مناشطه وقليل الالتزام بمسؤولياته تجاهها ، كل ذلك يجعل منه انساناً غامضاً وقلقاً نحو نفسه وتجاه الآخرين لانه لا يتماثل او غير قادر على التماثل مع معايير وقيم واهداف الجماعات الاجتماعية التي تعيش في اوساطها فيكون شبه منعزل اجتماعياً (منطوياً) وتكون علاقته بها سطحية ومن خلال القنوات الرسمية (وسائل الاتصالات السمعية والمقروءة والمرئية) هذا النوع من الترابط لا يمتن او يعزز تماثل الفرد مع جماعته لانها وسائل إتصال غير مباشرة ، مثل هذا النوع من الاوهان نجده سائداً في المناطق الحضرية. تجدر الاشارة في هذا المقام الى طرح الباحث الالماني إيرك فروم عندما كتب عن موضوع « الهروب من الحرية» شارحاً ومحللاً فيه الفرد المتحضر الذي حررت ذاته من العديد من الضغوط والمؤثرات الاجتماعية التقاليدية في معظم مراحل نمو حياته فبدأ ينفر من الحرية التي كان ينشدها ويصبو اليها لانها عزلته عن باقي الافراد ووضعته تحت رحمة ضغوط التكنولوجيا والديوانية (البيروقراطية)والتصنيع المتقدم التي لا ترحم الانسان ولا تغفر أعماله بل تتعامل معه كما لو كان قطعه مادية في ماكنه حديدية او كحالة من حالات الجهاز الاداري الصرف هذا النوع من الافراد لا يستطيع أن يجد صورته الذاتية والاجتماعية لانه بعيد عن مرآة المجتمع التي تمثل تقويم واحكام الاخرين عليه التي يمكن الحصول عليها بعد تفاعله واقامة علاقات إجتماعية مع مختلف الجماعات الاجتماعية. واذا فقد الفرد أو تعذر حصوله على هذه التقييمات والاحكام فان توافقه مع مجتمعه يكون متعذراً وعسيراً فينعزل

تلقائياً وهذا مؤشر إجتماعي أكيد على معرفة مكانته الاجتماعية داخل المجتمع . كذلك نستدل من خلالها على حركية ادواره الاجتماعية المرتبطة بها وباقي مكاناته الاجتماعية لان معرفة مكانات الفرد وادواره تساعدنا على معرفة شخصيته وفرديته (ذاته الآنوية والنحنوية) هذا من جانب ومن جانب آخر فانها توضح لنا مضامين خبراته لاجتماعية داخل المكانات والادوار التي شغلها ومارسها وبالوقت ذاته نستدل على مواقفه من قيم مجتمعه واذا تم التوصل الى كل ذلك فإننا نتوصل الى فلسفته في الحياة وكيف ينظر الى مجرياتها ومتغيراتها وهذا بدون شك يوضح كذلك مؤشرات ثقافة مجتمعه على تفكيره عن الوجود وعن الانسان ودرجة انسجام فلسفة حياته مع فلسفة مجتمعه . اذ أن تقارب او تساوق فلسفة الفرد مع فلسفة المجتمع في الحياة او الوجود الانساني يحصل كلما إبتعدت عن التمدن والتحضر . اي تتشابه في المجتمعات التقاليديه وتتباين بشكل متكاثر كلما تقدمت من التمدن والتحضر.

اما مكونات فلسفة الفرد في الحياة فهي تتكون من دوافعه الذاتيه وخبرته الشخصية في المجتمع وتحليلاته للظواهر والمشكلات الاجتماعيه التي واجهها ويواجهها . هذه هي في الواقع مواد بناء فلسفة حياة الفرد.

وفي هذا الخصوص يقول العالم الامريكي الحديث هربرت بلومر (يتعرف الفرد علي الاشياء التي تحدث امامه فيحددها اولاً ثم يقوم باختيار أحدها فيتخذ قراراً بحقها وفي ضوء ذلك يهيئ نفسه للقيام بفعل اجتماعي استناداً الى منطوقها وأقيستها) (٧) هذه هي حالة الفرد في المجتمع المتحضر التي تبين لنا - والكلام ما يزال لبلومر - حقيقة الافراد في هذا المجتمع ، انهم لا يخضعون بشكل مباشر الى مؤثرات المعايير وليس جميعهم يلتزمون بها . لذا فإن التحلل (او الوهن) من توجهاتها وتحديداتها يرجع الى قرار نفسه وليس الى الضوابط الاجتماعيه واذا تكرر عدم خضوع الفرد الحضري لمعايير مجتمعه بشكل مستمر فإنه يُعد موهوناً اجتماعياً مثل المدمن على المخدرات والمسكرات المضطرب جنسيا والمريض

عقلياً والمنتحر . اما نظرته وفلسفته للحياة فإنها تكون بمثابة وسيله لتبرير وهنه اذ أنه يعرف ويدرك بانه منحرف عن معايير مجتمعه لكنه قد لا يعرف بشكل كامل دوافع انحرافه.

نستخلص مما تقدم أن تحديد الوهن الفردي يشير الى تكرار خروج الفرد عن معايير مجتمعه بشكل مستمر على الرغم من ادراكه ذلك وفي مكان آخر يقول بلومر « ان التحلل او الوهن الفردي ينشأ من خلال اجواء الاسرة الموهونة اي التي اصابها الوهن التنظيمي ومن ثم ينعكس الوهن الفردي على علائقه المتصلة بمكانات اجتماعية اخرى وقد يؤثر فيها وهذا يعني – الحديث لبلومر – ان الوهن الفردي يتبلور من الوهن التنظيمي الاجتماعي وليس العكس لان الثاني يقع بعد الكوارث الطبيعيه او الاحتكاك الثقافي او الابتكارات الجديده او إعادة توزيع الثروة»[٨]

ويقول جيمس ديفس « ينظر المجتمع للفرد الموهون نظرة دونية ومحتقره ليس فيها ادنى درجة من الاحترام فضلاً عن نظرة الموهون لنفسه على انه انسان فاشل في الحياة (الخاصة والعامة) وهذه حالة مرضيّة تحتاج الى علاج اكثر من الطبي وهي إدماجه في الحياة الاجتماعية لان أحد اسباب مرضه هو الانعزال والابتعاد عن التفاعل الاجتماعي مع أقربائه واصدقائه .

ثمة حالة مرضيّه تعكس الوهن الفردي وهي التحلل المعياري (الانومي) فقد إعتبر إميل دوركهايم الانتحار أحد إفرازات التحلل المعياري او (اللامعياري) وقد حذا روبرت مرتون (عالم اجتماع امريكي معاصر) حذوه في هذا الصدد إذ أن اللامعياري (الانومي) يشير الى فقدان فاعلية المعايير الاجتماعية في توجيه الناس حسب منطقها وهدفها.

هذا الفقدان متأت من غموض او تصادم أهداف المعايير الذي يؤدي الى فشل سيطرتها او الى ضعف تأثيرها . وهناك سبب اخر للانومي صادر عن ضعف

التماسك الاجتماعي بين افراد المجتمع حيث يشعر الفرد فيه بالانعزال والوحدة وعدم إهتمام الاخرين به وغياب العلائق الحميمة وتكون مكانته الاقتصادية واطئة اسهاماته في الحياة الاجتماعية هامشية وبسيطة (توجد من هذه الحالة في المناطق الحضرية في المجتمع المعاصر) وتكون معاييرها لا معنى لها وخالية من الفائدة ولا يجد الفرد الدعم المعنوي من أية جماعة إجتماعية معينة وأن سبيل الحياة الشخصيه والاجتماعيه تدفع الفرد لان يكون في حالة من حالات الاغتراب التي تشير الى عدم شعور الفرد بأنه جزء من المجتمع المحلي او الجماعه المرجعيه. لهذه الحالة الاغترابيه أربعة اوجه صورها ميلفن سيمان وهي ما يلي:

١– الوهن الذاتي: أي الشعور بالضعف الداخلي.

٢– الشعور بعدم اهمية وجوده في الحياة.

٣– الشعور بعقم تأثير المعايير الاجتماعية.

٤– الشعور بالانعزال الاجتماعي.

٥– الاقصاء الذاتي (أي شعوره بوجود مسافه بعيده بين ذاته ومجتمعه).(٩)

في هذا المفهوم نلفت انتباه القارئ الى ما جاء به المنظّر الامريكي المعاصر جورج هومنز حول مقارنته بين الوهن التنظيمي وضعف التماسك الاجتماعي اذ أن كليهما يتصفان بضعف علاقات افراد المجتمع وتوهّن علائقهما وخمول مناشطهما وهزال سيطرة وتوجيه وسائل ضبطهما الامر الذي يؤدي الى ضعف تماسك الافراد داخل الجماعة الاجتماعية وهذا ما يتسم به الوهن التنظيمي والتماسك الاجتماعي اذ أن الاثنين متشابهان في هذه الصفات الاجتماعية.(١٠)

اجد من المفيد الاشارة الى أثر الازمات في خلق وبلورة الوهن الاجتماعي في المجتمعات المعاصرة. تعيش انواع عديدة ومتنوعة من الازمات الاقتصادية والنفسيه والاجتماعية والسياسية (كالحروب والتدمير الشامل والكوارث الطبيعية) التي تعطل وتشل بعض مناشط الحياة الاجتماعية للافراد الامر الذي

يتطلب منهم ان يتكيفوا بسرعة مع الاحداث المتسارعة وغير المرتقبة منها مثل هذه الزلزلة الاجتماعية تربك الفئات الاجتماعية في تكيفها وتعايشها لعدة أحداث غير متوقعه ومتناقضه في بعض الاحيان . على الا نغفل ان قدرة الناس مختلفة ومتباينة في درجة تكيفهم للأحداث غير المرتقبة والاحداث المتسارعة الحدوث وهذا يؤدي الى الاحباط في العديد من مناشط الافراد وقتل طموحاتهم وتعطيل مشاريعهم الفكرية والاقتصادية والاجتماعية.

هذه الحالة تزيد من معدلات الانتحار والسرقة والادمان على المخدرات والمسكرات وانحرافات سلوكية مبكرة عمرياً(اي الصبايا والشباب) بسبب الازمة المفاجئة والمتهورة التي تجبر الافراد على تبني نمط عيش لم يتوقعوه ا أو يألفوه بسبب حداثته.

هذا التحول الاضطراري يزلزل معنويات الافراد ويقلق تفكيرهم ويخرجهم عن نمط العيش القديم الذي ألفوه وتعودوا عليه . وتحت هذا الوضع المتزلزل تزداد حالات الانحرافات الخلقية والجنسية وذلك بسبب انقلاب ميزان القوى الاجتماعيه بشكل مفاجئ وبسبب تمزق شبكة العلائق الاجتماعية وبسبب تصدع البناء الاجتماعي .علماً بان هناك ازمات تراكمية تتبلور عبر الزمن وعلى شكل مراحل الا أن آثارها لا تكون مفاجئة بل متوقعه ومعدل خسائرها شبه معلومة. اقول انها من جملة آثار الازمات المفاجئة.

(٤-و) الوهن الاسري

لقد غطينا بشكل متواضع معنى ومضمون الوهن التنظيمي ، جاء الآن دور تغطية الوهن الذي يصيب أصغر خلية إجتماعية التي تتقطع فيها روابط العلاقات بين افرادها فتصبح واهية الحبكه ومتقطعه في بعض اوصالها وبخاصة الاسرة النووية (المتألفه من الزو ج والزوجة والابناء)فإذا انقطع الرابط الذي يربط الزوج بزوجته او الابناء بابائهم او امهاتهم فإن ذلك يعني وهناً اسرياً . هذا فضلاً عن كون الاسرة جماعة اجتماعية مسؤولة عن تنفيذ الضوابط الاجتماعية على أعضائها داخل الاسرة وعند حصول ذلك فإنه يعني وهناً في أحد مناشرة العائلة .

اما انواع الوهن الاسري فهي ما يأتي : الاسرة التي ليس لديها ابناء والاسرة الارملة والاسرة غير الشرعيه ، والام غير المتزوجة والاسرة المطلقة والاسرة المنفصلة .

لاحظ على هذه النماذج الاسرية انها تتضمن إنقطاع احد الروابط الاسرية ففي النوع الاول ينعدم الرباط بين الابوين والابناء بسبب عدم وجود الابناء (عقم او مرض وراثي) والنوع الثاني وفاة احد الزوجين ويعني انقطاع الرباط الزواجي والنوع الثالث ينعدم فيه الرباط الشرعي بين الزوجين اي زواج غير معترف به قانوناً وعرفاً والنوع الرابع غياب الرباط الشرعي بين الزوجين ولديهما اطفال غير شرعيين والنوع الخامس ينقطع الرباط الشرعي بين الزوجين بسبب الطلاق والنوع الاخير يشير الى انفصال الزوج عن زوجته وعدم استمرار رباطهما الزواجي الذي يبعد الرباط الابوي عن رباط الابناء بهم .

من هذه الامثلة يتوضح لنا غياب الرباط الوجداني والقانوني داخل الاسرة الذي يعني وهناً الذي يؤدي بدوره- في اغلب الاحيان- الى عدم إدامة او صيانة النسق الاسري داخل الهيكل الاجتماعي (البناء الاجتماعي) فضلاً عن ذلك فإننا نتوصل الى حقيقه جوهرية مفادها ان الخليه الاسرية اساس لتنظيم المجتمع ووهن وظائفها او هفوت حيويتها يعني اضطراباً في مناشطها ووهناً في تنظيمها الصغير .

والوهن الاسـري لا يعني فقط الانواع التي ذكرتها آنفاً بل يشمل عدم توافق الأبناء لسلطة احد ابويهم ، لكن الرباط الاسـري بين الابناء والابوين يبقى قائماً وسائداً داخل الاسرة، بيد أن هناك فجوة تفاعلية وعلائقية بينهما وهذا يشير الى الوهن الاسري المستتر لانه لم يصل الى انهيار بنية الاسرة ولم يقترب من تمزيق نسيجها العلائقي بل مكمون بسبب خوفهم من كلام الناس او من احدى وسائل الضبط الاجتماعي (الحلال والحرام أو النبذ الاجتماعي او النميمه وسواها) عليهم او التمسك الديني وما شابه. وهناك حالات يحصل اختلاف بين الزوج وزوجته عند حصول خيانة زوجية وبسبب قيود دينية صارمة على الطلاق تبقى العلاقة الزوجية الشكلية قائمة لكنهما منفصلان نفسياً وجنسياً. وهناك حالة اخرى من الوهن الاسري المستتر مثل: عندما يحفز النظام الاقتصادي اشتغال الام اربعين ساعة اسبوعياً خارج منزلها مما يبعدها عن اسرتها وجدانياً واسرياً وزواجياً .هذه الحالة تجعل منها أُماً شبه غائبة عن اسرتها فتحصل صورة صغيرة من تقطع الرباط الزواجي والامومي لكن من النوع المكمون والمحمي من قِبل النظام الاقتصادي.

ولكن هذا لا يعني أن اي تغير يحصل في المجتمع يؤدي الى الوهن الاسري.بل هناك حالات تبقى الاسر فيها محافظة على رصانتها وروابطها وبنيتها وهي في حالة تغير. فالاسرة التي تقطن في المناطق الحضريه تواجه تحولات عديدة ، يتأثر بعضها بطبيعة المنطقة السكنية ولا يتأثر البعض الآخر. هاك مثالاً على ذلك:

١- تنوع ادوار الاسرة وتباينها بشكل متقارب، الامر الذي يتطلب منها أن تقرر احد انواع الادوار الذي يتناسب مع قدرتها ومكانتها.

٢- عدم الرضا مع دورها القائم اذ خلق او انتج التعليم العالي للزوجات اللواتي حصلن على الشهادات العليا في التعليم مطالبتهن بالمساواة مع الرجال في العمل والمسؤولية الزوجية والاجتماعية.

٣- عدم نضج الدور الخاص بالمرأة من الناحية الاجتماعية او عدم استقراره وتحديد نظرة المجتمع له بشكل قاطع وحاسم [١١]

ولكي نلقي الضياء بشكل واسع على الوهن الاسري علينا ان نتعرف على حالة (الاعتلال الوظيفي للاسرة) اذ اننا ذكرنا آنفاً إنقطاع احد الروابط الاسرية بين اعضائها ، فنحن نعلم ان الوظيفة الاساسية للاسرة هي (الوظيفة الضبطية) اي توجيه وارشاد ابنائها حسب القيم والمعتقدات السائدة والموروثه في المجتمع. فإذا حصل خلل في هذه الوظيفة، فإن ذلك يعني وهناً اسرياً اصاب وظيفتها.

ثم الوظيفة الثانيه هي الحياتية (البايولوجية) التي تعني انتاج اعضاء جدد لها وتأنيسهم حسب متطلبات التنشئه الاجتماعيه السائدة في المجتمع ، فإذا انعدمت هذه الوظيفه بسبب مرض احد الزوجين او عقم احدهما فإن ذلك يعني وهناً اسرياً اصاب وظيفتها.

الوظيفة الثالثة هي الوجدانية - العاطفية التي تقدم الحب والحنان والدفء للعلائق الاسرية ، فإذا شُلّت او غابت داخل المحيط الاسري فإن ذلك يؤدي الى الوهن الاسري ايضاً.

ان التغير الذي يحصل في البنية الاسرية لا يعني تحطم الاسرة أو فناءها بل انه يجري تحول في مكانة الزوج او الزوجة او كليهما او في حجم الاسرة او في مستوى معيشتها فيحصل نوع من التبدل في الوظائف القديمة لكنها لا تموت او تفنى بل تتحول الى حالة اخرى وعندما تنتقل الى المرحله الثانية لا يحصل وهن بل تحول في وظائفها.

(٤-ز) أشكال الوهن الاسري :

حدد وليم جود عدة اشكال للوهن الاسري:

١- المغادرة الاختيارية (طلاق، انفصال، هجران ، متطلبات العمل الي تطلب الفراق بين الزوجين لفترة طويلة من الزمن)

٢- عدم إكتمال وظيفة وحدة الاسره مثل عدم التزام أحد الزوجين بمسؤوليته المحددة من قِبل المجتمع لاسرته، أو فشل احدهما في اداء دوره / دورها - كزوج او كأب/ كزوجة او كأم فيما يخص الضبط الاجتماعي ، او الاسره غير الشرعية.

٣- تغير او تبدل مفهوم الدور الناتج عن تأثير التغيرات الثقافية الذي بدوره يؤثر على علاقة الزوج بزوجته، فتكون المحصلة النهائية صراع احد الابوين او كليهما مع الابناء.

٤- المأوى الفارغ : الذي يعني عيش الزوجين في منزل واحد وتحت سقف واحد ويمارسان قسطاً قليلا من التواصل العائلي والتفاعل اليومي الا انهما فاشلان في ممارسة التزاماتهما في تقديم او تعزيز عواطفهما بعضهما لبعض.

٥- ازمات عائلية بسبب الاحداث الخارجية المتأتيه بحدوث الموت او سجن احدهما او الفيضان او الحرب او الكساد الاقتصادي الذي يضر باحدهما.

٦- كارثة او نكبة داخلية تسبب فشل احدهما في ادائه دوره الإسري (اختيارياً) مثل المرض العقلي او العاطفي او الاعاقة الجسدية او مرض مزمن لاحد الابناء.

هذه هي اشكال الوهن الاسري التي تشير الى ضعف او فقدان او شلل إحدى الوظائف الدورية المناطة اليها من المجتمع لتقوم بها داخل تنظيمها الصغير الامر الذي يعني أداءها مهامها الاسرية بشكلها التام داخل المجتمع.

اذهب الآن لتوضيح كل شكل من هذه الاشكال بشكل مفصّل:

١ - **المغادرة الاختيارية**: الذي يسبب خللاً في الاداء الوظيفي الاسري المتسبب عن الطلاق او الانفصال او الهجران او متطلبات العمل المهنية، هذه الرؤية متأتيه من التفسير الديني وارث المجتمعات المقدس الذي ينص على رضى وقناعة وحاجة ورغبة الزوجين بالاقتران ببعضهما البعض والعيش معاً وبناء خلية اجتماعية. لكن هناك بعض الحالات يكون فيها الزواج غير متمتع برضى او قناعة الزوجين او احدهما بزواجهما لكنهما مستمران بزواجهما (خوفاً من ضغوط المجتمع العرفية او الدينية او كلاهما) وهناك حالات في المجتمعات ما قبل التصنيع تؤكد على العلاقة القرابية اكثر من علاقة الزواج ويكون الابن الاكبر هو الموجه لشؤون الاسرة ويتدخل الاهل في اختيار الشريك للابن او للبنت والتدخل السافر في شؤون وعلاقة الزوجين وهنا تكون العاطفة ضعيفة اي العلاقة العاطفية بين الشريكين لا تكون حاضرة او لا تربط بينهما بل الزواج تم لتمتين رابطة اسرتي الشريكين او تعزيز العلاقة الدموية بين الاسرتين ولا يهم نجاح او فشل الزواج، مع ذلك فإن التوترات العلائقية بين هذين الزوجين ومشاكلهما تكون قليله وذلك بسبب الضغوط الاسرية والدينية الموجهة عليهما. اي رباط زواجي ضبطي عرفي لا عاطفي او علائقي بين الزوجين فيحصل عدم الوئام الذاتي والانسجام العاطفي بل اداء واجب اجتماعي قيمي لا غير فتكون المغادرة من الرباط العاطفي قائمه منذُ ارتباطهما القيمي ويكون الضعف او الوهن باطنياً- جوانياً انما الواجب القيمي والديني يفرض على الزوجين بقاءهما في الخلية العائلية. واغلب الزيجات في المجتمع العربي في الوقت الراهن ومعظمها في العقود الزمنية الماضية تمثل هذا النوع من الزواج الذي يعده وليم جود ممثلاً للوهن التنظيمي.

٢ - **لكل مجتمع قانون وضعي** يؤكد على أن لكل طفل أباً شرعياً يحمل اسمه ويرعاه ويمثلة امام الناس (تربطه رابطة دموية بايولوجية) وخلاف ذلك لا يكون الابن شرعياً ولا تكون الاسرة وحدة اجتماعية مكتملة. فالقانون اذن يحدد شرعية

الابوه وبها يُلزم الاب التزامه بدوره كأب ويُلزم ايضاً (القانون) الام الشرعية بدورها الامومي اي يحدد العلاقة الدموية بين الابن/ البنت والابوين . فالمجتمع اذن يهتم بالشرعيه لانه هناك علاقات جنسية تحصل خارج حدود الزواج والمجتمع لا يعترف بالابن غير الشرعي كعقوبة يضعها على المنجبين وتقديس الرباط الزواجي– بذات الوقت – وفي هذه الحالة لا يكون دور الاب والام غير الشرعي / غير الشرعيه تستطيع ممارسة دورها كأم اوكأب تجاه الوليد لانه لا تجد اسرة مكتملة الادوار تُمارس فيها الادوار الرئيسية (الاب او الام) . اكثر دول العالم يكثر فيها الابناء غير الشرعيين هي دول شمال غرب اوروبا (الدول الاسكندنافيه والمانيا) .

٣– **يبحث الشباب في مرحلتهم العمرية** عن قيم جديدة ومواقف حديثة من اجل تحقيق اهدافهم الجديدة والمستجده والمتبدلة ليعبّروا عن مشاعرهم وافكارهم وطموحهم آخذين بعين الاعتبار وضعهم الذي يعيشون فيه وسبل عيشهم المستقبلي. بتغير أدق يرفضون باصرار القيم التي يحاول الوالدان غرسها فيهم ، فلا يخضعون للقواعد والقوانين القديمة الخاصة بسلوك الشباب والجنس ولأنهم يريدون ان يظهروا بأبهى صورة وافضل موقع. وهذا هو بداية الصراع الذي يقع بينهم وبين والديهم ، والصراع يقع سواء كان موقتاً مرحلياً ام دائماً وهو بدوره يعزز رباطهم الصداقي باصدقائهم من نفس الشريحه العمرية اكثر من علاقتهم بوالديهم لان هذا الرباط الشبابي يقدم لهم الدعم لافكارهم وطموحهم ولئن معايير هذه الشريحة تبتعد ان لم تكن متخالفة مع معايير والديهم . فضلاً عن تأثرهم (الشباب) بوسائل الاعلام المرئية والمسموعة والمقروءة وبالذات في المجتمعات الغربية .بات اذن الخلاف والصراع ليس بين شريحتين عمريتين متجردتين من معاييرها وقيمها ونهج تنشئتها بل هو صراع جيلين مختلفين في المعايير والقيم والاهداف . وهذا هو جوهر الوهن الاسري. لا يفوتني أن أشير الى انه عندما يتغير المجتمع ببطء فإن حدة الصراع ونوعه بين الابناء والابوين تكون ضئيلة بسبب

تباين قيمهما بشكل كبير بل متباينه بشكل واضح انما لا تصل الى درجة التصادم والتقاطع لكن اذا تغير المجتمع بسرعة فإن قيم الابوين والابناء تتباعد بعضها عن البعض باهدافها وتتشعب تقاطعاتها وتتعاكس خبراتها وحتى ضمن المرحلة العمرية الواحدة يحصل اختلاف في خبرات الجيل الواحد . هذا الصراع في الواقع راجع بالدرجة الأساس الى التغير الاجتماعي فالجيل الحالي يتمتع بحريه فرديه اكثر من الذي سبقه اي اكثر من والده عندما كان شاباً بعمره، وله هوايات واهتمامات متعددة ومتنوعة متعلقة بالشؤون الفنية والرياضية والاعلامية والسياسية، التي بدورها تسحبه من الضغوط الاجتماعية والاسرية وبالذات من والده حتى انه لا يهتم بهموم مجتمعه الكبير وتاريخه .

كانت معظم المجتمعات تعيش – في الماضي – ضمن روابط عائلية محبكة ومتماسكة فضلاً عن شبكة العلاقة القرابية – الدموية التي منحتهم الدفء والحنان والرعاية الصميمة، لذا لم يستطع الشاب انذاك الهروب من هيمنة اسرته على تصرفاته واذا خرج الشاب او الشابه عن هيمنه اسرتها فان ذلك يعني حدوث كارثة داخل اسرته / اسرتها وكانت البنت خاضعه تماماً للرجل (الاخ والاب والزوج).

لكن الآن وبسبب التغيرات الاجتماعية تغير الوضع اذ هناك فجوة كبيرة بين الابناء والاباء تتسع مع تسارع التغير الاجتماعي. اذ هناك حالات يتمرد الابن على والديه ويعمل ما يريد او ما لا يريده والده منه وبخاصه حالة اختيار شريك الحياة او تركه للمدرسه او اختيار اصدقائه ممن لا ترغب الاسرة بمصاحبتهم او السهر لساعة متأخرة في الليل او شرب الخمرة او لعب القمار وسواها . وهذا هو الوهن الاسري. أما في حالة الام فانها قد تتعاطف مع ابنتها في معاناتها القهرية والقسرية التي يسببها لها والدها او أخوها لانها تتذكر معاناتها عندما كانت شابه قبل زواجها – مع والدها واخيها لكن ليس باليد حيلة .او قد تساعد ابنها المتمرد مساعدة ماديه بالسر وليس علانية دون علم الاب / الزوج. لا تتمشى أثارة المتمرد مشاكل مع اخوته وتسلطه عليهم كرد فعل السيطرة والده عليه. مع ذلك يبقى الابناء يعانون سيطرة والديهم حتى بعد زواجهم لكنها تزول بعد وفاتهم او وفاة احدهم.

٤- **المأوى الفارغ او العش الزوجي الفارغ**: عندما تفتر العلاقة العاطفية بين الزوجين بحيث لا يشعر أحدهما بوجود الآخر او بأهميته في حياته الوجدانيه أو ينظر كل منهما للآخر على انه غريب، عندئذٍ تصبح خلية الاسرة فارغة في مشاعرها وواهية في روابطها العاطفية وتضحى عواطفهم غير مشبعة وتمسي التزاماتهم الاسرية (كزوج او زوجة) شكلية فارغه من روحها، إنما يبقيان مترابطين اسمياً وظاهرياً دون طلاق او انفصال بينهما . هذا النوع من الوضع الاسري يشوبه العنف والشجار المستمر الذي يعمل على اذابة السعادة الزوجية وروح المرح بينهما وهذا يعني ان تفاعلاتهما لا تحدث إلا عند الضرورة والحاجة اما نقاشاتها في شؤون المنزل والاسرة وميزانيتها المالية لا تحدث واذا حدثت فتنتهي بشجار وعراك وزعل. اما تفاعل الابناء مع والديهم فتحدث عند الضرورة ايضاً وحسب التزاماتهم العامة خالية من تعابيرهم الودية ومشاعرهم الحارة او الوديه- على الاقل-.

وازاء هذا الوضع الاسري المتوتر والخالي من الروابط الوجدانية يكون الزوج مهتماً بعمله ويمول اسرته باحتياجاتها وتكون الزوجة مهتمة بشؤون المنزل والمطبخ والرضاعة والعناية بالاطفال عندما يمرضون ومتابعة الابناء في مدارسهم . اي ارتباط آلي ميكانيكي خالٍ من روح العاطفة والمودة والالفة بين اركان وحدة الاسرة. إذ أن كل واحد منهما(الزوج/ الزوجة) يتربص للآخر ويلتقط زلاته وهفواته وأخطاءه ليحاسبه عليها وعلى قصوره في مسؤولياته الاسرية. وهنا يكون احد الزوجين قوياً في شخصيته والآخر خانعاً منصاعاً مغلوباً على امره .ان بقاء الزوجين على هذه الحالة دون طلاق او انفصال يرجع الى خوفهما من كلام الناس والجيران والاقارب ولمواصلة رعايتهما لابنائهما ولعدم مخالفة التعاليم الدينيه التي ترى الطلاق شيئاً بغيضاً. لذا نجد هذا النوع من الاسر يتحرجون من زيارة الاصدقاء (اذا زاروهم او زارهم الاصدقاء) ويخجلون من مناقشة مسؤوليتهما الابوية / الامومية امام الاصدقاء او الاقارب بيد أن الجيران

يعرفون برود العلاقة الزواجية بين هذين الزوجين وعن مشاركتهما السطحية بالانشطة الاسرية والاجتماعية وفقدان المتعة والبهجة عندما يكونان معاً كالتي تتمتع بها الاسرة السوية لكن هذا النوع من الزوجين يحترمان دورهما الجنسي الا انها تكون نادرة الاتصال ومن النوع البارد خالية من المتعة الطبيعية.

ليس هذا فحسب بل انهما لا يفسحان المجال او لا يعطيان الحريه لابنتهما كباقي بنات الاسر السوية في علاقتها مع الاخر بل يكونان محافظين تجاهها يضعان العديد من الضغوط والحوائل والموانع امام علائقها مع الاخرين او حتى في ممارسة هواياتها وزيارة الاماكن الترفيهية لذا تقضي معظم وقتها جالسة بالدار. وازاء الشجار والعراك المستمر بين الزوجين فإن ابناءهما يفكرون بالخلاص من هذا المناخ الحاد والمشحون بالمشاكل اليوميه وذلك عن طريق الزواج بأي طريقة وشكل ويأخذون قرارهم بهذا الشأن بعيداً عن استشارة الابوين انما يخبرونهما قبل الزواج بفترة قصيرة. اي يتزوجون لكي يهربوا من جو أسرتهم المليء بالمشاكل. وهذا هو الوهن الاسري. انما هذا النوع من الاسر يقل وجوده بين الاسر الكبيرة الممتده (ثلاثة اجيال تعيش في منزل واحد- الاجداد والابوين والابناء- الاحفاد) لان اعضاء الاسر يحصلون على الارضاء النفسي والاجتماعي من خلال تفاعلهم مع باقي افراد الاسرة الممتدة خارج حدود اطار الزوجية (الابوين) ومشاركتهم عواطفهم واحاسيسهم او مساعدتهم في اتخاذ القرارات السوية والناضجة سواء كان من الاجداد او الاخوال او الاعمام او أبنائهما .

٥- **الازمات الخارجية**: كالحرب، الكساد الاقتصادي، الكوارث الطبيعية، موت احد الزوجين، اذ تؤثر على درجة تكيف افراد الاسرة لهذه الاحداث بعد أن تخلق لها مشكلات اقتصاديه ونفسية واجتماعية. لان الاسره لا تستطيع التحكم بهذه الازمات التي تحدث خارجها اولاً ولانها تعمل على فقدان احد اركانها او تعيق تحقيق طموحاتها حيث البطالة الناتجة عن الكساد الاقتصادي يؤدي الى افقارها وارباك ميزانيتها المالية وبالتالي لا تستطيع تحقيق العديد من احتياجاتها المادية،

او اذا اشتغلت الزوجة خارج المنزل والاولاد كذلك فإن ذلك يعني انهماك كافة افراد الاسره بالعمل من اجل العيش بالمستوى المطلوب لها وهذا يخلق وهناً اسرياً داخلها يفقدها نسيجها العاطفي المحبك.

٦- **نكبات داخلية**: مثل الامراض العقليه والعصبيه التي تعطّل ممارسة دور احد الابوين داخل الخلية الاسرية، لانها تدمر امكانية او كفاءة او طاقة أحد الزوجين في استمرار رعاية الاسرة. ففقدان البصر او السمع او الاصابة بمرض الشيزوفرينيا (انفصام الشخصية) يعسّر تكيف افراد الاسرة للمواقف التي تواجهها فتجعل من المصاب انساناً مزاجياً متقلباً في مشاعره وآرائه حسب وضعه الصحي والنفسي وما على افراد اسرته الا أن يتكيفوا لحالة الاب او الام المعوقة في استمراريه عيشها/ عيشه داخل الاسرة. او حتى في حالة عوق احد الابناء بالولادة او بالاصابة بامراض مزمنة مثل ورم بالدماغ او يولد اخرس او اطرش او اعمى يؤثر على الحالة النفسية والاجتماعية للاسرة فيخلق عندها الوهن الاسري على الرغم من منح الابوين لابنهما المعاق الرعاية والعطف والحب والحنان.

في الواقع هذه الحالة توثر على الزوجة اكثر من الزوج بغض النظر اذا كان المريض ولداً وبنتاً، بينما يتأثر الاب اكثر اذا كان المريض احد ابنائه (ولد) وتتأثر الزوجه اكثر بسبب تأثر زوجها ومرض ابنها ويرغبان في ارسال الولد للمصحات اكثر من رغبتهما في ارسال ابنتهما للمستشفى او المصح.[١٢]

(٤-ح) وهن التنظيم المحلي :

لا نكتفي بعرض الوهن الاجتماعي التنظيمي والاسري بل نتناول وهن التنظيم المحلي (المجتمع المحلي) أي التعصبات والتحيزات العرقيه والعنصريه والقبليه داخل المجتمع المحلي، اذ يحصل تعصب عرقي في سكان عرق واحدٍ معينٍ وعدم السماح لعِرق آخر بالسكن معهم والتعاطف والتمسك بعلائق أبناء عرقٍ واحدٍ ضد عرقٍ آخر . وهناك صورة انطباعية مسبقة بين اعراقٍ معينة بحيث لا يقبل عرق معين من الناحية النفسيّة عرقاً ينفر منه ويبتعد عنه ولا يقبله كجار له، أو أن يلعب أبناؤه مع أبناء ذلك العرق المرفوض نفسياً. إن مثل هذه النظرة المتعصبة تمزق الروابط الاجتماعية في منطقة الجيرة داخل المجتمع المحلي الذي يتصف بالتعاون والتماسك من أجل خدمة المصلحة العامة من خلال الجمعيات ذات النفع العام والجمعيات الخيرية.

هذا من جانب ومن جانب آخر، فإن إنتقال الاسرة من مجتمع محلي الى آخر يعد مصدراً ثانياً في تمزيق المجتمع المحلي ووهنه تنظيمياً لانه بعد أن تستقر الاسرة في مجتمع معين(محلي) وتتكيف لمحيطه وتبني فيه علائق إجتماعية وطيدة يصعب عليها تركه بسبب ألفتها ومودّتها للاسر التي عاشت معها في مجتمع محلي واحد وتنتقل الى مجتمع آخر لا تعرف احداً فيه او الذي تعرفه تكون معرفتها به سطحية.

فضلاً عن ذلك فإن هناك انقسامات تحصل داخل المجتمع المحلي مثل الانقسامات الدينية والعرقية والاعتبارية، جميع ذلك يؤدي الى الوهن التنظيمي المحلي. أودّ هنا أن أفصّل حديثي عن التحيز الاجتماعي الذي يتضمن مواقف مقبولة لناس لهم شعور مسبق ومصنّف سلفاً تجاه جماعات معينة وغالباً ما يكون هذا التصنيف المسبق متضمناً مشاعر ومواقف تجاه مجموعة أفراد معينين وليس فرداً واحداً. بيد أنه ليس كل تحيز يمتلك الجانب السلبي بل الجانب الايجابي ايضاً.فعندما يقول الفرد إن بلدي أعظم بلد في العالم وانا أحب بلدي فإن هذا يعد

تحيزاً وطنياً له إيجابيةواضحة تعكس رباط الفرد بوطنه وامته وان مثل هذا التحيز الوطني لا يسبب مشكلة إجتماعية بل يولّد تضامناً إجتماعياً ويعكس أيضاً التنشئة الوطنيه للفرد. لكن الجانب السلبي للتحيز الاجتماعي يبرز عندما يقول الفرد- على سبيل المثال لا الحصر- إن جميع المكسيكيين كسالى وخاملون يكرهون العمل المثابر والجاد ولهذا السبب فانا لا احترمهم مثل هذا القول يمثل موقفاً مسبقاً تجاه مجتمع لم تسبقه معرفة ذاتية او اجتماعية ومن أجل الاستزادة في هذا الموضوع استعين بقول جورج ايتون سيمبسون وميلتون ينكر عندما تكلما عن الاقلية العرقيه والاقلية الثقافية اذ اكدا على ان التحيز- سواء كان سلبياً ام ايجابياً- فإنه يعني الموقف العاطفي(المتصلب او المرن بذات الوقت) لانه يعكس ميلاً او إستعداداً لاستجابة نوع معين من المحفزات بطريقة ما تجاه مجموعة من الناس .ثم اردفا (سيمبسون وينكر) فقالا إن التحيز يتضمن ايضاً الحكم الخاطئ على الاخرين علاوة على شموله للفكر التفضيلي المصنف الذي يشوه تفسير الحقائق في أغلب الاحيان .فعندما نقول – الحديث ما زال لهما – جميع المخلوقات البشرية تملك جهازاً واسعاً لأفق تفكيرها فإننا نشير الى تحيز واسع لكن هذا لا يمثل الحكم الخاطيء. وفي الجانب الآخر عندما نقول ان جميع الروس مدمنون على شرب الفودكا (المشروب الروسي الوطني) وانهم يستهلكون يومياً كمية كبيرة من الكحول. في هذا القول يحصل تحيز واضح وفي آن الوقت يقع حكم خاطئ لان هناك من الروس غير مدمنين على شرب الفودكا او الكحول. في الواقع لا يمكن إنكارحقيقة تحيز بعض الجماعات ضد بعضها البعض أو تحيز الافراد داخل الجماعة الواحدة لانها موجودة مع وجود إختلافات وتباينات اهداف وغايات الجماعات التي هي اساس ومصدر التحيز بينها . إذ أن التحيز يمثل موقفاً يتضمن نزوعاً او ميلاً نحو سلوك معين الذي يحتمل أن يقود الى تحيز آخر او الى التعصب في أغلب الاحيان.

اما التعصب : فإنه ينطوي على التعامل التفضيلي المصنف القائم على اسس جائرة وغير منصفه. هاك مثالاً على ذلك من واقع المجتمع الامريكي، يتعصب

الاميركان عامةً للاميركان من أصل ايرلندي بتعيينه في سلك الشرطة بغض النظر عن مؤهلاته الدراسية او الثقافية او القانونية وهذا تعصب ايجابي لصالح الامريكي من أصل ايرلندي وبالوقت ذاته يتعصب الاميركان ضد الطالب الفليبيني فلا يسكنون معه في سكن الطلبة (القسم الداخلي) مهما كانت مؤهلاته الدراسية وهذا تعصب سلبي جائر. هذه الامثلة توضح التعصب الذي يكشف عن السلوك الظاهري لعملية التفاعل الاجتماعي بينما يكشف التحيز الموقف الباطني المتضمن الدافع النفسي– الذاتي. هذا هو الفرق الجوهري بينهما (التعصب والتحيز) بيد أن الاثنين يعتمدان على تعميم الحكم التفضيلي. هاك مثالاً على ذلك : عندما تحكم على بعض الناس بحكم معين أو توصمهم بوصمه معينة وتتعامل معهم في ضوء ذلك (دون امتلاكك برهانٍ او سند) فإن ذلك يعني إنك متحيز او متعصب معاً. فعندما تعتقد بان الافراد الذين شعر رأسهم لونه احمر يملكون مزاجاً حاداً وملتهباً فإنك في ضوء هذا المعتقد تكون مالكاً موقفاً متحيزاً واذا منحت صوتك لمرشح انتخابات البلديه داخل مدينتك لمرشح ليس لون شعره احمر فأنت متعصب ضده وهنا يتبين للقارئ ان المعتقد حول علاقة المزاج بلون شعر الفرد يمثل الموقف الباطني (تحيز) والتصويت لغير اصحاب الشعر الاحمر بسبب المعتقد الشخصي يمثل سلوكاً ظاهرياً (تعصب) هاك مثالاً آخر على التميز بين التحيز والتعصب، في حالة التحيز لا يمكن السيطرة عليه بواسطة القوانين او اللوائح بمفردها، بينما يكون التعصب ظاهراً للعيان وماثلاً امام الناس كافة. اذ لا يستطيع القانون أن يمنع الفرد من أن يعتقد بأن الافراد اصحاب الشعر الطويل مخنثون او اصحاب رجوله ضعيفه. لكن المكانة الاجتماعية تمنعك من أن تهين اي فرد بغض النظر عن طول شعره او نوعه. على الرغم مما قدمناه من تساوق التحيز والتعصب في موقف وسلوك الافراد في المجتمع فان هذا التساوق لا يعني الديمومة والحتمية الخالدة بينهما اذ يفترقان وينفصلان بعضهما عن البعض وقد افادنا كل من سيمبسون وينكر بحالات توضح عدم تساوقهما وهي ما يلي:

١- من الجائز أن يقع التحيز بعيداً عن التعصب . مثال على ذلك قد يكره الطالب الاسئله الموضوعية (التي تتطلب الاجابة بوضع إشارة الخطأ او الصح امام كل سؤال) لكنه يستعملها اذا أدرك بان من ورائها مكسباً مادياً او معنوياً.

٢- ومن الجائز ايضاً ان يقع تعصب دون وقوع تحيز. مثال على ذلك في المجتمع الامريكي، لا يملك الرجل الابيض موقفاً معادياً للزنجي لكن مع ذلك فإنه لا يقوم بدعوته الى حفلة عشاء عندما يريد دعوة جاره الابيض الذي لا يحضر دعوة فيها احد الحاضرين من الزنوج.

٣- بامكان تحول التعصب الى تحيز عند الفرد الذي يهدف الحصول على منفعه اقتصادية - مالية فلا يتعصب - في هذه الحالة ٠ - ظاهرياً بل يتحيز باطنياً - ذاتياً - داخلياً.

٤- وبالوقت ذاته فأنه بامكان وجود حالة من حالات التحيز بين حالات التعصب (اي عكس الحالة السابقة) مثال من المجتمع الامريكي: الفرد الذي لا يرغب او لا يميل للكاثوليك فإنه لا يمنح صوته في انتخابه كعضو في الهيئة الاداريه للنادي ، اي تحويل الموقف الباطني الى سلوك ظاهري .

٥- وفي حالات معينة - يحصل تعزيز كل منهما للآخر ، مثال على ذلك لا يحب شخص معين آخر من السهل على الاول ان يسيء معاملة الثاني. هناك باحث امريكي تناول موضوع التحيز والتعصب في المجتمع الامريكي اسمه جونار ميردال صاحب مؤلف شهير عام ١٩٤٤ عنوانه (المعضلة الامريكية) اوضح فيه تحيز وتعصب البيض تجاه السود في المجتمع الامريكي وذلك من أجل إبقاء السود في ادنى مستوى من العيش والحصول على أقل درجة من الرعاية الصحية والتربوية لكي يبقوا في اسفل السلم الاجتماعي الامريكي ووجد ان الدرجة الدنيا من هذا المستوى تعزز تحيز البيض وتعصبهم ضد السود. علاوةً على تفريخ التعصب الواحد لعدة

تعصبات على شكل حلقة مفرغة على حد تعبير روبرت ماكيفر الذي رسمها بالشكل الاتي:

التعصب ← مستوى واطئ من الدخل ← مستوى متدن من العيش ← تحصيل تعليمي واطئ ← إكتساب مهارات وقدرات بسيطة واولية ← التعصب.

إن التحيز والتعصب ظاهرتان تصاحبان كافة المجتمعات والجماعات الرسمية وغير الرسمية لكنهما تبرزان بشكل جلي في موضوع العلاقة العرقية والقومية والطائفية داخل المجتمع. وقبل أن أُنهي كلامي عن التحيز والتعصب اتناول موضوع الاقليات داخل المجتمع لعلاقته بهما ومن ثم اعرج الى موضوع العمليات الاجتماعية بين كل من الاغلبية والاقلية والتحيز والتعصب.

يشير مفهوم الاقليات الى جماعات اجتماعية مختلفة بشكل او بآخر عن الجماعة الاغلبية ذات التأثير الفاعل في المجتمع بشكلٍ عام ومن باب التنويه حول هذا التحديد أقول انه لا يمثل الوجه الاحصائي او التصنيف الكمي بل ممثلاً لطريقة العيش والنفوذ والسلطة والتأثير. فالاقلية تكون مالكة نفوذاً وسلطاناً وتأثيراً أقل من الاغلبية على المجتمع. هاك مثالاً على ذلك: يمثل البيض ربع (١/ ٤) سكان جنوب افريقيا و(٣/ ٤) السكان من السود لكن يشكّل البيض نفوذاً وسلطاناً اكثر من السود على المجتمع بشكل عام وهذا يشير الى حقيقة مفادها أن المتغير الكمي-الرقمي لا يشكّل عاملاً حاسماً في تحديد مفهوم الاقلية والاغلبية بل متغيرات النفوذ والسلطان والتأثير هي التي تحدد مفهوم والاغلبية والاقلية، فالبيض في مجتمع جنوب افريقيا على الرغم من صغر حجم عددهم بالمقارنة مع السود فإنهم لا يمثلون الاقلية في ذلك المجتمع بل قوة الاغلبية، هاك مثالاً آخر على ذلك: يمثل الرومان الكاثوليك في اسبانيا الاغلبية الساحقة في المجتمع لكنها ليست بفاعلة وذات نفوذ مؤثر على المجتمع الاسباني بل الطائفه البروتستانتية (الاقلية عدداً) هي المؤثره وذات النفوذ داخل المجتمع الاسباني، من هذه الامثلة نفهم انه ليس من

الضروري والتعميمي ان تكون الاغلبية ذاتها – كماً وسلطاناً – في كافة المجتمعات وكافة الازمنة. فقد تمثل اقلية في مجتمع آخر ذا تخضع لتركيبة سكانية معينة لكنها مؤثرة عليه وهناك مسميات ومصطلحات توضح العلاقة النفوذية او السلطوية بين الاقلية والاغلبية في المجتمع . فعندما تكون الاقلية الحاكمة متسلطة في حكمها على المجتمع تسّمى الاغلبية الخانعه بـ(الاغلبية الخرساء) اي التي لا تقاوم ظلم وتعسف الاقلية الحاكمة وهنا تكون العلاقة بينهما لا تعكس المقياس الكمي بل السلطوي او التي لا حول لها ولا قوة في اتخاذ القرار الذي يخص حياتها ومصيرها. وانه من الطبيعي ان تكون عضوية الاقلي من النوع الموروث وليس الاكتسابي إذ لا تكون حسب اختيار الفرد بل طبقاً لولادته فيها ويكون الموقف المتحيز مبنياً على اساس النفوذ او الكره المقولب المصنف سلفاً تجاه عرقٍ او دينٍ معين وما دمنا بصدد الاقليات فإنه من الضروري أن المح الى مضمون (العرق) لصلته الجوهرية بالاقلية .أذ أن العِرق يختلف عن القومية من حيث قيامه على جينات وراثية . أي انه محدد بايولوجياً وليس إجتماعياً علاوةً على إقترانه بصفات ثقافية خاصة وليس جينية وراثية مثل المزاج والميل لأكتساب المهارت والرغبة في التعلم والمنافسه والخمول والكسل والادراك وامراض معينة. فالميل نحو الموسيقى والفن والرياضة والعمل الالي لا علاقة له بالسلالة الجنسية بل بالثقافة الاجتماعية للعرق وهذا لا يعدو عن كونه مصاحبة سلوكية للسلالة وليس خاصاً بعرقٍ معين ومردّ ذلك يعود الى الظروف النفسية التي يعيشها أبناء عرق معين فيتصفون بصفات ثقافية – اجتماعية معينه. تعمل هذه الصفات على إبراز سمات اكثر تحيزاً لعِرق معين دون الآخر.

هذا من جانب ومن جانب آخر فان هناك علاقة بين العرق ومفهوم السلالة الذي يتساوى معه العرق– الاثني لأن الجماعة العرقية ما هي سوى جماعة إجتماعية من الافراد يملكون ثقافة عامة ومشتركة تميزهم عن باقي افراد الجماعات الاجتماعية الاخرى. وغالباً ما تكون لهذه الجماعة المميزة خلفية قومية وسلالية خاصة بها وبذا يكون التعصب متساوقاً مع العرق اكثر من تساوقه مع السلالة وبسبب

اختلاف وتباين الجماعة الاقلية مع الجماعة العرقية فإنهما لا يتساوقان ولا يتماشيان جنباً الى جنب، وعادةً ما تكون الاقلية أقل تأثيراً من الاغلبية داخل المجتمع ومن الجائز أن تكون للجماعة العرقية سلطة ونفوذ تجعلها متسلطة على الاغلبية . مع ذلك فإن السود (الزنوج) في المجتمع الامريكي يمثلون الجماعتين الاقلية والاثنية في ذات الوقت، بينما يمثل البروتستانت في المجتمع الامريكي جماعة عرقية–اثنية لكنها لا تمثل جماعة اقلية بل أغلبية ساحقة ثمة حقيقة حول هذه المفاهيم المتقاربة في مضامينها والمترابطة في نسيجها هي أن مفهوم الجماعة الاقلية يتمتع بمرونة وسلاسة اكثر من مفهوم السلاله الجنسية الرسية ومن مفهوم الجماعة الاقلية حتى. فالسود يمثلون جماعة عرقية وسلالية واقلية على السواء. بينما الجماعات الالمانية والايطالية التي تعيش في المجتمع الامريكي تمثل جماعات عرقية (اثنية) وتمثل جماعات قومية في ذات الوقت[١٢].

(٤-ط) العمليات الاجتماعية والاقليات الاجتماعية :

نأتي الآن لتوضيح العمليات الاجتماعية في المجتمعات التي تسودها العرقية والسلالية والقومية والدينية والطائفية المختلفة والمتنوعة. حدّد علماء الاجتماع المهتمين بهذا النوع من المواضيع العمليات الاجتماعية بثلاثة محاور اساسية تعكس صيرورتها وحيويتها وهي كما:

١- التنافس ٢- العزل العرقي ٣- الصراع

١- التنافس: ينطوي هذا المحور على تبيان حقيقة تمتع جماعة الاغلبية بموقع إجتماعي متميز وفاعل الامر الذي جعلها قادرة على تحجيم نشاط وفاعلية جماعة الاقلية التي تحاول منافستها وعادةً ما تحاول إبعادها عن مشروعية منافستها بل تعمل جاهدة على دفعها الى الوراء من اجل تقليل اهمية قدراتها وفاعليتها سواء كان في المجال الاقتصادي او باقي المجالات . هاك مثالاً على ذلك: السود والهنود الحمر والمكسيكان والصينيين واليابانيين او الاميركان من اصول مكسيكية وصينية ويابانية (جيل ثاني او ثالث من المهاجرين الى امريكا) في المجتمع الامريكي يعانون من كثرة الحوائل والموانع التي يضعها الاميركان من البيض من ذوي الاصول الاوربية عندما يقدّمون طلباتهم لاشغال مناصب او استلام مهام رفيعة (مثل مدراء أعمال او رئيس شركة او مشرف على عمل تجاري او مالي او مدير شبكة اعلامية -تلفزيونية او امتلاك صحيفة واسعة الانتشار، او ان يكون ممثل سينمائي أسود (زنجي) لامع يلعب دوراً رومانسياً أمام نجمة أمريكية بيضاء في فلم سينمائي او مسلسل تلفزيوني او بطل مشاهد اعلانية- دعائية حول سلعة او حاجة استهلاكية.

٢- العزل العرقي: الذي يشير الى الفصل العقلي بين الاغلبية والاقلية الذي بدوره يباعدهما اجتماعياً في ذات الوقت فالاحياء الفقيرة والمغلقة (الغيتو) على سبيل المثال تقطنها جماعة اثنية معينة لا تسمح لاية جماعة اثنية اخرى بالعيش معها داخل الحي وبالوقت ذاته لا تذهب الى العيش مع الاغلبية في احيائها الخاصة

بها ، فاليهود الاوربيون – على سبيل المثال – عاشوا في احياء خاصة بهم في امريكا وهناك احياء فقيرة خاصة بالاقليات الصينية واخرى لليابانية وبعضها للمكسيكية. في الواقع هناك عاملان اديا الى استيطان هذه الجماعات الاقلية في الاحياء الفقيرة او المناطق ذات الشروط الصحية او الاجتماعية والسكنية وهما: آ– قوى اجتماعية داخلية: الفرد في الجماعة الاثنية يشعر بإنجذاب نحو جماعته الاصلية بدوافع داخليه عديدة منها اللغة والثقافة والمعتقدات والمواقف والشعور الجمعي والارتياح النفسي بالعيش مع ابناء جلدته.

فمنطقه(الغيتو) مثلاً بدأت بمنطقه جذب اختياري للاقليات اذ جذبت في بداية الامر البورتريكا الذين انجذبوا نحوها بسبب لغتهم وثقافتهم الاجتماعية لكي لا يشعروا بغربتهم

ب– قوى اجتماعية خارجية منطوية على الاكراه والاضطرار ، فالفراد المنحدر من رس/ عرق معين يشعر بأنه مضطر للعيش في منطقة (الغيتو) بينما تشير القوى الداخلية الى دوافعه اللاشعورية التي تلزمه بالعيش مع ابناد جلدته او ابناء بلده الاصلي الذ ي هاجر منه. ومرّد ذلك– كما ذكرت – يرجع الى عدم شعوره بالغربة بل بالتضامن الاجتماعي فالعزلة الاجتماعية اذن لم تدعم من قبل القانون الامريكي بل من قِبل اغلبية المجتمع الامريكي ومن قِبل اصحاب المواقع الهرمية العالية . فضلاً عن ذلك فإن هناك عزلاً سكنياً يمثل العزل العرقي وهناك ايضاً عزلاً عاماً اي في المحلات العامة مثل الحدائق العامة وساحات اللعب واللهو واحواض السباحة ومركبات المواصلات العامة (الحافلات)

٣– الصراع : عندما تفشل المنافسة والعزل العرقي في تحقيق رغائب جماعة الاغلبية، او عندما ترفض جماعة الاقلية قبول شروط المنافسه او ظروف العزل العرقي يبرز الصراع المفتوح كنتيجة لذلك ولا يأخذ شكلاً واحداً بل عدة اشكال ونماذج فتظهر جماعة تبحث بشكل شرعي لتحجّم وتقنن حركات وطموحات الجماعة الثانية مبلورة سلوكيات عنيفة وكسراً للقيود تظهر على شكل تظاهرات

واحتجاجات وسواها فيظهر الصراع في مجال ادراك احد الجماعات بانها مناوئة وخالفت الشرعية القانونية وهنا تبرز مشكلة الوهن التنظيمي المحلي.

في الواقع إن الحاجات الاقتصادية والغايات الخاصة بالمكانة الاجتماعيه هما المسؤولتان عن بلورة التحيز والتعصب لان الثروة تجلب الاعتبار الاجتماعي والمكانة الاجتماعية والنفوذ والسعادة وهنا تكون جماعة الاغلبية هي المسيطرة فتحاول المحافظة على موقعها لتزيد من ثروتها وسلطانها . وفي هذا الخصوص يرى هربرت بلومر أن التحيز والتعصب يبرزان من خلال موقع الجماعة بافضل الحقوق ومفاضلتها على غيرها من الجماعات غير المسيطرة. علاوة على إعتقاد اعضائها بأنهم يجب ان يحصلوا على مواقع مهمة ومتميزة او فاعلة في الهرم التنظيمي داخل المؤسسات الرسمية والاجتماعية داخل المجتمع. وان يدير وا انجح الاعمال واهمها ولهم الاحقية والاولوية بالحصول على مكاسب مادية ومعنوية ومن ثم يأتي من بعدهم باقي الجماعات ، وان هناك مهناً ووظائف خاصة بهم لا يسمح للاخرين من الاقليات ان تستلمها وبالوقت ذاته هناك مهن واعمال خاصة لافراد الاقليات لا يتقدم اليها أبناء الاغلبية– والحديث هنا لبلومر – او انها سوف تهدد مصالحها وثروتها ومكانتها ومن هنا ينشأ او يتولد التحيز الرسي. هذا علاوة على كون التحيز الرسي يكتسبه الفرد ويتعلمه من اسرته ومجتمعه المحلي ولم يولد معه اذ لا يولد الانسان حاملاً معه جينة التحيز لانه(التحيز) نتيجة ثقافيه يكتسبها من تنشئته الاجتماعية[١٤]

ونجد التحيز بين الاقليات والاغلبية ليس فقط في المجتمعات المتضمنة عدة ارساس او اعراق بل في المجتمعات التي تحكمها اقلية حاكمة مثل اسرة اوفئة مستأثرة بالسلطة فتحتكر المواقع الريادية والمتميزة في الهرم التنظيمي للدولة وتستثمرها اقتصادياً لصالحها وتتسلط على المواقع والمنافذ التجارية والمالية لجني الارباح لها فقط فتمتص ثروات الاغلبية لتزيد ثرواتها وتعزز سلطانها ونفوذها قسراً وجبراً وبطرق استثنائيه وليست شرعية.

هذان المتغيران : المتغير المالي والموقعي لاعضاء الفئة الحاكمة يولّد التحيز والتعصب داخل المجتمع فيخلق اعتلالات اجتماعية وينتج جماعات انتهازية ووصولية متكالبة على جمع المال والثروة والربح السريع الامر الذي يجعل ميزان القوى الاجتماعية غير عادلة فتحصل الاضطرابات والقلاقل الاجتماعية وهذا هو جوهر الوهن التنظيمي المحلي والعام.

(٤-ي) أسباب الوهن التنظيمي

تحدثنا باسهاب عن معنى الوهن التنظيمي، نتحول الآن لنشير الى أسبابه حيث انه لا يحصل في الفراغ بل بعد حدوث احدى الكوارث الطبيعية او بعد نشوب حرب او هجرة الناس من بلد الى آخر او من الريف الى المدينة او بعد الازمات الاقتصادية الحاده او بعد الثورات الفردية (التي لا يفجرها الشعب بل فرد واحد) او بعد تسارع شديد لحالات التغير الاجتماعي او تكلس النظام السياسي وعدم تطوره ، احد هذه الاسباب تعمل على تصدع بناء المجتمع فتتعطل احدى انماطه او انساقه فتؤثر على وظائفه البنائية ومن ثم تضطرب مناشط التنظيمات الاجتماعيه علاوة على ذلك فإنه عندما يحصل تغير إجتماعي في شريحة اجتماعية معينة او في أحد قطاعات المجتمع فان توقعات بعض الادوار الاجتماعية والمو اقع الاجتماعيه الخاصة بافراد تلك الشريحة او القطاع تتبدل فلا تبقى نفس التوقعات الدوريه كما كانت بل تتبدل ايضاً وبالآن ذاته تقل فاعلية وسائل الضبط الاجتماعي في تأثيرها على الافراد في الوضعية الجديدة فتحل محلها معايير جديدة متضمنة ضوابط أقل صلابة واكثر مرونة من وسائل الضبط الاجتماعية القديمة أي أن الفرد يصبح خاضعاً لتأثيرات عقله ومنطقه أكثر من تأثيرات معايير مجتمعه وهذا يعني أن علائق الفرد هنا تخضع لضوابط عقلانية جافة وخالية من الروح الانسانية والوجدانية في معظم الحالات ليس لها جذور في الماضي او تراث اجتماعي على عكس وسائل الضبط الاجتماعي التي تتجذر جذورها في الماضي السحيق (توجد مثل هذه الحالة في المجتمعات المعاصرة- الحضرية) فضلاً عن أن الضوابط العقلانية تكون متباينة ومتطورة بشكل مستمر حسب تطور العقل البشري.

ثمة حقيقة بارزه في الوهن الاجتماعي هي أن دور ومكانة الفرد داخل مجتمعه غير محددة بدقة وغير واضحة المعالم بالنسبة له وللمجتمع الذي يعيش فيه ومردّ ذلك يرجع الى عدم استقرارهما وثبوتهما بسبب ديناميتها وصلتها بالتطور والنمو وهذا بدوره يخلق قلقاً واضطراباً وتوتراً عند الفرد ذاته ينعكس على بناء المجتمع

فتزلزل انساقه ولا تجعله مستقراً في وجوده ولا آمناً في بنيانه وغير منتظم في مناشطه. هذه الحالة تدفع المجتمع الى الوهن التنظيمي وهذا أخطر انواع الوهنات التنظيمية الاجتماعيه الذي يصل الى حالة التفكك المفصلي في البناء الاجتماعي.

رب سائل يسأل لماذا وكيف يحصل الغموض عند الناس حول بعض ادوارهم ومكاناتهم الاجتماعية؟الجواب يكون كالاتي: يتأتى غموض الناس حول دور او مكانة اجتماعية معينة عندما تتغير الاحداث الاجتماعية بسرعة بحيث لا يتفق الناس على تحديد معين للدور او للمكانة اذ يتبدل مضمونها بعد فترة وجيزه من الزمن فلا تستقر على حالة واحدة فتضطرب معاني ورؤى الناس حولها. ثم أن التغيرات الاجتماعية المتعاقبة تخلق خيارات متنوعة وبدائل عديدة لكل موقف او دور او مكانه الامر الذي يضع الفرد امام عدة خيارات وبدائل وهذا يتطلب من الفرد استخدام ذكائه وقابلياته وخبراته في انتقاء ما يتناسب معها وينسجم مع الحالة التطورية التي يعيش فيها لكي يكون في المكانة اللائقه ويمارس دوراً حيوياً بشكل ناضج وهذه الحالة تتطلب جهداً فكرياً دقيقاً من الفرد قبل ان يتخذ قراراً بشأن احد البدائل او الخيارات وان اي اخفاق او منزلق يقع فيه يؤدي به الى حالة من حالات من الوهن الاجتماعي.

بينما الفرد في المجتمع التقاليدي لا يجهد نفسه او فكره في اختيار دوره او مكانته الاجتماعية لانها محددة له سلفاً قبل ميلاده لذلك لا يجد صعوبه في تطوره العمري عبر الزمن ولا يحصل له اضطراب او قلق في شخصيته وبالتالي لا يقع وهن اجتماعي بل تتساوق ادواره الاجتماعية مع مكاناته التي يشغلها.

لا أجد بأساً من الاشارة في هذا المقام الى توضيح صورة الوهن الاجتماعي وهي عندما يمارس الفرد دوراً يمثل مرحلة تطورية زمنية سحيقة وبالية لا تعكس المرحلة الحاضرة التي تتنافر معها فكراً ورؤيةً فضلاً عن تناقضها زماناً ومكاناً. هذا التنافر والتناقض الزماني والفكري يحمله الدور ذاته فيوّلد صراعاً اجتماعياً في ذات الدور نفسه فيحصل وهن دوري مثل دور ربة الاسرة في المجتمع العربي - على سبيل المثال لا الحصر - التي تنشئ ابنائها على نفس الطريقة التي نشأها

اباؤها عليها وهي تعيش في زمن لا يعكس زمن ابائها . او الفلاح الذي يزيد من عدد افراد اسرته لكي يستخدمهم كفلاحين في حقله ولا يسمح لهم بالذهاب الى المدرسة لاكتساب العلم والمعرفه بل يستخدمهم لزيادة انتاجه وثروته.

لا يغيب عن بالنا ملاحظة الحِراك الاجتماعي في إحداث او تسبب الوهن الاجتماعي وبخاصة اذا كانت سرعته سريعه (صاعداً او هابطاً) فتحصل تنقلات مكانية عاجلة لاتأخذ بعين الاعتبار الخبرة والكفاءة المهنية والتخصص العلمي او المهني بل يكون إشغالها بواسطة التعيين والتنصيب لا عن طريق المنافسة الحرة المبنية على الكفاءة والمقدرة. هذه الحالة تمثل معولاً يضرب البناء الاجتماعي فتزلزله لكي توهن وظائفه وغالباً ما نجد مثل هذه الحالة الوهنية في مجتمعات دول العالم الثالث اكثر من باقي أنواع المجتمعات اما مواقف الفرد في المجتمع المتصف بالوهن ، فإنه يكون مضطرباً وقلقاً وذلك بسبب تقطع الروابط الاجتماعية وتمزق التماسك الاجتماعي الذي حدث بسبب(الحرب او الثورة او التغير الاجتماعي او الازمة الاقتصادية او الكوارث الطبيعية) ولما كان مضمون الموقف الاجتماعي يشير الى خبرات ومشاعر الفرد حول موضوع معين تمثل ميله نحو فعل اجتماعي مقصود ومنشود. اي ان موقفه من صنيعة المجتمع وثقافته مرتبط بذات الفرد. فالموقف اذن هنا إكتسابي آخذاً بعين الاعتبار آراء واحكام الاخرين المحيطين به لذلك فإن موقف الفرد يتأثر بمؤثرات المجتمع فاذا كان موهوناً فان مواقفه تكون مضطربة وقلقة اي انها تمثل مرآة لحالة المجتمع ما دام الحديث مستمراً عن البناء الاجتماعي المصاب بالوهن فإن موضوع القيم الاجتماعية لا يمكن تجنبه لانها اساس السلوك الانساني وعندما يحصل تغير اجتماعي او ثوره او حرب او كارثه طبيعية او ازمة اقتصادية تتصدع بعض القيم من جراء ذلك فتتبلور فيما بعد قيم اخرى تعبّر عن الحالة الاجتماعية الجديدة فيحصل نزاع بين القيم الجديده والقديمة. بعبارة اوضح يحصل نزاع بين المعتقدين بالقيم الجديده مع المعتقدين بالقيم القديمة وفي حالة اخرى يحصل نزاع داخل الفرد الواحد عندما يعيش بين حدود قيمتين داخل اسرته ومجتمعه المحلي ومن هنا يحصل الوهن الاجتماعي

اقول ان تنازع نوعين من القيم المختلفه في اهدافها ومراميها تجعل من سلوك الفرد متذبذباً وتفكيره قلقاً .

هذا من جانب ومن جانب اخر عندما تزول أو تنهار قيم دينية بسبب تسلط القيم السياسية عليها او بالعكس عندما تذوب او تنهار قيم سياسية بسبب تسلط القيم الدينيه عليها يحصل وهن في بناء المجتمع لان وجود قيم متضاربه في اهدافها وطموحها لا تستطيع أن تعيش معاً في ظاهرة اجتماعية واحدة او في شريحه إجتماعية معينة او في مجتمع واحد إذ يتنازعان الى ان تتغلب الواحدة على الاخرى فيحصل وهن في ارتباط القيمتين ولا تبقيان مستمرتين في الترابط او التكافل بل تتسلط الواحدة على الاخرى.

ثمة حقيقة تبرز في خضم التناحرات القيمية داخل البناء الاجتماعي وهي ان الفرد لا يستطيع ان يحقق مكانة اقتصادية مرموقة او متميزة دون مخالفته للقيم الاجتماعية الاخرى(التي لها علاقة بالملكية) او تجاوزه على التزامات قيمية واخلاقية يعدها المجتمع اساسية وانسانية مثل الغش او الرشوه او التزوير او القتل او الانحراف الاخلاقي او الجنس وسواها على الا تفوتنا الاشارة الى ان الفترة الزمنية التي تستغرق وهن المجتمع لا تتحقق بسرعة ولا تحصل فجأة بل تأخذ فترة زمنية طويلة لان حالة التغير الاجتماعي او الازمات الاقتصادية او أي سبب للوهن يؤدي بالتالي الى بلورة قيم جديدة تختلف عن القيم السائدة وتصارعها تأخذ وقتاً طويلاً يلاحظه الافراد ويعانون منه ويدفعون ثمنه من حياتهم اليومية وقد تأخذ هذه الحالة فترة جيل او اكثر لحين وقوع الوهن التنظيمي انها حالة مرضيّة بطيئة في انتشارها وتوسعها لكنها عميقه في نزاعها ومستعصية في علاجها.

لقد ذكرت في سياق حديثي الازمات الاقتصادية والتغير الاجتماعي إلا أني اود أن اتحدث هنا عن « الثورة» وما تؤول اليه من آثار اجتماعية تؤدي الى الوهن التنظيمي وسأستعين على ما جاء به كل من مابل اليوت وفرانسس ميريل في هذا الخصوص والتي اتخذت اشكالاً متباينة من الوهن التنظيمي وهي:

١- **حقوق الملكية** : اولى حالات الوهن التنظيمي بعد الثورة وهي مصادرة ملكيات وعقارات رجال النظام القديم وحصول رجال الثورة على ملكيات لم تكن لديهم قبل الثورة وهذا بدوره يغيّر من مراتب التدرج الاجتماعي حيث يصبح فيه الغني فقيراً والفقير غنياً. وتُستغل الثورة لصالح بعض الانتهازيين والمنتفعين من مكاسب الثورة فيسطون على اموال الغير بدون حق او شرعية .فالوهن هنا يحصل في حقوق الملكية الشرعية ويغيب القانون والعدالة.

٢- **الآداب الجنسية** : اذ تتصدع الاداب العامة المتعلقة بالعلاقات الجنسية وتنتهك حرمة الفتيات والسيدات وخاصة المتعاطفات مع النظام القديم (قبل الثورة) ويتم تخويفهم وترهيبهم تحت شعار أعداء الثورة فتنتهك اعراض الناس وتتصدع القيم الاخلاقية الرفيعة وهذا احد اوجه الوهن التنظيمي.

٣- **الحياة الدينية** : اذ تهمش في الحياة اليومية العامة حيث تستبعد من مناشط الناس وتحجم طقوسها وشعاراتها وتعاليمها وقد تنتهك حرمة المعابد والاماكن المقدسة وتدنس بأسم التحرر من قيود الماضي وهذا وجه آخر للوهن التنظيمي.

٤- **القيمة البشرية** : لا تكون قيمة الانسان عالية في فترة ايام الثورة اذ يُقتل الاف الرجال والنساء والاطفال باسم الثوره فلا توجد قيمة رفيعة للبشر، بل القيمة الرفيعه هي تحقيق اهداف الثورة حيث ينتقم ابناء الطبقة الدنيا من ابناء الطبقة العليا بسبب استغلال الثانية للاولى قبل الثورة. فالعبيد والخدم يصبحون (بعد الثورة) من اصحاب الاملاك ويحاكم الجنود ضباطهم وقادتهم ويؤثر العمال على مالكي وسائل الانتاج ويتعالى الأميون على المثقفين.

كل هذا يحصل بسبب تصدع البناء الاجتماعي الذي اثر عليه قيام الثورة اذ يحصل انتقام جمعي واضطراب وفوضى في الحياة الاجتماعية العامة وهذه صورة اخرى للوهن التنظيمي الاجتماعي.

(٤-ك) المشكلات الاجتماعية والاعتلال الوظيفي

تناول هذا الموضوع روبرت مرتون ليوضح العلاقة النظرية بين الاعتلال الوظيفي والوهن التنظيمي ،اذ يشير الاخير (الوهن) الى الزلل اوالتصدعات التي تحصل في اداء مهمة النسق الاجتماعي فتتعطل وظيفته او مهمته البنائية .بينما يشير الاول (الاعتلال) الى عدم اتساق عمل أحد اجزاء النسق الاجتماعي مع عمل باقي اجزائه حسب ما يتطلبه النسق .وقد يحصل الوهن التنظيمي بسبب وقوع عدة اعتلالات وظيفية .ويحصل الاعتلال الوظيفي بسبب تعارض او تداخل بعض المعتقدات السلوكية كمتطلبات وظيفية خاصة بالنسق الاجتماعي .يوضح مرتون هذه الحالة بقوله ان تحديد الاعتلال الوظيفي عادة ما يكون لفظياً دون الاشارة الى آثار وتبعات الاعتلال كأن يقال ان سرعة الحراك الاجتماعي سريعة او بطيئة مما جعلت اعتلالاً وظيفياً في النسق الاجتماعي.

وقد يحصل اعتلال وظيفي بسبب نشاط او خمول قائم في وظيفة جزء واحد من النسق فيسبب اعتلالاً وظيفياً لبقية اجزائه وهذا يعتمد على واقع البناء الاجتماعي. لان للنسق وظيفة واحدة ومتكاملة وعلى اجزائه ان تنسق وظائفها لخدمته لكن اذا حدث تلكؤ او تعطل لاحدها فإنها تحدث اعتلالاً ببقيتها.

في الواقع ان الاعتلال الوظيفي لا يمثل حالة لا أخلاقية او غير ادبية او اجتماعية غير مرغوب فيها،بل تعطّل في اداء النشاط المنسوب للنسق. مثال على ذلك الدراسات العليا، قد تعمل اعتلالاً وظيفياً للنسق الفرعي الطائفي في النسق الديني لان الدراسات العليا لا تأخذ بنظر الاعتبار نوع الطائفة الدينية للطالب بل ما يقدمه من تقدم ونجاح فيها، بيد أن الدراسات العليا تخدم التقدم الاجتماعي والثقافي فتنشط النسق العلمي والثقافي . أي ان احد وظائف نسق فرعي يسبب اعتلالاً وظيفياً لنسق فرعي في نسق آخر وينشط وظيفة نسق فرعي مكمل له.

ومما لاشك فيه يقول مرتون اذا كثرت الاعتلالات الوظيفية وتتراكم على مر الزمن فانه في نهاية المطاف يحصل التغير الاجتماعي وهنا يوضح مرتون فبقول ان الاعتلالات الوظيفية تمثل وهناً تنظيمياً وهو احد اوجه المشكلات الاجتماعية التي تحدث في المجتمع.[١٦]

(٤-ل) التنظيم الاجتماعي

من اجل تفهم الوهن التنظيمي من زاوية اخرى غيرالتي انطلقنا منها لدراسته لا اجد ضيراً من اطلاع القارئ على ماهية التنظيم الاجتماعي لزيادة او لاستكمال صورة الوهن التنظيمي في ذهن المتخصص في حقل علم المشكلات الاجتماعية ولان التنظيم الوجه المناقض للوهن لذلك وضع الاستاذ روبرت فارس توضيحاً حول طبيعة التنظيم ليرينا حقيقة الوهن لانه وجد تبدلاً دائماً للمجتمعات من مرحلة ما قبل التصنيع -تقاليدية- الى الصناعة العصرية المتمدنة ،الامر الذي يجعل من سلوك الناس غير متكامل أو متماسك مع المعايير الضبطية الخاصة بالمراحل التطورية السابقة او القديمة التي تم التحول منها وعدم التكيف لمعايير المرحلة التي تم التحول اليها. حيث كان الفرد (في المراحل التطورية القديمة) معتمداً على مجتمعه في تزويده بالمعايير والقيم عن طريق اكتساب الارث الثقافي الشفوي اذا كان اعتماد الفرد في عيشه على المعايير والقيم مثل اعتماد السمكة على ماء النهر او البحر والمحيط. لانها كانت تنظم مناشط حياته اليومية من اجل بقائه داخل المجتمع وتساعده في كفاحه من اجل العيش فكان سعيداً بها ويشعر بسعادة ورفاهية بممارسته لها، لكن مع تطور المجتمع تزايدت مشاكله (الفرد) الاجتماعية المتطلبة حلولاً سريعاً سواء كان من المسؤولين اوالمصلحين الاجتماعيين. الامر الذي جعل علماء الاجتماع يدرسون التنظيمات الاجتماعية لكي يتعرفوا على موطن الخل والزلل فيها ولماذا أنتج عنها هذا الارتباك الاجتماعي والوهن التنظيمي المنعكس على سلوك الناس.

لذا فالمجتمع الناجح هو الذي يحقق نسقاً اجتماعياً مستقراً نسبياً ، مع المحيط الذي يعيش في وسطه والذي يساعد الافراد في المجتمع على العيش بامان واستقرار دون عناء وعسر . وكان هدف الانسان الاول هو ان يعيش، ومن اجل ذلك عليه ان ينشئ او يبني عادات عرفية متكونة من عدة سلوكيات مقبولة ويألفها تخزن

في الذاكرة وتنتقل عبر التعلم الى اجيال لاحقة،وكانت في بدايتها تنتقل عن طريق الخطأ والصواب دون الاخذ بنظر الاعتبار مصدر منشئها ،عندها قام بمساعدته أخوه الانسان وذلك عن طريق تجنب اخطار العيش من خلال تعاونه معه وهذا تطلب العديد من المستلزمات مثل اللغة في التخاطب ونظام تقسيم العمل لرفع الكفاءة الانتاجية ونظام توزيع انتاج العمل ونظام تبادل الهدايا واللطافة والكياسية وحلول المشاكل والمنازعات مثل المحاكم والتحكيم وآليه اتخاذ القرار في الشؤون المهمة مثل الرئيس والحكيم والساحر وانساق المسؤولية الاسرية وسبل نقل الثقافة الاجتماعية الى الاجيال الصاعدة (معلمين غير رسميين) وبقية الانساق الاساسية.

جورج بيتر مردوخ وضع قائمة للثقافات المعروفة وتنظيماتها الاولى منها:
١-منزلة المعمرين ٢- الالعاب الرياضية ٣-الزينة الجسدية والحلي (الزينة) ٤- التقويم الزمني ٥- التدريب على النظافة ٦- تنظيم المجتمع المحلي ٧- فنون الطبخ ٨- العمل التعاوني ٩- علم الكونيات ١٠- المطارحة الغرامية ١١- فن الرقص ١٢- فن الزخرفة ١٣- الكهانة -العرافة ١٤- نظام تقسيم العمل ١٥- تفسير الاحلام ١٦- التعليم ١٧- الايمان بالاخرويات (كالبعث والحساب)١٨- الاخلاق ١٩- فصائل النباتات ٢٠- اداب وقواعد المعاشرة الاجتماعية ٢١- المعالجات الدينية ٢٢- الصوم ٢٣- اشعال النار ٢٤- الطرق الشعبية ٢٥- تحريم الاطعمة ٢٦- طقوس دفن الموتى ٢٧- المسابقات ٢٨- الرموز والاشارات ٢٩- اصول تقديم الهدايا ٣٠- الحكومة ٣١- اداب التحايا ٣٢- موظه قص شعر الرأس ٣٣- الكرم ٣٤- علم الصحة ٣٥- السكن ٣٦- المحرمات المقدسة ٣٧- القوانين الموروثة ٣٨- النكات ٣٩- الجماعات الدموية -القرابية ٤٠- الالقاب القرابية ٤١- اللغة ٤٢- القانون ٤٣- الحظ والخوف من المجهول ٤٤- السحر ٤٥- الزواج ٤٦- اوقات الوجبات الغذائية ٤٧- الطب ٤٨- الحياء اوالاحتشام كوظيفة طبيعية ٤٩- ثياب الحداد على الاموات ٥٠- الموسيقى ٥١- الاساطير

المتصلة بالالهة وانصاف الالهه والابطال ٥٢- الاعداد الرقمية ٥٣- القبالة والتوليد ٥٤- تحكيم العقوبات ٥٥- الاسماء الشخصية ٥٦- السياسة السكانية ٥٧- العناية بالطفل بعد الولادة مباشرة ٥٨- كيفية التعامل مع الحمل (حمل المرأة) ٥٩- حقوق الملكية ٦٠- استرضاء القوى الخارقة ٦١- اعراف سن البلوغ الجنسي ٦٢- الطقوس الدينية ٦٣- قوانين الاقامة ٦٤- ضغوط على العلاقات الجنسية ٦٥- مفهوم الروح ٦٦- اختلاف المكانات الاجتماعية ٦٧- الطب الجراحي ٦٨- صناعة الادوات والالات ٦٩- التجارة ٧٠- اداب الزيارات ٧١- سبل السيطرة على المناخ الجغرافي ٧٢- فطام الرضيع.

هذه القائمة تمثل اشتراك المجتمعات الانسانية كافة بهذه الامور من اجل المحافظة على بقائها وتنظيم سبل عيشها منذ بدء وجودها.

فضلاً عن ذلك فإن كافة المجتمعات تعمل على تكيف افرادها للمحيط الذي تعيش فيه، بذات الوقت تعمل على تغير اتجاه الحالات المتعاكسة والمتصارعة لتسير باتجاه واحد اذا كان الوقت كافياً واذا لم يحصل تغير في المحيط الذي يعيش فيه او تغير في القوى الخارجية ، اذن هناك ميل للوصول الى تكامل كامل. ففي المجتمعات المستقرة تكون وظيفة الاعراف والمؤسسات الاجتماعية متماثلة ونادراً ما يحصل فراق بينهما اوالخروج عليها من قبل الافراد بسبب تماثلهم لها وعندما تقع اية جريمة في هذا النوع من المجتمعات تكون مطبوعة في ذاكرة الجميع وتنتشر بين كافة قطاعات المجتمع لذا لا يوجد صراع بين الفرد ومجتمعه المستقر اذ ان الكل متطابق مع معايير المجتمع فتكون فيه حالة الانحراف نادرة ، فضلاً عن ترابط أقسامه بعضها ببعض ومنسجمة فيما بينها والكل يقوم بوظائفه بهدوء ولطف.

ولكي يحيا الفرد في المجتمع عليه ان ينتظم ضمن نواظمه وضوابطه الادبية والخلقية وبخلاف ذلك يصبح موهناً اجتماعياً اي مصاب بانحرافات سلوكية ومخترق لبعض قيم ومعايير المجتمع الذي يعيش فيه.

من اجل توضيح هذه الفكرة لطرح دراسة ماري كريت ميد(عالمة انسان اجتماعي امريكية) الشابة المراهقة في جزيرة ساماوا وقارنتها مع الشابة المراهقة الامريكية فوجدت اتصاف الاولى بعدم مرورها بحالة القلق والتوتر والاضطراب النفسي على عكس المراهقة الامريكية بسبب انسجام الفرد مع اعراف المجتمع الساماوي ومنح الام الساماوية ثقة مطلقة لابنتها حتى في حياتها الخاصة وحتى ذكور هذا المجتمع يكونون من النوع التعاوني ليس التنافسي في العمل وبخاصة عندما يدخلون مرحلة النضج الجنسي والرجولة فلا يعرفون الانانية والفردية وتطلب منه الاداب الساماوية ان يكون كريماً ويقدم يد العون لكل من يطلب منه ذلك ولا يطلب العون بالمثل او يتذمر من عدم مساعدة الاخرين له ولا يطلب رد الجميل ولا يطلب التبرع له او مساعدة غذائية اوملابس اومأوى ،ويرد الهدية حال حدوث حدث مناسب للشخص الذي قدم له هدية في مناسبة خاصة له .فالفردية والانانية غير واردة في الثقافة الساماوية على نقيض الثقافة الامريكية وما تفرزه او تطبعه من عادات على افرادها المتصفة بالمنافسة الحادة والنزاعات التي ليس لها وجود في الثقافة الساماوية بحيث ولد ت عندهم نمطاً شخصياً مرناً وسلساً وحتى اذا دخل احد مع الساماوي في نزاع فان مصالحته تكون سهله لذا وجدت ماري كريت ميد حالة الانحراف عند الشباب الساماوي نادرة جداً.

هذه الدراسة توضح لنا ان تماسك التنظيم الاجتماعي يعمل على تماسك سلوك افراد مجتمعه وضبطه حول معاييره واهدافه التي تغرس عندهم التماثل معها والتوجه حسب وجهتها.(١٧).

مصطلحات الوحدة

Annulment	المغادرة الاختيارية
Cumalative crises	ازمات متراكمة
Empty slell family	اسرة المأوى الفارغ
Deviant behavior	السلوك المنحرف
Hypocrisy	النفاق
Illegitimacy family	اسرة غير شرعية
Social disorganization	الوهن التنظيمي الاجتماعي
Slum	منطقة موبوءة بالجريمة
Precipitate crises	ازمات مفاجئة
Prejudice	التحيز الاجتماعي
Personal Disorganization	الوهن الشخصي- الفردي
Racial Minority	اقلية عرقية
Race	سلالة عرقية
The Lonely crowd	الجمهور المنعزل
Utopia	المجتمع الفاضل
Undesirable	غيرمرغوب فيه
Unmarried Mother	ام غير متزوجة

مراجع الوحدة

1-Faris,Robert,1956,"Contemporary and prospective social Disorganization " John ,Eric Nordskog and (etal) (eds.) Analyzing social problems,Henry Holt and co. Inc.NewYork ,p32.

2-Elliott,Mabel and Merrill and Francis 1950 "Social Disorganization "Harper and Brothers pub.NewYork .P.P.20-33.

3-Faris,Robert 1956. P.22.

4-Elliott,Mabell and (etal)1950, P.472 .

5- Blumer,Herber 1950 "Social Disorganiztion and Individual,Nordskog John (eds.) Analysing Social proplems P.213.

6- Davis ,James1970 "Social problems" The free press,NewYork ,P. P. 34-41.

7- Elliot,Mabell and (etal) 1950 , P. P45- 59.

8-Blumer,Herbert 1950, P.P.217- 219.

9- Davis,James 1970,P.P.34-41.

10-Elliott,Mabell,and etal 1950,P.23.

11-Ibid,P.500.

12-Goode ,Willam J.1971"Family Disorgenization Merton,R,and Nisbet ,R(eds.) contemporary social problems,P.P.467-532.

13-Dressler, David 1960 "Sociology AL-Fred A-knop ,NewYork .P.P 513-521.

14-Ibid,P.P.532-533.

15- Elliott,Mobel and Merritt and francis.1950 ,P.700.

16- Mirton,Robert 1970 "Social problems and Sociological Theory " contemperory social problems. (eds.) mirtor and Nisbet P.P.793-845.

17- Faris,Robert 1948"Social disorganization"The Ranald press co.NewYork P.P.3-18.

الوحدة الخامسة

بعض أنواع المشكلات الاجتماعية

أ- الانحراف السلوكي

العنف والسلوك العدواني

ب- الفقر.

جـ- الادمان على تناول الكحول

د-مشكلات المراحل العمرية

١ - الطفولة

٢ - المراهقة

٣- الشيخوخة

مصطلحات الوحدة

مراجع الوحدة

(٥-أ) الانحراف السلوكي

إنه أحد المؤشرات الاجتماعية التي تدلنا على وجود مشكلات اجتماعية قائمة داخل المجتمع وتوضح ايضاً بانه هناك من الافراد ممن لا يتماثلون مع التوقعات الدورية المرتبطة بمكاناتهم الاجتماعية .بتعبير اخر انه مرتبط تقنيا بالدور والمكانة الاجتماعية التي يشغلها الفرد اكثر من كونه مرتبطاً بالمعايير الاجتماعية والقيم والاداب الاجتماعية العامة .اذ لكل دور متطلباته الخاصة به فإذا لم يلتزم الفرد بها ويؤديها حسب ضوابطها الاجتماعية عُدّ ذلك الفرد منحرفاً عن دوره المناط له من قبل مكانته الاجتماعية لذا فان وسائل الضبط الاجتماعية تعمل على اعادة المنحرف (سلوكياً عن دوره) الى مستلزمات دوره والالتزام بها وادائها والقيام بمتطلبات دوره المنسوب له او الذي ورثه (اجتماعيا).

هذا الانحراف الادائي للدور الاجتماعي للفرد لا تجعله تحت طائلة القانون الوضعي او يحصل على عقوبة قانونية بل ان نظرة المجتمع لانحرافه لا تكون مستساغة او محببة. فالطبيب-على سبيل المثال- اذا تصرف تصرفاً لا يليق بمهنته الانسانية كأن يتصرف تصرفات ابناء الشوارع اثناء عمله ولا يلتزم بمتطلبات دوره كطبيب يعني ذلك انه انحرف عن مستلزمات دوره الامر الذي يؤثر على مكانته كطبيب اذ تقل في نظرالناس مكانته لكنه لا يحصل على عقوبة جزائية. انما هناك الوصم الاجتماعي الذي يوصمه الناس بانه منحرف عن سلوكية الطبيب .

وهناك من لا يلتزم بمعايير مجتمعه بل يتصرف خارج حدودها. هذا النوع من الافراد يُعّد منحرفاً ايضاً. وفي هذا الصدد يميز روبرت مرتون (منظر امريكي في علم الاجتماع المعاصر) بين نوعين من الانحراف السلوكي الاول: السلوك غير المتماثل والثاني: المنشق او المعارض. ثم قارن مرتون بين هذين النوعين من السلوك الانحرافي اذ قال عن النوع (غير المتماثل) لا يعلن انحرافه امام الناس بصراحة يخفي خروجه عن المعايير الاجتماعية ويهرب من مواجهة الاسوياء.بينما النوع الثاني(المنشق / المعارض) يعلن انشقاقه وانحرافه عن معايير وقيم المجتمع

السائدة علانية امام الناس ولا يهرب من مواجهة الجانب الاخر من الواقع الذي يعارضه ولا يخفي معارضته له .وغالباً ما يكون هذا النوع من الانشقاق في المناشط والجماعات السياسية والدينية اذ يعلن المنشق سياسياً او مذهبياً او طائفياً انشقاقه امام الناس ووسائل الاعلام دون مواربة او تضليل ،يتحدى فيها شرعية المعايير الاجتماعية التي يرفضها او يتحدى مصداقيتها او ممارستها وبتم هذا التعبير على شكل تنظيم اعتصام لمواجهة او مجابهة معايير محلية للتميز العرقي في التعيين او القبول في المدارس والجامعات او الدخول الى الاماكن العامة. نقيض السلوك الاغراضي الاول (غير المتماثل) اذ انه يعترف بشرعية المعايير التي خالفها او انحرف عنها، ان انحرافه لا يعدو مجرد تعبير عن مخالفته للمعايير التي لا يتماثل معها ولا يطالب بتغييرها او بتبديلها او تجديدها بينما يميل المنشق الى تغيير المعايير التي يرفضها بواسطة الممارسة والافصاح العلني عنها وعن البدائل لها انه يحاول ويطالب باستبدال ما يعتقد به وبما لا يعتقد به ، بينما الاول (غير المتماثل)عكس ذلك، انه يهرب من عقوبات المعايير السائدة دون طرح بدائل لها ويخاف من طائلة القانون والوصم الاجتماعي على نقيض المنشق فان معنوياته ترتفع عندما يتقابل او يواجه العقوبات الاجتماعية ويميل نحو الظروف الساخنة والحادة على عكس (غير المتماثل) يهرب منها لكنه يظهر في الظروف البسيطة والخفيفة وغير الحادة .

الفرق الاخر بين الاثنين حسب ما قدمه مرتون ان المعارض يخدم المصلحة العامة ويفتخر بذلك بينما غير المتماثل يخدم مصلحته الخاصة – الذاتية ،فضلاً عن ذلك فإن المنشق / المعارض / يتمتع بمعنوية عالية وله خلفية تاريخية في مواجهة المعايير والاحداث ويبررها اجتماعياً لا شخصياً انه يحاول ان يقيم العدالة الاجتماعية على أرض الواقع اكثر من اعطاء صورة مؤسسية أو قصة دراميه مؤسسية انه يعمل لصالح الحرية الحقيقية في الخطابة اكثر من التصريحات اليومية الاستهلاكية اي لا يسّوق كلامه داخلياً لانه يحاول إعادة ترتيب البناء

الاجتماعي ليحقق المساواة الحقيقية واعطاء الفرص لكل الناس الذين يبحثون عن الحق والعدالة والحرية . بهذه الكيفية يبرز المنشق كداعية لايجاد معايير عادلة وقيم معيارية مثالية اكثر من ميله للسلوكية العملية وقد يراه البعض بانه (اي المنشق) يتلاعب بالالفاظ او يتكتك لكنه في الواقع انه يريد ان يخدم المستقبل لا الماضي السحيق، العامة لا الخاصة وهنا- حسب قول مرتون- يبتعد المنشق / المعارض / عن النماذج الكثيرة للانحراف التي تبحث عن متعتها الخاصة والذاتية ونزواته الفردية ورغائبه الملحة(١).

لكن بول هورتون (عالم اجتماع امريكي معاصر) يوضح السلوك المنحرف على أنه يحصل عندما يقع التغير الاجتماعي الذي فيه يحصل اختراق للقواعد المرعية والقوانين الاجتماعية ،عندها تظهر مشكلات اجتماعية تعكس هذا الاختراق بذات الوقت تظهر حاجة ماسة الى وجود قواعد وقوانين جديدة تحل محل التي تم اختراقها او تعطيلها.

يذهب هورتون الى ابعد من ذلك فيحدد بدقة اسباب الانحراف الشخصي التي تظهر في مرحلة تعلم او إكتساب المعايير الاجتماعية الجديدة أو لقواعدها ونظمها. في الواقع ان نمو الانحراف يتساوق مع نمو شخصية الفرد وعندما ينمو السلوك الانحرافي ضمن المحتمل ان يكون المنحرف غير قادر على تبني او إكتساب المعايير الجديدة او انه فشل في اكتسابها او تعلمها . مع ذلك فانه قد يرجع انحراف الفرد الى وجود اشكالية عاطفية اوعوق جسماني بايولوجي او وهن اجتماعي يعيقه من اكتساب معايير مقبولة اجتماعياً. اي هناك خلل ىي تكوينهم الجسمي او العاطفي او اجتماعي وهذا لا يمثل عنفاً او اختراقاً للمعايير الاجتماعية بالذات بل عجز قائم يعيق الفرد اكتساب المعايير المقبولة .وهناك من نشأ نشأة اجتماعية ناقصة بسبب سوء تطبيق انظمة المؤسسات الرسمية في المدرسة او العمل او النقابة او وفاة احد ابويه عندما كان صغيراً او مصاحبته لاضدقاء سيئي الخلق، كل هذه الظروف قد تخلق عنده مواقف سلبية من الامانة والشرف والعفه كمبادئ اخلاقية لا يلتزم بها فيكذب ويبالغ ويفتري ويستغل دون حياء او خجل ولا يشعر

بالذنب او العار عندما يمارس سلوكية ضد هذه المبادئ الاخلاقية الرفيعة فينخرطوا بعمق بالمشكلات الاجتماعية ليبحثوا عن نفوذ وثروة باساليب غير مشروعة حتى لو كانت على حساب الاخرين او المبادئ القانونية والاخلاقية. لم يكتف بول هورتون بما قدّم لنا بل طرح انواع الانحرافات الشخصية وهي كما يلي:

١-**الانحراف الظاهري**: وهو ناتج عن التماثل مع معايير الجماعة المرجعية التي يرجع اليها المنحرف. وهذا يحصل في حالة وجود تنوع ثقافي الذي يتعرض الفرد فيه لعدد كبير ومتنوع من المعايير التي قد تدفعه الى التصارع بسبب اختلافها. علماً بان الفرد هنا لا ينتمي بنفس الدرجة والعمق والاتساع الى كل الجماعات والثقافات المتنوعة فمنها ما هو انتماء ضعيف والاخر هامشي والاخر قوي وبعضها مندفع في سبيلها وهكذا وقد يكون انتماؤه لإحدى الجماعات يدفعه لان ينحرف عن معايير جماعة اخرى منتمٍ لها – على الرغم من علمه بذلك – فالجماعة التي يتماثل معها بقوة يسميها علماء الاجتماع بالجماعة المرجعية وهناك جماعات فرعية يتماثل معها الفرد بشكل قوي فتقوم هي بتحديد هويته المعيارية اكثر من غيرها تسمى بالجماعة الفرعية بحيث تميز حياته الخاصة عن باقي تأثيرات الجماعات الاخرى التي ينتمي اليها فالمعايير الاجرامية لعصابة اجرامية منتظمة تعكس مثل هذه الجماعة ويتوقع افراد العصابة منه ان يتماثل مع معاييرهم الاجرامية الخاصة بهم فيكون متكيفاً معها.

٢- **الانحراف اللحظي** – الآني: ان هذا النوع من الانحرافات كثير الشيوع والانتشار بين الناس اذ ينحرف الفرد احياناً وليس دائماً لا يستطيع تجنبه مثل مخالفة اشارات السير– المرورية اوعدم التصريح بضريبة الدخل تصريحاً صادقاً وصريحاً. انها انحرافات بسيطة وصغيرة لكنها تخلق مشكلة اجتماعية لانه يمثل الانحراف الظرفي (الاحياني) ويكون صاحب هذا النوع من الانحراف متعدد الانتماءات والتكيفات لعدة جماعات. فلا يُعّد منحرفاً بالمعنى الانحرافي بل ميالاً للانحراف (حسب تقييم بول هورتون)[٢].

(٥-ب) العنف والسلوك العدواني

الفعل العنفي كان وما يزال قائماً – عبر التاريخ – في المجتمع الانساني (كالقتل والبتر والتشويه والتدمير الكامل للملكية) وهذا يعني ان العنف لا يرتبط بالحرب او بأيام الحرب بل في الحياة الاجتماعية العامة اليومية . إنه يمثل السلوك الجرمي والمنحرف الذي يقوم به المجرمون وغير المتزنين عقلياً (المعتلين عقلياً) او الناتج عن صراع الجماعات (كالبيض والسود او العمال مع الادارة العمالية).

فضلاً عن ذلك ،فهناك عنف جماعي تقوم به الحكومات ضد الاقليات مثل عنف الاتراك ضد الارمن.

في الواقع هناك مفهومان للعنف: الاول: العنف الجسدي وليس الاصلاح الاقتصادي او المحيطي ، والثاني : العنف المدمّر المتضمن العدوان وليس التبريري، وغالباً ما يكون موجهاً ضد الاشخاص وفي بعض الاحيان يوجه نحو الملكية . على الا ننسى ان العدوان قد يؤدي الى العنف . حري بي ان أُشير الى اشكال العنف التي تأخذ الواناً شتى مثل اغتيال الرئيس، قتل المافيا ، الشغب المخل بالامن ، الاهتياج الجمعي في المدن ، حرق المحلات التجارية او نهبها ، القنابل المؤقتة في صناديق البريد او في مراكز الشرطة او في الاسواق التجارية، الصدامات بين البيض والسود أو في مراكز الحرس الوطني لدرجة تضطر السلطة الى صدّ ومنع مثل هذه الاهتياجات والابادة الجماعية وجماعات الشغب من القيام باعمالها التخريبية.

وهناك عنف (سواء أكان فردياً أم جماعياً) منظم مثل العنف الطبقي او الديني الذي يكون منتظماً ويُعدّ مشروعاً (قانونياً) سواء كان مدعوماً من السلطة او العرف الاجتماعي او مؤسساته التي تدين مثل هذا العنف لانه اذا كان الفعل العنفي يبحث عن تأسيس قيم جديدة فإن الثورة على القيم القديمة يعد فعلاً عنفياً مشروعاً لانه يبحث في اعادة تنظيم المجتمع ، هذا الاختلاف بين هذين النوعين من الفعل

العنفي يعود الى آثاره (أي آثار العنف) وليس دوافعه، اذ كلما كان التعبير عن المصلحة العامة بات عملاً عنيفاً مشروعاً والعكس صحيح .فالحروب الاهلية كان هدفها اعادة تنظيم الحياة الاجتماعية لذا فان هدفها عام وليس خاصاً اي ان فعلها العنفي ايجابي وليس سلبياً وكذا الحال مع الثورات الشعبية بتعبير ادق ان اشكال العنف لا تحدد تبعاته اذ انها تتأثر بمصادر العنف والسبل التي تسلكها والعقبات التي تواجهها.

مصادر العنف

هناك جملة اسئلة حول هذا الموضوع وهي : لماذا العنف الفردي؟ والعنف الجماعي؟ ولماذا لا يقل او تتقلص حالات حدوثه ؟ هناك عدة اجابات منها ما هي صادرة عن ان العنف ناتج عن طبيعة الانسان الحيوية (البايولوجية) اي الاستعداد او القابلية الجسمانية السوية او ناتج عن تعلم او اكتساب معايير العنف او تتبلور من قِبل البناء الاجتماعي ذاته.

بشيء من التفصيل سأتناول شرح وتفسير هذه الاجابات كل على حدة:

١ – **المدرسة البايولوجية**: الطبيعة البشرية التي ترى الانسان كحيوان لا غير امثال الفيلسوف الاجتماعي هوبز الذي يؤكد على تأصيل السلوك العنفي في جسم الانسان لحل الصراع داخله، اي للتنفيس عن النزاعات الداخلية –الجوانية– الباطنية . وفي ضوء هذه الرؤية فان الانسان يعني عدواني بطبيعته يعيش تحت ظلال او الظروف المدينية لابساً القناع الاجتماعي ليخدع الاخرين بمظهره ويغطي عن طبيتعه الحيوانية. لاجناح من الاشارة في هذا المقام الى ان معظم علماء النفس يدعمون هذا التفسير وبخاصة التوضيح الذي يقول « يولد الانسان حيواناً بايولوجيا باحثاً عن حاجاته الخاصة به ومتمتعاً بقدره سلوكية عنفية وخلال تنشئته الاسرية والاجتماعية تتحور هذه القدرة السلوكية لتوازن بين عواطفه ورغائبه فيصبح بعدئذ غير عنيف تجاه اخيه الانسان او يتجنب السلوك العنفي

ويتعلم ايضاً المشاركة مع الاخرين في اهدافهم العامة اكثر من تحقيق اهدافه الخاصة فقط، وكلما زاد بروز الاهداف المشتركة او المكملة او المتساندة مع اهداف الاخرين قل ميله نحو الصراع مع الاخرين واذا وقع (الصراع) فإن حدته تقل في قراعه. مثال على ذلك يشترك المواطنون في اهداف امتهم الواحدة لكن المواطنين من امة اخرى لا يشاطرونهم في اهدافهم ولا هم يشاطرون افراد امه ثانية او ثالثة في اهدافها العامة.

يوضح علماء النفس ان التنشئة الاجتماعية غير كافية في هذا التطبيع للسلوك العنفي عند الانسان حتى لو نجحت في تلقين (الامة) مواطنيها الاهداف المشتركة، اذ ان المكافأة ضرورية لكل من يحقق اهداف المجتمع والعقوبة تكون جوهرية لكل من يخالف تلك الاهداف المجتمعية العامة فضلاً عن هذا القول لعلماء النفس فان الفيلسوف الاجتماعي هوبز بيد ان لوك (وهو فيلسوف اجتماعي اخر) يجد ان الطبيعة البشرية مسالمة وقنوعة وبخاصة عندما يكون الانسان حراً طليقاً بشكل كامل لينظم فعله الاجتماعي ضمن حدود قانون الطبيعة وبخاصة الفعل الذي لا يعتمد على فعل الاخر. فالاقلية عندما تشعر باضطهاد الاغلبية لها تميل (الاولى المضطهدة) الى استعمال السلوك العنفي والدليل على ذلك ان الحيوانات لا تميل الى السلوك العنفي بسبب قانون الطبيعة الحر، وهذا يوضح لنا ان السلوك العنفي عندها نادر الحدوث لانها حرة في سلوكها داخل الطبيعة ، او أن السلوك هذا عندها يشبه اللعب عندها وليس العنف من اجل العدوان وهذا ما يحصل عند الكلاب والديكة وما يحصل بينهم من عراك وشجار لا يصل الى درجة قتل الاخر والحال ذاته عند الفقريات (حيوانات ذات العمود الفقري كالاسماك والزواحف والطيور والثدييات).

لكن بسبب تطور عقل الانسان السريع كسلاح ادى الى فقدانه النواهي الطبيعية او الموانع الطبيعية ضد قتل اخيه الانسان والى الابادة الجماعية للحيوانات لكي يأكل لحومها او الاستفادة من جلدها او عظامها. فضلاً عن ذلك فان نيكولاس

تنبرجن وجد التعاون الاجتماعي والمشاركة الجماعية والتعاون والرفقة والالفة والدعم والعطف بين الحيوانات قائمة وموجودة ، وان معظم المعارك بين الحيوانات تحدث في فصل التفقيس والولادة التي تأخذ شكل العداء للتعبير عن الدفاع عن موطن عيشها لانه يمثل حالة التناسل لذلك لا تقبل أي مخلوق مشاطرتها او مشاركتها هذا الموطن التناسلي اذ تعده كارثه لها. اقول ان سببب الصراع العدائي بين الحيوانات يرجع الى رغبة المخلوق بمشاطرة المخلوق الاخر في موطن تناسله (التفقيس والولادة) وليس بسبب عامل آخر. الا ان الانسان غير قادر على الرجوع الى حالة الطبيعة الحيوانية ليقلل درجة أو حدة عدوانيته.

نظرية الذعر

ربطت النظرية السابقة السلوك العدواني بطبيعة الانسان البايولوجية انما هذه النظرية تفسّر وتربط السلوك العدواني للانسان بمحيطه الاجتماعي الذي يسبب له الخيبة والفشل فيوصله الى حالة الذعر عندئذٍ يقدم على ممارسة السلوك العدواني المتمثل بالعنف . اي ينتج العدوان العنفي عند الانسان عندما يتعوق تحقيق مراده اوعندما تخيب آماله ويحبط . تحت هذا الضغط المحيطي يندفع الانسان الى العدوان العنفي فالطفل على سبيل المثال اذا خابت طلباته ولم تتحقق مال الى السلوك العدواني.

نظرية التعلم

ترى هذه النظرية ان العنف ينتج عن التنشئة المتسلطة وبالذات سيطرة الضوابط الاجتماعية الصارمة . بشكل عام السلوك العدواني وبشكل خاص السلوك العنفي يكونان مكتسبين (عن طريق التعلم) مثل باقي السلوكيات حتى ولو وجدت احباطات لها. لكن من مفارقات الامور يرى ابناء الطبقة الوسطى والمثقفون السلوك العنفي بغض النظر فيما اذا كان متعلماً او طبيعياً يمثل الرعب عندهما لكن في هذا السلوك (العنفي) لا يُعدّ هكذا في بعض الثقافات الفرعية بل ينظر اليه احد

مصادر الاعتبار الاجتماعي وبالذات عند المجتمعات الحدودية اي التي تعيش على حدود البلد اذ أنها تعد تصويب البندقية واجادة اصابة الهدف جزءاً من اعتبار الرجل الاجتماعي. ليس هذا فحسب بل ان ابناء الطبقة الدنيا غالباً ما يستخدمون قوتهم العضلية في صراعاتهم مع الاخرين اي ان الظروف الصعبة تخلق عندهم هذا الاستخدام العنفي، ونجد الحالة ذاتها عند المراهقين في العصابات الاجرامية واعضاء الثقافات الفرعية اذا انهم يتعلمون السلوك العنفي ومعاييره من خلال مشاهداتهم للمجتمعات التي تحبذ المعايير العنفية ومنطق القوة وحتى في تربيتهم البيتية يحصل ابناء هذا المجتمع على العقوبة الردعية والزجرية والعقابية الجسدية اذا خالفوا اوامر وتعليمات ابويهم، ويكتسبون معياراً يعزز العقوبة والعنف والصرامة وانه شيء محبب ومرغوب فيه وعليهم اداؤه لكي يحصلوا على التأييد الاجتماعي ،ويعدون جبناء او متخنثين في سلوكهم من قبل افراد المجتمع الذي يعيشون فيه اذا لم يستعملوا السلوك العنفي . اي يجدون دعماً وتعزيزاً من ثقافتهم الاجتماعية لهذا النوع من السلوك . والحرب والصراع في مثل هذه الثقافات الاجتماعية تجعل من المقاتل بطلاً اسطورياً له الحق في الحصول على اية فتاة يرغب فيها.

هذا على الا ننسى ان افلام التلفزيون ومسلسلاته تشجع على ممارسة السلوك العنفي عند المشاهدين من الشباب والاطفال الذين يشاهدون افلام كارتون تعرض القصص البطولية والسلوكية العنفية فيتأثرون بها ويتعلمون اساليبها منها.

وهناك افلام عنفية تعمل عند مشاهديها حالة تنفيسية عن النوازع والميول العدوانيه اكثر من تشجيعهم على ادائها وممارستها.

نحو نظرية متكاملة في السلوك العنفي

بات واضحاً ان النظريات الثلاث السالفة الذكر تحمل في طياتها مصادر قوتها وضعفها ،بذات الوقت أمسى ايضاً من الصعب القول ايهما اقوى من الثانية والثالثة

او ايهما افضل في تفسير السلوك العدواني من الاخريات فالمجرم عندما يطلق الرصاص على صاحب المتجر فانه من المؤكد ان لديه قدرة بايولوجية تساعده على السلوك العدواني –العنيف ،وقد يكون مخيباً في طموحه فبات مذعوراً فأقدم على السلوك العدواني ، أو قد يكون فقد رشده اوعقله ،ومن المحتمل انه قد تعلم السلوك العدواني من محيطه الاجتماعي، لذا وجدنا هذه النظريات الثلاث تقدم ثلاثة تحاليل وتفاسير متباينه في رؤيتها ومضامينها.

ولما كان الانسان يعيش في مجتمعات مختلفة ومتباينة في تاريخها وثقافتها وطموحها ومحيطها وبيئتها فانه من العسير جداً ان يتقولب السلوك العدواني بقالب واحد لان مؤثراته تختلف من مجتمع لاخر ومن فترة زمنية لاخرى داخل المجتمع الواحد،هذا فضلاً عن ان قدرات الانسان البايولوجية متباينة فيما بينها، لذا نجد ان مستويات العنف مختلفة ومتباينة عند الافراد المتصفين بالسلوك العدواني– العنفي، فضلاً عن ان موقع ومكانه الانسان لا ترتبط بالسلوك العدواني فالقصاب (اللحام) والشرطي والمحامي والمجرم لا تمنعه من ان يكون عدوانياً اذا خابت آماله او بات مذعوراً في موقف معين وهذا يعني انه لا يوجد انسان لا يستطيع تجنب السلوك العدواني لانه موجود في جسمه (من الناحية الجينية) وفي رموز ثقافته الاجتماعية لان هناك حالات يكون فيها المجتمع ذاته مشجعاً الفرد على التصرف بالسلوك العدواني المقبول من قبله ومن ثقافته ،وهذا يعمل على تنفيس الافراد عدوانيتهم من خلال الاعمال التي يقومون بها او يتعلمونها في المؤسسات الاجتماعية التي يكونون اعضاء فيها . اذ ان المؤسسة او الجماعة عندما تغذي عند اعضائها طموحاً ذاتياً اوجمعياً ويتعارض مع طموحات اخرين في جماعة اخرى فان السلوك العنفي أو العدواني يصبح مقبولاً عند تلك الجماعة التي ينتمي اليها الفرد والتعليم او الاكتساب في هذا الضرب من التأنيس الاجتماعي أو التنشئة الجمعية يبيت فعلاً في تنمية وتغذية السلوك العدواني لانه مدعوم ومعزز من قبل الجماعة الاجتماعية. فالفرد الذي يعيش في اقلية مضطهدة من قبل الاغلبية فان جماعته الاثنية تشجعه على السلوك العدواني اذا تم اضطهاده. من قبل

الجماعة الاغلبية وتنظر اليه نظرة عالية اذا مارس ذلك لكنه لا يحصل على نفس النظرة منها اذا تصرف بخنوع وذُلّ.

المجتمع الامريكي يعتبر العنف جزءاً من حياته اليومية ، ويبدو مقبولاً في جنوب الولايات المتحدة اكثر من باقي الولايات الاخرى فيها واكثره بروزاً في المدن مما هو عليه في الضواحي ،واوسع نطاقاً في المناطق الفقيرة من الغنية.

اذ ان العمل في المجتمع الامريكي يلعب دوراً حيوياً في الممارسة العنفية اكثر من بقية المتغيرات والعوامل الاخرى .فالعمال قد يضربون عن العمل بسبب الضغوط الاجتماعية والاقتصادية التي يعانون منها، فيغدو إضرابهم هنا حالة مشروعة واذا ووجهت مطالبيهم بالرفض فإن ذلك يزيد من قناعتهم بمشروعية وقانونية سلوكهم العنفي او العدواني وهنا يبرز النسق الاجتماعي في بلورة السلوك العدواني، فضلاً عن تعزيز عملهم هذا من قبل البناء الاجتماعي الذي يعزز ترابط وتكاتف الفئات الاجتماعية الاخرى فيطالبون بالتغيير الاجتماعي وعضويتهم في النسق الاجتماعي ويزيد من الفجوة بين ما يستطيع المجتمع تقديمه لهم ورغائبهم التي يطالبون في تحقيقها.

تحت هذه الظروف فإن النظريات السالفة الذكر شرحت واوضحت جانباً واحداً من واقع السلوك العدواني الامر الذي يتطلب رؤية اكثر شمولية تأخذ بالرؤية الاجتماعية العامة ومالها من تأثيرات على السلوك الخاص للانسان .لذا هناك عدة مقترحات لان يتم اشتمالها تحت غطاء نظرية واحده لتقليل تعدد السلوك العدواني وعنفه وهي:

الروابط الاجتماعية

تعمل الروابط الاجتماعية المتعددة والمتنوعة على ربط الفرد او الافراد والجماعات بعضهم ببعض من خلال ثلاث زوايا وهي :

١ - القيم: التي تربط الافراد الذين يحملونها ويلتزمون بها في منازلهم ومدارسهم واماكن عبادتهم وشللهم العمرية كاشتراكهم في مستوى معاشي

واحد. فالفردانية Individualism يتشاطر فيها الافراد معتقدات واحدة ومعايير موحده تسمح لهم بالتصارع مع الاخرين الذين يتعاكسون معهم في مصالحهم الذاتية او الذين يختلفون معهم في وجهة نظرهم. وعندما يدخلون في عمل عدواني مع الجماعة الثانية يعني انهم يمثلون مصالح مشتركة واحدة وعندما لا يتم ذلك فان السلوك العدواني يتحول من الخارج الى الداخل اي فيما بينهم او يأخذ الصراع الداخلي او الحرب الاهلية اوالاهتياج الحضري او الشغب التخريبي ضد القانون في المدن.

٢- **الرباط الاجتماعي الثاني هو « التبادل الاقتصادي»** الذي يربط الافراد بعضهم ببعض ليس خارج التزامهم بنفس القيم انما خارج حدود الضرورات أو استخدام معدات بعضهم البعض او يشتركون في استعمال معدات واحدة او تبادل الخبرات التي تنفع الاطراف المشتركة من الرباط العام بينهم ، الذي بدوره يعزز ترابطهم ويقلل من احتمال صراعهم ويخفف من سلوكهم العدواني تجاه الاخر.

٣-**قابلية السلطة** في التحدث عن مصالح الوحدة كجماعة واحدة ، لكي تبقى الجماعة مترابطة ومتمسكة بنهجها ومسيرتها ضمن النظام الاجتماعي وليس خارجه او الخروج عنه، كل ذلك يقلل من صراعهم الداخلي ونزوعهم نحو السلوك العدائي.

في الواقع تقدم الروابط الاجتماعية بما يسمى بكبسوله Capsle او عبوة تحتوي على الصراع لتمنعهم من الانزلاق في خندق العنف والسلوك العدائي هذه العبوة تجعلهم يشتركون بمحبة واحدة تجاه كل منهم للآخر بذات الوقت تبعدهم عن الاسلوب العدائي- العنفي ان لم تجعلهم يكرهون ذلك انه الصراع المتغلف كما أسماه المنظر الامريكي المعاصر « امتاي اتزيوني»[٣] أو الصراع المكبسل (ان جاز التعبير) En capsulated conflict اذ أن الروابط الاجتماعية تفرز غلافاً شفافاً Capsle يحتوي على الصراع اما التكبسل او التغلف فانه يشير الى عمليات يكون فيها الصراع متحولاً الى صراع مقنن ومحدد بالقانون او النظم . اي صراعات لم

تُحل بعد ،اقول انه صراع مسالم . انه نوع جديد من العلاقات الاجتماعية ينطوي على مصالح ومعتقدات متباينة ومختلفة تمتلك الاسلوب العدائي المبطن والمشترك، فقد يستمر أو قد تعمل الحكومة على تحويل اتجاهه او التحكم فيه.

محدودية الاتصال بين الجماعات المتصارعة : طرح روبرت عزرا بارك (عالم اجتماع امريكي حديث) مفهوم «القوة الحاثّة» الذي يقصد فيه، قد يخلق الصراع تفاعلاً بين الجماعات المتصارعة وكل جماعة تريد ان تتعرف على صفات الاخرى فيتصلون بعضهم ببعض بواسطة شتى الطرق (المباشرة وغير المباشرة) لمعرفة خبايا ونوايا واهداف كل منهما عند الاخر وهذا يعني انهم يشتركون بدافع واحد وهو التعرف على بعض انما في صفات القوة والضعف وقد يؤدي هذا التواصل المستمر الى تحويل الصراع بينهما الى حالة التنافس (الذي هو اقل حدّة من الصراع ولا يصل الى درجة التقاطع) وهذا يمثل الصراع المتغلف في عبوة شفافة ويقل ميل العداء والعنف عندهما بسبب تضمن كل منها قيماً واحدة ومصالح مشتركة وحتى مشاعرهم تكون متقاربة لان الاتصالات بينهما جعلت معرفة كلٍ منهما للآخر قريبة يكتشفان المشاعر المستترة عند كلٍ منهما.

لكن اذا اتسعت دائرة الاختلافات بينهما وزادت كثافة سمك غلاف كبسولة الصراع ،تقربان من حالة الصراع والعكس صحيح.

تأثير قوة الجماعة المتألقة : اذا كانت هناك ثلاث جماعات مشتركة في حالة صراع فإنه يتحول الى حالة ائتلاف اي تصبح جماعتان ضد جماعة يختلفون معها في الاهداف والقيم والمعتقد وهذا لا يعكس الصراع المتغلف او المكبسل ويمكن تشبيه هذا الصراع بصراع المعسكرات (الشرقي والغربي سابقاً) او بين امريكا والصين.

لكن اذا كان الصراع قائماً بين أربع او خمس جماعات متضادة فإن جماعة واحدة اذا كانت تمتلك القوة المؤثرة والجاذبية الساطعة تستطيع ان تؤثر على بعض الجماعات وتتآلف معها ضد الاخريات وهذا النوع لا يشبه الصراع المكبسل ايضاً.

التنظيمات الوسطية: تكثر مثل هذه التنظيمات في المجتمعات المحلية التي تعمل على حل النزاعات والخلافات بين افراد المجتع وقيادته لان هدفها (الوسطية) ان تتوسط بين المتنازعين لابعاد حالة العنف والعداء بينهما لكي تخلق انسجاماً داخل المجتمع المحلي او تعمل على تطوير علاقتهما الى حالة أرقى من الانسجام. ان هذه التنظيمات تعمل على شكل عصبة تمارس نشاطها على كافة المستويات والصعد.

ميل العنف نحو البناء الاجتماعي: اذا كان البناء الاجتماعي من النوع المتصلب (اي يتحكم به نظام ديكتاتوري فردي او حزب واحد أو طائفة دينية واحدة اوعائلة واحدة او مشيخة واحدة) فإن الفئات الاجتماعية الموزعة على تدرجه تميل الى ممارسة العنف المبطن لان واجباتها اكثر من حقوقها ولانها محرومة من ممارسة نشاطها الفكري والانتخابي -السياسي والاقتصادي وسواه .اما اذا كان البناء الاجتماعي مرناً فإن الاختلافات بين فئات المجتمع لا تصل الى درجة الصدام العنفي بسبب انفتاح البناء على تقبل المستجدات وعمله على توازن الحقوق مع الواجبات ويعيد توزيع الفئات على التدرج الاجتماعي وفتح قنوات لتصريف التوترات والصراعات (اذا حصلت) بين الفئات الاجتماعية.

وما دمنا بصدد السلوك العدائي -العنفي اقدم للقارئ ما جاء في مؤتمر نيويورك الذي انعقد في شهر ايلول(سبتمبر) ١٩٩٧ الذي بحث في مسلسل العنف اليومي الذي تعاني منه المدن الكبرى في العالم في الوقت الراهن. تشير آخر الارقام الرسمية حول هذا الموضوع الخطير الى ان عدد الجرائم ارتفع ثلاث مرات خلال السنوات القليلة الماضية في الدول الغربية فبلغ (١٥٠) الف قتيل جرت آخيراً في الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والمانيا ونحو (٢٦٥) الف محاولة اغتصاب وما يقارب (٨٨) الف محاولة سطو كبيرة على بنوك ومؤسسات تجارية كبرى. وتتخذ الاعمال العنفية خلال الفترة الاخيرة شكل عصابات منظمة تتألف من مجموعات من المراهقين والمتمردين على المجتمع تحاول الانتقام من خلال الغرق

في عالم الجريمة واعمال السطو والاعتداءات الجنسية التي ازدادت خمس مرات خلال اقل من سنتين .انها نوع من محاولة الهروب من الواقع الضاغط على شريحة كبرى من الناس اصبحت غير منتمية الى اي شيء لذلك ينساقون وراء اعمال غيرمشروعة يحاولون من خلالها تحقيق ذواتهم وهذه النشاطات المدمره تعتبر افه اجتماعية في المجتمعات الغربية والاشد خطورة على تماسك بنيتها . وذلك لعدم وجود انظمة اكثر عدلاً ومساواة تلغي التمايزات الاجتماعية وتخفف من عدد الفقراء والمشردين والتمردين على القيم الانسانية كلها . ان هذا الميل الى اللهو والعبث وعدم الجدية ناتج عن فقدان الامل في تحسن الوضع في المستقبل لعشرات الملايين ممن يتخبطون في المعاناة والبؤس والقهر والتناقضات وتفكك الروابط العائلية.

ويقول المختصون ان نحو ٦٨٪ من هؤلاء المتمردين ويصل عددهم في الغرب الى ما يقارب ٢٨ مليوناً وهناك ٣٥٪ سبب مشكلاتهم خلافات عائلية حادة ويتراوح عددهم بين ٢٤و٣٦ مليوناً . هذا مع العلم ان التفكك الاسري يؤدي الى تنشئة جيل كامل من الذين ينجرفون الى ممارسة كل اشكال العنف والتمرد.

ان ما تفرضه الخلافات العائلية والمشكلات الاجتماعية يجمعه البؤس والشترد فيلتقي هؤلاء الذين يعتبرون انفسهم منبوذين في حلقات سرية اولاً يمارسون كل مظاهر التمرد والتحرر من اية قيود وروابط اخلاقية واسرية ونتيجة هذه المعضلات المتفاقمة على غير صعيد ازدادت حوادث القتل والسلب الى حد خطير جداً (٤).

(٥-جـ) الفقر

إلماعة عاجلة

الفقر حالة اجتماعية متزامنة ومترادفة مع وجود حالة الغنى داخل المجتمع الانساني، والاثنان موجودان في كافة المجتمعات الانسانية وفي كل مرحلة زمنية، وكما نعلم إنجذاب علماء الاجتماع نحو المشكلات والظواهر الاجتماعية في دراساتهم ،لكن الاكثر جذباً لهم هي الظواهر والمشكلات التي تمثل نطاقاً واسعاً في المجتمع والتي تؤثر فيه سلباً اكثر من الايجاب. ففي القرن التاسع عشر كان فقر في اوروبا لكنه لم يدرس من قبل الباحثين الاجتماعيين بشكل مفصل ومستقل بل مصاحباً لمشكلات اجتماعية اكثرخطورة منه او مرتبطاً بحالات اعمق اثراً في المجتمع . لكن بعد الازمة الاقتصادية العالمية (مرحلة الكساد الاقتصادي) في عام ١٩٣٠ تفاقمت هذه الحالة الاجتماعية البائسة فلم تعد آنذاك ظاهرة اجتماعية بل مشكلة اجتماعية تؤثر على تحسين نمو شريحة اجتماعية كبيرة داخل المجتمع، بعد هذا التفاقم الاشكالي التفت اليها علماء الاجتماع في بحثهم عن اسبابها وانواعها وكيفية معالجتها فظهرت دراسات متباينة في تحاليلها وتبصيرها وذلك لان لمشكلة الفقر اسباباً مختلفة بينما الفقر كظاهرة اجتماعية لها صفات متشابهة في معظم انواع المجتمعات اذ ان صفات الفقير في الهند تتقارب من صفات الفقير في الولايات المتحدة (على سبيل المثال لا الحصر) لكن مشكلة الفقر في الولايات المتحدة ليست ذاتها في المجتمع الهندي وذلك بسبب نسبة الفقراء داخل المجتمع ونوع ثقافتهم الاجتماعية ومستوى عيشهم استناداً الى مستوى العيش العام ثم اختلاف تحديد معيار الفقر في المجتمع ،اذ هناك معيار حتمي مطلق (وهو الدخل السنوي للاسرة الفقيرة) والمعيار النسبي (الذي يشمل مستوى العيش بضمنه مستوى المسكن والملبس والطعام -نوعه وصفاته).

يرى بعض الاجتماعيين الاميركان الى ان تطور النظام الصناعي المعاصر انتج ثروة ورخاء كبيرين ورفاهية واسعة للعديد من الناس ،لكن في الوقت ذاته خلق

ملايين من البشر يعانون من البطالة التي ادت الى الفقر الذي مزج العديد من المشكلات الاجتماعية (جنوح وجريمة وطلاق وادمان على المخدرات والمشروبات الكحولية) لان تطور الماكنة الانتاجية وتعقيد بنائها ادى الى الاستغناء عن العديد من العمال غير المهرة لعدم حاجتها لهم فباتوا في بطالة قاسية وعاشوا في فقر بائس ومن هنا جاء إقتران بطالة العمال غيرالمحددة مع الفقر(٥).

في الواقع اني لا اعترض على هذه الرؤية لانها واقعية إنما أجد مشكلة الفقر موجودة قبل تطور النظام الصناعي في المجتمع الاوروبي لانها كانت موجودة في المجتمعات الاقطاعية في اوروبا ابان القرون الوسطى وموجودة ايضاً في الريف (لكن بنسبة قليلة) بيد ان نسبتها ازدادت بعد تطور النظام الصناعي ومع التوسع الحضري في المدن .اقول انها موجودة في كل مجتمع لا يمارس العدالة الاقتصادية -الاجتماعية ، وهذه حالة كائنه في كل المجتمعات لكنها نسبية تزداد وتقل حسب الوعي الاجتماعي والاقتصادي والسياسي لافراد المجتمع اذ كلما زاد قلت نسبة الفقر والعكس صحيح.

هذا مجرد تمهيد اولي قبل تناول موضوع الوحدة انتقل بعدها لتحديد الفقر .

تحديد مفهوم الفقر

لكي نطلع على اكثر من وجه واحد له ونربطه بها لكي نستطيع تشكيل صورة متكاملة – إن إمكن– حول هذه المشكلة الاجتماعية المزمنة في المجتمعات الانسانية . يعرف جورج زمل (منظر ألماني قديم) الفقر كالآتي : « هو تحديد الناس لمستوى عيش معين يعدون ظروفهم تشكل حالة الفقر». إذا اردنا ان نناقش هذا التحديد فإننا سنرى ان الفرد لا يحكم على مستوى عيشه بانه يمثل مستوى الفقر بل مايجده الاخرون الذين يعيش في وسطهم ويصفون وضعه المعاشي بانه يشير الى حالة الفقر وهذا يعني ان لا أثر للدخل اليومي أو الشهري أو السنوي في تحديد

جورج زمل للفقر بل اكتفى بحكم الاخرين على مستوى عيش لشريحة اجتماعية معينة ولم يعط اية اهمية (زمل) للوعي السياسي كمؤثر على نظرة الفرد لذاته.

وهناك لويس كوسر (منظر امريكي معاصر) الذي حدد الفقر على إنه «ما يوصم المجتمع حياة جماعة اجتماعية معينة على انها تعيش ضمن دائرة الفقر»[٦] هذا التحديد مشابه جداً لتعريف زمل لكن الفرق بينهما هو أن كوسر استخدم عبارة (وصم) المجتمع لمستوى حياتي – معاشي معين. التي هي شبيهة بنظرة الناس التي استعملها زمل في تحديده للفقر.

لا استغرب من هذا التشابه بين كوسر وزمل لان الاول تلميذ الثاني ومن المتوقع ان يحصل مثل هذا التقارب والتجاذب بينهما. ومن نافلة القول ان اشير الى تحديد الوظيفيين الذين يرونه احد افرازات الخلل الذي اصاب النظام الاقتصادي في اداء وظيفته بالطريقة السوية او المألوفة.

هذا التحديد (تحديد الوظيفيين الاجتماعيين) يرجع الفقر الى عجز النظام الاقتصادي في المجتمع الرأسمالي في استمرار قيام النظام الاقتصادي بمناشطه الانتاجية الذي يفرز استغناءً عن العمال الذين كان يستخدمهم في العمليات الانتاجية وقد ارجع (هذا التحديد) عجز النظام الاقتصادي الى التصنيع المتسارع الذي صدّع النظام الاقتصادي فخلق له اضطرابات وقلاقل يصعب عليه اصلاحها. هاك مثالاً على ذلك: عندما يحصل تطور تقني في مصنع ما فإن العمال غير المهرة يحولون الى العمل في الاعمال الخدمية التي لا يحصل فيها على أجر عالي وهذا يؤدي الى هبوط في مستوى الدخل لشريحة اجتماعية واطئة الدخل ثم مجيء (الاتمتة) اي المكائن والمعدات المعقدة التي تنتج سلعاً هائلة في وقت قصير يتم فيها الاستغناء عن العديد من العمال الذين كانوا يعملون على الالات والمعدات الاولية واستغنى المعمل عنها الامر الذي ادى بهؤلاء العمال غير المهرة الى الاستغناء عن مهاراتهم الابتدائية لان الانتاج الجديد بات لا يحتاج الى ايدي عاملة ماهرة ولا الى المكتبيين الذين لا يقومون باعمال ادارية متقدمة او متطورة وتحت

هذا الوضع التقني المتطور قام مالكو وسائل الانتاج الى استخدام التمييز الجنسي والعمري بين العمال لكي يستغنوا عن العاملات وإبقاء العمال كذلك الاستغناء عن العمال المتقدمين بالسن فتصبح بطالة متضمنه النساء والمعمرين وهنا يخسر المجتمع طاقات كان يعتمد عليها في الماضي.

هذا من جانب ومن جانب آخر ،فإن عجز النظام الاقتصادي لم يتأتّ من هذه الاسباب فحسب بل يأتي من الاجراءات الديوانية (البيروقراطية) المملة وعدم كفاية الاموال المخصصة لخدمات الانعاش الاجتماعي للعمال وعدم تناسق دورات التدريب والتأهيل المهني للعمل. جميع ذلك يعمل على تعثر مسيرة النظام الاقتصادي في اداء مناشطه. ويرى الوظيفيون ايضاً ان السبيل الافضل في التعامل مع مشكلة الفقر هو إعادة تنظيم النسق الاقتصادي بكيفية يكون نشاط اكثر فاعلية وعدم اهمال الفقراء، بل دمجهم في المناشط المنتجة امن اجل اشعارهم بانهم جزء من الحياة الاقتصادية في المجتمع وذلك بعد تدريبهم وتأهيلهم لكي يمنحهم التجربة في العمل الذي يتناسب مع قدرتهم وقابليتهم .وعن هذا الطريق يتبلور شعور ذاتي عندهم يربطهم بمجتمعهم ويجعلهم ينظرون الى ذواتهم بأنهم مواطنون قادرون على خدمة اقتصاد بلدهم فضلاً عن أن نظرة الناس اليهم سوف تكون محترمة ويثمنون عملهم واشعارهم بأنهم لا يمثلون عبئاً على المجتمع او إنهم يمثلون جماعة طفيلية تقتات قوة المجتمع. واذا تم استقرار النسق الاقتصادي فإنه لا يستمر في خلق مشكلات اجتماعية جديدة ويزيد من الفقر فقراً ولم يقعوا في فخّه. هذا الطرح الوظيفي يعكس رؤية الوظيفيين الذين يرجعون الفقر داخل المجتمع الى عدم العدالة الاجتماعية .لكن ثمة رأي لاثنين من الوظيفيين وهما كنكزلي ديفز وولبرت مور اللذان يريان ان عدم العدالة الاقتصادية داخل المجتمع تمثل وظيفة ايجابية للمجتمع لانها تحفز العديد من الناس لكي يعملوا بشكل جدي ومثابر من اجل تحسين وضعهم الاقتصادي والاجتماعي ولكي يواجهوا متطلبات الحياة الاجتماعية المتزايدة وان غياب المحفزات وعدم تحفيز الافراد وخلق روح

المنافسة بينهم وبالتالي لا يحصلون على مكافآت مادية ومعنوية التي بدورها لا تعمل على تحسين احوالهم المعاشية ولا يتجدد عملهم ولا يبدعون في مشاريعهم(٧) . بعد ان حدد الوظيفيون معنى الفقر، اذهب الى رأي مغاير لما تقدم وهو تحديد الصراعيين الذي إنطوى على ما يلي: ان الفقر هو نتاج الصراع الطبقي بين الطبقات الثرية والفقيرة .اذ تبحث الاولى عن زيادة ارباحها من خلال استغلال طاقات الثانية (الفقيرة) وتسخيرها لخدمتها .هذا الصراع الطبقي مرده عدم تحقيق العدالة الاقتصادية والاجتماعية التي تولّد قيماً اجتماعية مختلفة عن قيم المجتمع فتكون هناك طبقتان متناحرتان قيمياً ومترابطتان اقتصادياً غير متكيفتين الواحده للاخرى بل متصارعتين من أجل خدمة مصالحهما المتضاربتين اذ يبحث الفقراء عن مسلك للهروب من فقرهم بوساطة عدم تكيفهم لوضعهم الاقتصادي – الاجتماعي المزري والتسلح بالوعي السياسي من أجل مناهضة الاستغلال البشري والاقتصادي وتحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية . الملاحظ على تحديد الصراعيين انه لم يتميز بحكم الناس على مستوى عيش معين بل على وجود نوعين من الطبقات الاجتماعية مختلفتين في اهدافهما ومصالحهما ودخلهما فتتمسك احداهما بمصالحها واهدافها (الثرية) وتحاول الثانية(الفقيرة) الهروب من ظروفها الاقتصادية والاجتماعية لتمثل مواقع اقتصادية وسياسية واجتماعية افضل مما هي عليه ولا وجود لحكم الاخرين على وضعها بل إن حكم ذاتها على وضعها الذي يتبلور من وعيها بواقعها وطموحها لتغيره. انه تحديد اجتماعي – اقتصادي لكنه يختلف عن رؤية الوظيفيين الذين اكتفوا بالرؤية الاجتماعية فقط.

ثم هناك تحديد آخر قائم على دعامة نفسية – اجتماعية مفادها ان المعتقدات والتوقعات الظرفية لا تملك اهدافاً طموحة تنتقل من جيل الى اخر عن طريق التنشئة الاجتماعية المخزونة في ثقافة الفقراء الاجتماعية . اي ان الفقراء يطلبون العيش الاني والسعادة الظرفية والارضاء المستعجل جداً و الاشباع المؤقت وليس لديهم طموحات بعيدة المدى مثل ان يصبح استاذاً او طبيباً او مهندساً وأن يخطط لمستقبل زاهر ويحدد مصادر عيشه وكيفية انمائها وتكاثرها لانهم قانعون بما هم

عليه بسبب المؤثرات النفسية والثقافية التي يخضعون لها فتتبلور عندهم مواقف ومعتقدات نابعة من ثقافتهم الفقيرة لذلك يتكيفون معها ويتعاملون حسب ظروفها الامر الذي لا يجعلهم ان يفكروا في تغيير حراكهم الاجتماعي من الاتجاه الافقي الى الاتجاه العمودي الصاعد الى الاعلى وهذا يكبح وعيهم السياسي (ان وجد) ويثبط عزيمتهم في تغيير وضعهم الاقتصادي والاجتماعي. إنه فخ او مصيدة يقع فيه الفقير من يوم ميلاده لحين وفاته لا يستطيع الخروج منه لكن في الامكان اخراج الفقير من هذا الفخ بوساطة اتاحة فرص العمل له واثارة انتباهه نحو اهداف طموحه وتحفيزه على تحسين محيطه الاجتماعي لكي يستطيع تحسين وضعه وتقليل حدة النزاع بين الفقراء والاغنياء او تلطيف عدم العدالة الاجتماعية وتخفيف حدتها وانتشال الفقير من قدر الفقر(٨).

بعد ان اطلعنا على الرؤى المتباينة في تحديد مفهوم الفقر الذي انطلق من زوايا اجتماعية واقتصادية ونفسية نستطيع الان ان نستنتج ونقول ان الفقر ناتج عن ظروف المعيشة غير المتوازنة في معيشتها ودخلها وعملها. ومما يزيد عدم توازنها هو عيش الفقراء في المدن الصناعية والحضرية التي تستقطب اصحاب رؤوس الاموال وفاقديها (العمال والكسبة) وهذا يعني انها (المدن الصناعية والحضرية) تضم مستويين من المعيشة متضاربين ومتعاكسين في طرق معيشتهما فضلاً عن وجود البطالة والاسر الموهونة تنظيمياً والمتقاعدين عن العمل والشباب العاطل الذي يزيد عدده على عدد الفقراء في هذه المدن . كل ذلك يجعل من مناطق سكن الفقراء اماكن لتفريخ الجرائم والانحرافات السلوكية والمشكلات الاجتماعية المستعصية والادمان على المخدرات والمسكرات والقيام بعمليات التزوير بكافة اصنافه وتهريب السلع والبضائع وباقي المخالفات القانونية لحاجتهم الماسة للمال الذي يدفعهم بطلب اكبر كمية ممكنة منه باقصر فترة زمنية مستطاعة وذلك عن طريق السطو على البنوك او الاماكن الغنية والعمليات الاحرامية المنظمة وما شاكلها.

معايير الفقر

مما لا يمكن تلافيه عند الحديث عن الفقر هو أن ننبه الى معاييره الاساسية في تحديد من هو الفقير؟ أو ما هي مقاييس العدالة الاقتصادية؟ في الواقع هناك معياران مستخدمان في هذا الموضوع هما (الدخل) و(الثروة) يشير الاول الى كمية المال التي يحصل عليها الفرد من عمله سنوياً (اي اجرته اليومية مضروبة بعدد ايام السنة) وتشير الثروة الى مجموع ما يملكه الفرد من عقار وممتلكات شخصية وأسهم وسندات ونقد. لكن دقة المعلومات عن دخل الفرد تكون اوضح من دقة المعلومات عن مجموع ثروة الفرد بسبب معرفة الدولة لمداخيل الافراد اكثر من ثرواتهم لان الاخير مبعثر ويمثل مدخرات شخصية يصعب على الدولة معرفتها ولان الدولة لا تسجل ثروات أبنائها وتعلنها على الرأي العام. ومن الطبيعي ان يتصل توزيع الدخل والثروة بالغنى والفقير ومستوى العيش ومواقف الغني من الفقير وبالعكس. لا بل حتى موقف كل فئة تجاه ذاتها. فالفقراء يفتقرون الى الحرية الشخصية والاستقلال الذاتي ويعيشون وسط بيئة اجرامية وجيرة بائسة ويواجهون مغريات الحياة المتنوعة التي يرغبون في اقتنائها لكنهم غير قادرين على الحصول عليها الا نادراً لان فرص الحصول عليها عندهم ضئيلة او قليلة. بينما الغني يملك الثروة فتمنحه الحرية والنفوذ والسلطة الاجتماعية والقدرة على توجيه حياته الخاصة. فالذي يستطيع ان يختار ويحصل على الاشياء التي تفرحه وتجلب له المسرة ويدفع ثمنها من ثروته وهذا غير متوفر عند الفقراء ويحصل اطفال الاغنياء على افضل الاشياء واغلاها ويأخذ افضل الضمانات لكي يبقى محافظ على مستواه المعاشي واعتباره الاجتماعي. بينما مثل هذا غير وارد عند اطفال الفقراء واذا حصل بعض الشيء فيكون بشق الانفس وبكلفه غالية ويزداد البؤس بؤساً في المجتمعات المادية اذ يحكم الناس على الافراد من خلال ما يملكون من ماديات وهنا يحكم على الفقير بالبوس المزمن الميؤوس من تغييره.

لكن على الرغم من استخدام الدخل والثروة في قياس غنى الناس وفقرهم فان هذين المعيارين يستخدمان لقياس نوعين من معايير الفقر وهما المعيار المطلق والمعيار النسبي، ففي المعيار الاخير (النسبي) يبنى على الدخل الوطني والثروة

القليلة . فالفرد لديه دخل مالي واطئ وثروة قليلة اكثر من معدل الفرد العام في المجتمع اي دخل يستطيع ان يعيش به على الكفاف. بينما المعيار المطلق يقيس نقص ضروريات الحياة كقاعدة اساسية لقياس خط الفقر أوحدوده الدنيا.المشكلة هنا كيف يحدد خط الفقر وما هو الحد الادنى لمداخيل الفقراء الذين يعيشون ضمن حدوده ؟ فمثلاً في كندا يستخدم حصة الدخل المصروفة على الطعام والمسكن والملبس كمقياس لقياس الفقرعندهم . بينما استخدمت الولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٦٣ دخل الاسرة المكونة من فردين او اكثر الذي كان آنذاك اقل من (٣٠٠٠) دولار في العام لكن المشكلة هنا ان المقياس لا يأخذ بعين الاعتبار حجم الاسرة اذ وضع معدل عام ومطلق لكافة حجوم الاسرة الفقيرة وهذا غير منصف. فالزوجان المتقاعدان -على سبيل المثال لا الحصر- اللذان دخلهما السنوي يبلغ (٢٩٠٠) دولار يُعدّان تحت هذا المقياس من الفقراء والاسر المكونة من زوجين واربعة ابناء ودخلهم السنوي (٣٠٠٠) دولار يعدون من الفقراء ايضاً. فضلاً عن ازدياد اسعار السلع والمسكن والطعام بشكل مضطرد سنوياً. بينما يكون الدخل ثابتاً وهذا بدوره يزيد من فقر الفقراء ويكثف بؤسهم.[٩]

صفات الفقر العامة

كما ذكرنا آنفاً انه على الرغم من تباين الرؤى في تحديد الفقر الا ان هناك صفات عامة تربط فيما بينهم وهي ما يأتي:

١-دخل اقتصادي واطئ.

٢- ضعف في تغذيتهم.

٣- يتمتعون بمستوى تعليمي واطئ.

٤- يسكنون في مساكن حقيرة ورديئة جداً ويوجد تعصب ضد اسكانهم في مناطق حضرية جديدة.

٥-يسكنون في مجتمع محلي او منطقة سكنية موبوءة بالجرائم والانحرافات السلوكية.

٦- تتميز المدارس الموجودة في مناطق سكناهم باعداد كبيرة من الطلبة ومستوى معلميهم التربوي واطئ وضعف الدوافع التعليمية عند الطلبة الامر الذي يجعل طموحهم التعليمي ضعيفاً.

٧- معدل عالٍ من البطالة.

٨- انعدام اسهاماتهم في المناشط المجتمعية المنتجة او المثمرة والمفيدة .

٩- لا يفكرون في مستقبلهم لانه يشبه حاضرهم السيئ او الرديء .

١٠- عدم ثقة المؤسسات المالية (مصارف وشركات)با لتعامل معهم وذلك لضعف موردهم المالي.

١١- يحكم القانون العرفي حياتهم اليومية اكثر من القانون الرسمي المؤسسي.

١٢- علاقة الام بابنائها يشوبها الوهن.

١٣- يتصف بناء الاسرة الفقيرة بان الزوجه تكون رب الاسره.

١٤- معظمهم من اقليات المجتمع الاثنية .

١٥- يعملون في الاعمال الخطرة والقذرة.

١٦- يعيشون في المدن الحضرية والصناعية(١٠).

هذه الصفات اجدها تنطبق على معظم الفقراء في المجتمعات الحضرية والصناعية دون تخصص دولة معينة او نظام سياسي او اقتصادي معين بل عامة وشامله ولا تخضع لتفسير او تحليل اجتماعي فحسب بل يتوجب معها الاقتصادي والنفسي مع الاجتماعي لانها نابعة من رحم الفقر (ان جاز التعبير) دون التكهن بنوع الوليد وساعة ميلاده بمعنى آخر هذه الصفات لا تخضع لتحديد جنسية الفقراء او هويتهم او عمرهم الزمني. اي هل الاسر الفقيرة من المعمرين او العاطلين عن العمل او من المهاجرين او من الاسر الموهومة (المفككة) انها صفات عامة تعطي الصورة الواسعة للفقراء في المجتمع الانساني

اصناف الفقراء

اذهب بعد ذلك لتصنيف الفقراء حسب ماجاء به رايت ميلز الذي استند على دعامتين اساسيتين هما الضمان الاقتصادي ودرجة تنظيم استقرار الاسرة وهي كما يلي:

١ - **الفقير المستتر**: اي الذي يملك دخلاً واطئاً لكنه يتمتع بمشاعر متوازنة وحياة اجتماعية منتظمة بسبب انسجام افراد اسرته ويتمتع ابناؤه بمستوى تعليمي لا بأس به ويعمل في اعمال متوسطة المهارة.

٢ -**الفقير المتوتر**: الذي يتمتع بدخل ثابت لكن حياته الاسرية مضطربة بسبب المشكلات المستمرة بينه وبين زوجته او بينه وبين ابنائه بسبب ادمانه على المسكرات او المخدرات او قساوته في علاقته مع زوجته وابنائه.

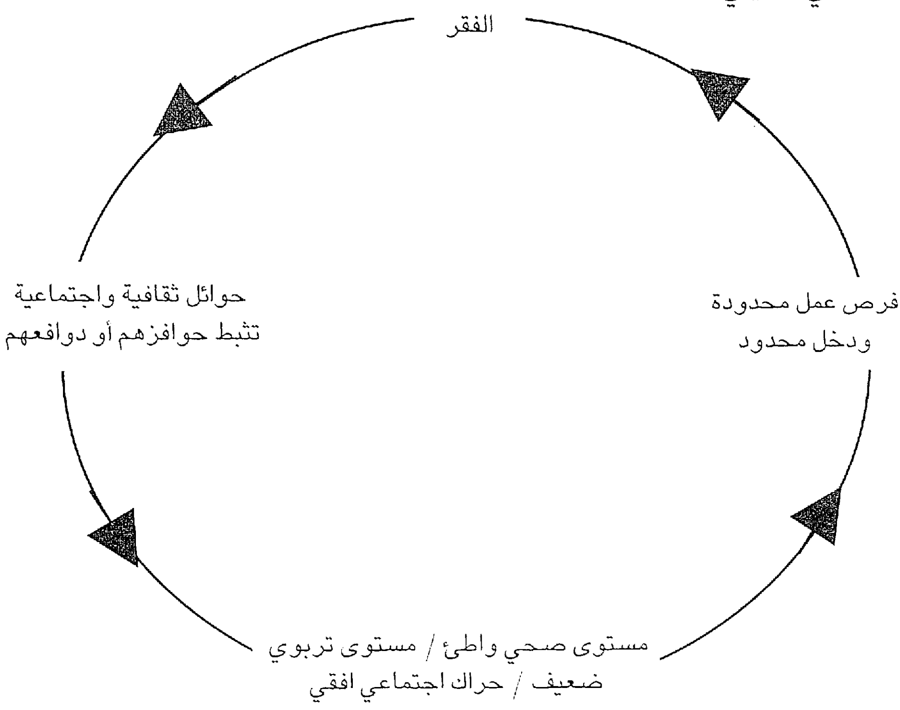
٣- **الفقير المزدوج الأضطراب** : اي اضطراب في دخله على الرغم من قلته وفقدان احد الابوين اوكليهما الامر الذي يجعل بؤسه المعاشي والاقتصادي صعبا جدا.

٤ - **الفقير المكافح** الذي يملك دخلاً واطئاً ويعمل جاهدا على تحسين معيشته وبالوقت ذاته يعيش في وسط اسرة متكيفة مع دخلها ومحيطها الاجتماعي الفقير.

في نظر رايت ميلز يعني الفقير ضحيه التحيز الاجتماعي السائد في مجتمعه الذي دفعه لان يعمل في عمل مفروض عليه ويعيش في مسكن سيء الشروط الصحية وفي حي موبوء (اي مرتع للانحراف السلوكي والجريمة) انه ضحية لا يعرف حقوقه ويجهل القانون بذات الوقت.

واذا عدت الى موضوع اخر من مواضيع الحديث عن الفقر وهذه احدى الغايات التي ارمي اليها وهي (دائرة الفقر) التي وجدتها تعبّر عن حالة متشائمة للفقراء وتصويرهم على انهم في مصيدة او شرك لا يستطيعون الفرار او الخلاص منه بل تلغي قدراتهم وقابلياتهم الفكرية والعقلية بمساعدتهم للخروج من مأزق

الحياة . فهي ترفض فكرة الفقر المؤقت المرتبط بأزمة اقتصادية او اجتماعية ولا تؤمن بصيرورة التغير الاجتماعي (المتدرج أو المتثور) وتغير موازين القوى الاجتماعية بل انجذبت نحو الفقر المزمن الذي لا مفر منه لانه –في تصورها– تضع الفقير في دوامة الفقر لا ينجو منها بل تلف حتى ابناءه واحفاده . أي الاجيال المتعاقبة وهذا حكم قاسي مسبق وانغلاق في التفكير والتحليل. لكن مع ذلك فإني اعرضها لانها تعطي احدى تصورات بعض علماء الاجتماع للفقر التي لا تخلو من فائدة وهي كمايلي:



يمثل هذا الشكل حالة الافراد الذين يتمتعون بدخل مالي محدود والافراد الذين لا يجدون عملاً بسبب ضيق او قلة فرص العمل المتاحه لاصحاب الخبرة الاولية والبسيطة .مثل هؤلاء الافراد يعيشون بمستوى عيش فقير. وان استمرار هذه الحالة تجعل دوافعه للعمل مثبطة فضلاً عن وجود منافسة مع اصحاب المهارات المتقدمة الفنية اوالذين يمثلون اغلبية المجتمع اوعدم حصولهم على القبول

الاجتماعي لانهم في اسفل السلم الاجتماعي. مثل هذه الحوائل الثقافية والاجتماعية لا تجعل حراكهم الاجتماعي على السلم المهني والاجتماعي عمودياً لانه غيرحاصل على مستوى تربوي متقدم وان مهارته المهنية اولية ،وصحته ضعيفة لا تسمح له بمواصلة العمل من اجل الخروج من مصيدة الفقر. ولما كانت فرص العمل قليلة ومحدودة فانه يبقى عائشاً على دخل مالي محدود جداً ويبقى فقيراً مزمناً وهذه الوضعية المزرية لا تساعد ابناء الفقير من ان يعيشوا في مستوى تعليمي وصحي افضل من والديهم بل مثلهم ان لم يكن أسوأ منهم فلا امل لهم بالخروج من حالة الفقر. فالفقراء يولدون في اسر فقيرة وينشأون على قيم ثقافة الفقراء ويترعرعون في بيئة بائسة ثم يموتون ولم يستطيعوا الهروب من فقرهم. مشكلة هؤلاء الفقراء في نظر اصحاب دائرة الفقر هي انهم لم يشاركوا في المناشط السياسية لانهم فقراء اولكونهم يمثلون اقلية اثنية في المجتمع ولم يحتلوا مواقع عالية على السلم الاجتماعي وليس لهم قرار في حياتهم الاجتماعية لانهم مستلبون من قبل الاقلية ذات السلطة الحاكمة وانه من الجائز ان تكون هذه الظروف عاملاً في انتمائهم الى تنظيمات سياسية تدافع عن حقوقهم الانسانية والضغط على اصحاب القرار لتحسين وضعهم الاجتماعي والاقتصادي.[١٢]

اذا قبلنا هذا الافتراض فاننا نجد ان رؤساء التنظيمات السياسية غالباً ما يستخدمون الفقراء موضوعاً للدعاية السياسية لتنظيم أو استخدام اصواتهم في الانتخابات لصالح قادة التنظيمات السياسية وبعد مايفوزون يتخلون عن وعودهم وشعاراتهم التي رفعوها في الدفاع عن الفقراء وتحسين اوضاعهم وبالتالي يتحول الفقراء الى ارقام لصالح المرشح النيابي او السياسي ولا يحصلون على المكاسب التي وعدوا بها من قبل المرشح النيابي او السياسي.

مواقف اجتماعية تجاه الفقر

هناك موقفان متناقضان تجاه الفقر، الاول مادي والثاني قيمي، **الموقف الاول** من العقيدة الفردانية السائدة في المجتمعات الرأسمالية وبخاصة في المجتمع

الامريكي ويمكن تلخيص اراء هذه العقيدة بالنقاط الاتية:

١- لما كانت فرص العمل متعددة ومتاحة لكل فرد قادر على المنافسة.

٢- فانه يجب على كل فرد أن يعمل بجد ومثابرة من اجل ان ينجح في منافسة الاخرين.

٣- هؤلاء الذين عملوا بجد ومثابرة يجب مكافئتهم بمنحهم الثروة والملكية والاعتبار والنفوذ الاجتماعي علاوة على انجاحهم.

٤- وان الذين فشلوا في منافسة الاخرين فان سبب ذلك يعود الى الفشل الفردي وليس الى الفشل الاقتصادي.

٥- وبالتالي يصبح الفرد الذي ثابر في عمله ونجح غنيا والذي فشل يصبح فقيراً[١٣].

مثل هذه الاراء الفردانية ما زالت سائدة في المجتمع الامريكي اذ يلوم الغني الفقير بتهمة كونه كسولاً غير قادر على منافسة الاخرين من اجل تحسين وضعه المعاشي والاقتصادي ولا يلوم الحكومة الامريكية بعدم وضعها برنامجاً لايجاد عمل للفقراء بل يقدمون لهم مساعدات غذائية وصحية ولا تشجعهم على العمل وكسب قوتهم بل تجعل منهم عناصر متكئة او معتمدة على مساعدات الحكومة.

الموقف الثاني: يعبر عن القيم التقاليدية السائدة في المجتمعات الريفية والتقاليدية اذ يعيش الفقراء على المساعدات الاهلية كالصدقات والحسنات من اغنياء المجتمع المحلي ومن الاقارب وافراد الاسرة الممتدة اذ يتوجب عليهم مساعدة الفقراء من ابناء اسرتهم الكبيرة لذلك لا تظهر مشكلة الفقر بشكلها الحاد او القاسي .انه موقف يعبر عن الالتزام القيمي والقرابي في هذه المجتمعات ولا ينظر الى الفقراء على انهم كسالى او ليس لهم القابلية على التنافس الحر من أجل الحصول على عمل يعيش من ورائه بسبب التكافل الاجتماعي السائد في المجتمع المبني على القيم التقاليدية وضعف القيم المادية في المجتمع.

تفاسير الفقر

ان سياق الحديث عن الفقر يلزمني الا أغفل بهذا الصدد ذكر التفاسير المختلفة عنه. **فالتفسير الاقتصادي** يكمن في مطالبة المجتمعات الصناعية للمهارة العالية والخبرة الطويلة والتخصص العلمي الدقيق في فرص العمل المتاحة في سوق العمل وهذا يعني ان عددها يكون قليلاً ونادراً بالنسبة لاصحاب المهارة الواطئة والخبرة القليلة والتخصص العلمي العام الامر الذي يجعلهم يذهبون الى اعمال غير متخصصة وغير ماهرة ولا تتطلب خبرة لكنها تدفع اجراً واطئاً وغالباً ما تكون مؤقتة.

ففي المجتمع الامريكي عام ١٩٧٤ كان نصف عدد الفقراء من العمال غير المهرة الذين يشتغلون اربعين ساعة أو اكثر في الاسبوع ولا يشجعهم دخلهم على العيش فوق خط الفقر وهذا يعني ان العمل غير الماهر والفقر سيان لا يفترقان فضلاً عن تأثير الاتمتة (التي ورد الاشارة اليها في سياق الحديث عن الفقر) على اخراج العمال غير المهرة من اعمالهم وطردهم من معاملهم لانها تملك طاقة انتاجية كبيرة ولا تحتاج الى أيدي عاملة غيرماهرة فأستغنت عن عملهم. هذا من جانب ومن جانب آخر فان العيش في المدن الصناعية مكلف بسبب إرتفاع اجور السكن فيها وارتفاع اسعار السلع للحاجيات الغذائية .اذ ان العامل في المدن الصناعية يدفع اجور سكن لشقة صغيرة وقديمة إكثر من العامل الذي يعمل في مدينة صغيرة ويعيش في شقة او منزل جديد وواسع وفيه حديقة . اي ان العامل في المدن الصناعية يصرف معظم اجره على سكنه على الرغم من رداءته .ومما يزيد من اشكالية المشكل كثرة طلبات الفقراء على السكن الرديء ووجود دكاكين في احياء الفقراء تبيع سلعاً باسعار اغلى من اسعار السلع في مركز المدنية . على ألا ننسى حقيقة افتقار الفقراء لواسطة النقل الخاص الذي لا يشجعهم على التبضع من الاسواق المركزية التي يكون مكانها اوموقعها في اطراف المدينة وتبيع سلعاً باثمان ارخص وتعمل مواسم لتنزيلات وتصفيه لسلعها ،فضلاً عن عدم وجود فقير غيرمدين لبنك او شركة وعليه دفع اقساط دينه كل شهر.

التفسير الثقافي: استخدم هذا التفسير بسبب التنوع الثقافي في المجتمعات الحضرية والصناعية وما له من آثار على تشكيل الثقافات الفرعية ضمن الثقافة الاجتماعية العامة. من المستخدمين لهذا التفسير (اوسكار لويس) الذي درس ثقافة الفقر كثقافة فرعية ظهرت كرد فعل للحرمان الاقتصادي، اذ وجد الاطفال الذين نشأوا في مناطق فقيرة وغرست فيهم قيم نابعة من الحرمان والفاقة لا يستطيعون ان يعيشوا في مناطق اخرى مغايرة لقيم الفقر. بينما وجد المرأة في ثقافة الفقر تمثل مركز الاسرة النووية التي تقوم بكافة المسؤوليات الاسرية داخل الاسرة، والمسؤوليات الاقتصادية خارج الاسرة،من اجل تنمية روح التماسك الاسري والاخلاقي القويم في حين تكون مسؤولية الرجل هامشية واولية. ولكن بسبب الضيق الاقتصادي اتصفت الاسرة الفقيرة بدخل واطئ جداً ومعدل عال من البطالة وهذا بدوره يخلق وضعفاً في سيطرة افراد الاسرة على انفعالاتهم وغضبهم. الامر الذي زادت فيها المشاحنات والاضطرابات والنزاعات الاسرية وهذا لا يمتن تضامن الاسرة بل يوهن علائقها ،ويخلص اوسكار لويس الى ان هذه الصفات يمكن ان نجدها عند كافة فقراء العالم [١٤].

التفسير السياسي: استخدم هذا التفسير في فترات الحملات الانتخابية اذ استخدم المرشحون وضع الفقراء الاجتماعي والاقتصادي كموضوع للدفاع عنهم عندما يفوزون لكن بعد فوزهم لا ينفذون وعودهم التي قطعوها للفقراء ثم ان هناك العديد من الموظفين يعيشون على وجود الفقراء في المجتمع وهم المحامون والقضاة ورجال الشرطة والباحثون الاجتماعيون وحراس السجن والتجار الذين لديهم سلع رديئة او فاسدة او لا تمثل موضة الموسم، واصحاب محلات الاثاث المستعملة واصحاب الكراجات الذين لديهم سيارات مستعملة وغير متينة اوغير مضمونة آلياً فضلاً عن كون الاغنياء يحافظون على مواقع الافراد الذين هم ادنى منهم في السلم الاجتماعي لكي لا ينزلون الى مراتب أو مواقع ادنى مما هم عليه. هذا من جانب ومن جانب اخر فإن الاجور التي يستلمها الفقراء لقاء عملهم

[illegible]

[illegible]

أسباب الفقر

[illegible]

الحياة العائلية للأسر الفقيرة

[illegible]

فليس لها الوقت الكافي للجلوس عائلياً مع ابنائها اثناء وقت الفراغ والاستمتاع بجو عائلي هادئ بل غالباً ما تبرز الخناقات والمشكلات المالية والعلائقية بسبب التوتر العصبي الناتج عن الحرمان الاقتصادي وسوء ظروف العمل والضغوط الاجتماعية الاخرى وتزداد الحالة اكثر بؤساً عندما يكون الزوج عاطلاً عن العمل فتبقى الزوجة المصدر الاساسي للرزق وتحت هذا الظرف تضعف مسؤولية الزوج داخل الاسرة وبالوقت ذاته يقل احترام ابنائه له بسبب جلوسه الدائم في المنزل وخلق مشاكل لهم ويبدأ بالشعور بانه بات لا حول له ولا قوة في اسرته الامر الذي يدفعه لان يتصرف باسلوب عنيف مع زوجته وابنائه فيضطهدهم نفسياً ويسيء معاملة الابن بالذات بشكل مستمر مما يخلق عنده الشعور بانه غريب في اسرته ولا حاجة لاستمرار بقائه في الاسرة معهم فيلجأ(الابن) الى الشارع اوالزقاق ليحمي نفسه فيه من والده أو ليهرب من اضطهاد والده وهنا يخضع لثقافة الشارع ويكتسب مؤثراتها فيتحد سلوكه وتربيته الاسرية مع الزقاقية (التي تكون الاخيرة مغايرة عن الاولى) فتغيب الضوابط الخلقية والادبية .اي يصبح ضحية سوء معاملة الاب او يكون (كبش الفداء) في اسرته وقد يحصل للبنت انحرافات سلوكية منها انها تصبح أما غير شرعية . ولما كانت الاسرة الفقيرة تعيش في منطقة حافلة بالحانات والفنادق الرخيصة فانها تطبع حياة ذكور الاسرة الفقيرة بطباع منحرفه وغير مقومه. فالرجال (الاب اوالابن) يتسكعون بين حانات المنطقة يشربون الخمر بشكل مستمر وتكون هذه الحانات اماكن اجتماعاتهم وسمرهم ويلعبون القمار على ناصية الطريق واثناء لعبهم يشربون الخمره من زجاجة واحدة (من فمها) اذ تنتقل من فم الى اخر. اي زجاجة واحدة تتداول بينهم. هذا العالم المعزول عن العالم الخارجي يكون افراده متماثلين في سلوكهم وتفكيرهم وهمهم والصفة البارزة فيهم انهم يخشون الظهور امام الناس الذين هم من خارج مجتمعهم المحلي ويهربون من مواجهتهم .فضلاً عن عدم استقرار الفقير في عمل واحد بل يتنقل من عمل الى آخر. ليس للاحسن بل الى نفس مستوى العمل السابق لانه غير راغب في

الاستقرار في عمل واحد بسبب تعارض وقت شربه وظهوره في منطقة الفقر ومع استمرار هذه الحالة اليومية الرتيبة تصبح فيما بعد نمط عيشه الدائم.

قصارى القول: ان الفقر مشكلة اجتماعية كائنة في كافة المجتمعات الانسانية تفاقمت مع تطور الحياة التكنولوجية والحضرية لا عطلت العديد من العمال غير المهرة، وأقعدت العديد من الافراد او بسبب عمرهم المتقدم (الشيخوخة) او الاثنين معاً وبسبب العمر المبكر الذي لا يسمح به سوق العمل للاحداث وبعض الشباب لا تقتصر الحالة على هذا الوضع العمري والمهني بل تمتد آثاره على الاسرة لا يتصدع بناؤها الاجتماعي وينحرف بعض أبنائها وتتطبع حياة الاسرة بأنماط سلوكية منحرفة وبخاصة عندما تعيش في منطقة سكنية رديئة صحياً ومزدحمة بشرياً ومعزولة اجتماعياً ومتخلفة ثقافياً حيث تصبح مكاناً حاضناً لتفريخ شتى أنواع الإجرام والانحرافات السلوكية الفردية والمنتظمة وهذا بدوره يبعدهم عن الشعور بالمسؤولية والوعي السياسي والاتصال بالعالم الثقافي فيصبحون مغتربين في مجتمعهم ومستلبين من قبل السياسيين (المرشحين لمجالس البلديات والنواب) والتجار المستغلين وارباب العمل الجشعين وعندما يشعرون بالبون الشاسع بينهم وبين الفئات الاجتماعية الاخرى ينزعون الى الانتقام منها باساليب مخالفة للقانون (كالاجرام) للحصول على الاشياء التي حرموا منها والتي لم يستطيعوا الحصول عليها بواسطة عرق جبينهم.

اطفال الفقر حرر هذا الباب الدكتور محمد الرميحي اذ قال لم يترك الفقر بصمته على أحد كما تركها على اطفال هذا العالم الذي نعيش فيه. فمع الاطفال يصبح الفقر اكثر وضوحاً واكثر مأساوية .ففي العديد من دول العالم هناك قوانين تمنع عمل الاطفال وتلزم ذويهم بارسالهم الى المدارس .ولكن هناك اكثر من (٢٠٠) مليون طفل --معظمهم من الدول الفقيرة-- تتراوح اعمارهم بين الثامنة والخامسة عشرة يتوجهون كل صباح الى اعمال خطرة لا تتناسب مع خبرتهم ولا سنوات

عمرهم. هذا الرقم هو من تقديرات منظمة العمل الدولية ولكن الارقام الحقيقية العالمية هي اكبر من ذلك والاعمال التي يقوم بها هؤلاء الاطفال لا يمكن أن يتصورها بشر، ففي تايلند يمكن أن تباع أي طفلة من سكان الجبال بما لا يزيد على (٣) الاف بات (حوالي ١٥٠ دولاراً) كي تمارس الدعارة في اروقة المدينة وفي بيوتها السرية لمدة سنوات طويلة حتى تسدد هذا الدين الذي يبدو انه لا يسدد ابداً. وهي لا تذهب مع الزبائن فقط بل انها تضرب وتهان بشكل مستمر حتى تتعلم الطاعة وعدم رفض اي شيء. وفي الهند يعمل الاطفال في مصانع قرب مدينة دلهي لصناعة الطوب دون اي اجر فقط في سبيل وجبه من الطعام ومأوى سيء، وهم عرضه باستمرار لكسر العظام لتشويهات في العمود الفقري. وهم بهذه المهنة اسعد حظاً من رفاق لهم يبلغ عددهم حوالي (٤٥) الف طفل هندي يعملون في تغليف المفرقعات بحوالي ٧٠ سنتاً كأجر يومي، بينما يربح ارباب العمل حوالي ٣٥ مليون دولار من هذه الصناعة ولايدفعون اي تعويض عن حوادث العمل. وفي امريكا اللاتينية يحصد الاطفال محاصيل الحقول المرشوشة بالمبيدات وينظفون الارض من الجرذان الميتة. وفي كولومبيا يحشر الاطفال في أضيق مناجم الفحم الحجري. ويعمل اطفال البرازيل في صناعة الزجاج حتى تبلغ درجة الحرارة ١٥٠٠ درجة مئوية ويستنشقون ابخرة السليكون السامة والزرنيخ بشكل يومي، ويصاب اطفال في مصر بتشويهات العمود الفقري في صناعة الملابس وهم مع ذلك اسعد حظاً من الذين يعملون في محاجر الجير بسقارة حيث تتكلس رئاتهم الصغيرة في وقت مبكر. وما زال الاباء في باكستان يقومون بتشويه اولادهم حيث يمكنهم العمل كشحاذين ،اما في افريقيا فهم يفضلون بيعهم كعبيد للعمل كل الوقت وطوال العمر.

وبرغم هذه الصورة المفزعة وتنبيه العديد من المنظمات الانسانية لها فلا مجال للتفاؤل. ففي معظم الدول الفقيرة تعتمد العائلات على اطفالها لتأمين معيشتهم وفي الريف يذهب الاطفال الى العمل في الحقول حالما يستطيعون المشي على

اقدامهم ولا تتوقف الهجرة من الريف الى المدن لتضيف مزيداً من التعطل والحاجة الى التكسب بأي أجر ووفق اي ظروف وفي مثل هذه الحالات يعمل الاطفال قبل ان يعمل اباؤهم لانهم يقومون بنفس العمل ويتقاضون ربع الاجر الذي يتقاضاه البالغ تقريباً. والاطفال يخافون ويخضعون لتهديد المشرفين ولا يمكنهم التجمع او الاحتجاج لدى السلطات الرسمية وليس هناك نقابة تدافع عنهم عندما يرهقون بالعمل او يتقاضون اجوراً زهيدة وقليل منهم يعرفون حقوقهم القانونية اويملكون القدرة على الاستفهام حول ماهية الاجر واغلبهم شاكرون لانهم يعملون ويجدون الفرصة لتناول وجبة يومية.

انها عودة اخرى لزمن الرق بشكل جعله العالم المعاصر اكثر بشاعة .ففي اسيا وجزر الباسفيك يعمل الاولاد لساعات تتجاوز كل المقررات الرسمية ثم ينامون في الليل على بلاط المصنع. وفي الهند يكوى الاطفال الصغار بحديد حام اذا اخلوا بالتعليمات .وفي تايلاند يصب الحامض الحارق على وجوه بنات الهوى المراهقات القاصرات لتأديبهن. وهناك من يرى ان كل ما يحدث لهؤلاء الاطفال هو افضل بكثير من جلوسهم جياعاً او تجوالهم بلا عمل (١٨).

ثمة حقيقة معاصرة متناهية اود ايلاء اهتمام خاص لها وهي ترف المدنية الحاضرة في المجتمع الغربي وما تؤول اليه من آثار سلبية على المجتمع الانساني وبالذات على الفقراء ولو تم الاستغناء عن هذه الظاهرة لتمت معالجة مشكلة الفقر في العالم . وقد تنبهت منظمة الصحة العالمية اليها وهي الاهتمام المتكاثر والمتزايد للانسان العصري والاسرة العصرية في تربية الكلاب والقطط. وسأطرح نداء هذه المنظمة العالمية الذي نشر في مجلة الاسبوع العربي التي تصدر في باريس بعددها ١٩٨٤ شهر تشرين اول (اكتوبر) عام ١٩٩٧. اذا قالت « اطلقت منظمة الصحة العالمية نداءها التحذيري من وجود (٢٥٠) مليون من الكلاب والهرره في العالم تعيش وتنمو في احضان العائلات وخصوصاً الاطفال وتتسبب بامراض قاتله عدة قضت خلال عام ١٩٩٧ على نحو (١٥٠) الف شخص ومعظمهم من

الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين ٥-١٢ سنة اكثر من (٤٢) مليار دولار انفقت في العام الماضي ١٩٩٦ على تغذية وتطبيب وتلقيح هذا العدد الهائل من الحيوانات التي تتسابق العائلات الميسورة على اقتنائها في اوروبا والولايات المتحدة والصين واسيا والشرق الاوسط غير مدركة المخاطر الكبرى الناجمة عن وجودها ضمن المنزل وبين افراد العائلة.

منظمات عالمية عدة تطالب ان يتحول هذا المبلغ الضخم (٤٢) مليار دولار لرعاية مئات ملايين الاطفال المشردين في الشوارع وملايين العائلات الفقيرة والتي لا مأوى لها.

ويقول بعض علماء الاقتصاد ان نحو ستة ملايين طن من الاغذية الزراعية واللحوم تخصص سنوياً للحيوانات الاليفة وهي كافية لتوفير الغذاء لنحو (٦٥) مليون شخص على الاقل.

وازاء هذا الوضع الاقتصادي الصعب وهدر مليارات الدولارات دون طائل ولمجرد اظهار اليسر والرفاهية ترتفع اصوات عدة في العالم مطالبة بوقف هذا الهدر وتخصيص هذه المبالغ الضخمة والرعاية والعطف والحنو على ملايين الاطفال الذين هم بأمس الحاجة الى ذلك ولا يجدون جزءاً بسيطاً من الاهتمام الذي تنعم به عشرات ملايين القطط والكلاب وغيرها من الحيوانات الاليفة .والمثير ان مئات ملايين المرضى لا يتسنى لهم الدخول الى المستشفيات لاسباب مادية بالدرجة الاولى او لعدم توفر مراكز استشفاء في الارياف النائية في الدول الافريقية والاسيوية وبعض دول الشرق الاوسط، بينما الحيوانات الاليفة لا تشكو ابداً من اي نقص في عدد العيادات البيطرية ولا حتى في عدد الاطباء وتوافر الادوية».

(٥-د) الادمان على تناول الكحول

مما لا نقاش فيه ان لثقافة المجتمع اثراً في تناول الكحول او عدمه لان طريقة تناوله تخضع لمتغيرات عديدة ،منها عمر وجنس المتناول ووقت التناول والمجموعة المتناولة ودين المجتمع ونوع المشكلات والاضطرابات الاجتماعية السائدة في المجتمع ووسائل ضبطه (القوانين العرفية والرسمية) ودرجة التحلل الاجتماعي وسواها.

ومن المعروف عن علم الاجتماع ،إنه يتناول دراسة ادمان الافراد على المسكرات كمشكلة اجتماعية تخص الفرد والاسرة والمجتمع على السواء وكيفية علاجه وبالوقت ذاته يدرس علاقة ثقافة المجتمع بالكحول من خلال تلقين وتعليم وحث الافراد على تناول الكحول او عدم تناوله من قبل ثقافة المجتمع او تحريمه دينيا فقسم من ثقافات المجتمعات تمنع تناوله منعا بتاً و قسم الآخر تستعمله كأحد ادوات او مصاحبات المراسيم الاجتماعية ضمن نشاط اجتماعي او ديني والقسم الاخر يعتبره جزءاً من صناعته الوطنية التي يفتز ويفتخر به ويتفنن بتناولها علماً بأن تناول المشروبات الكحولية لا علاقة لها بتمدن اوجهالة او بدائية المجتمع لانه موجود في ثقافات الشعوب عامة إلا أن الادمان عليه يشكل مشكلة اجتماعية – نفسية واقتصادية على السواء.

وقد ارجع روبرت بيلز اسباب ارتفاع معدل متناولي المشروبات الكحولية في جماعة معينة وهبوطه في جماعة اخرى الى ما يلي:

١–بعض الثقافات الاجتماعية تفرز اضطرابات داخلية حادة لافرادها وبالوقت ذاته.

٢ – لا تعارض تناول افرادها للمشروبات بل تعتبرها وسيلة للتنفيس عن قلقها واضطرابها ،والى.

٣– عدم وجود وسائل تنفيسية لتصريف قلقها واضطرابها.

كل ذلك يؤدي الى ارتفاع معدل تناول المشروبات الكحولية داخل الجماعة الاجتماعية[١٩] .

في الواقع لا يمكن فهم تناول المشروبات الكحولية الا من خلال النظر اليه على انه ظاهرة اجتماعية لانه يخضع لعدة متغيرات منها: نوع المشروب المفضل، والكمية المستهلكة او المتناولة ،والظروف المحيطة في وقت التناول، وموقف المتناول النفسي والاجتماعي من المشروب نفسه، وموقف الاخرين تجاه المتناول. الا ان جميع انماط الشرب يخضع لعملية التعلم التي تتطلب تعزيزها الى ان يصل الى درجة العادة ولكن مع ذلك لا يوجد نمط عام وشامل لهذه الظاهرة – حتى ضمن الثقافة الاجتماعية الواحدة– فطالب الجامعة لا يشرب بقدر ما يشربه البحار ، وعدد البارات (الحانات) في المناطق الحضرية ليست بنفس العدد الموجود في المناطق الموبوءة ولكن على الرغم من كل ذلك فإن تناول الكحول يشير الى كونه نشاطاً اجتماعياً يقوم به افراد المجتمع[٢٠].

ان الادمان على تناول المشروبات الروحية هي الحالة التي يصبح فيها الشخص غير قادر – لو تركت له الحرية– على الامتناع من تناولها وتنشأ هذه الحالة عن شرب كميات كبيرة نسبياً من الكحول الاثيلي بصورة مستمرة فتؤثر تلك الكميات من الكحول تأثيراً متصلاً على اعضاء الجسم وانسجته التي قد تنتج عنه تبدلات في وظائف الجسم وبنائه كمثل التهابات المعدة المزمنة التي تؤدي الى انعدام الشهية وسوء التغذية وكمثل الاضطرابات العصبية والهلوسة والتخريف[٢١].

لدينا حالات عديدة ومتنوعة ومتضاربة عن تناول المشروبات الروحية تعكس بيئة ومحيط المجتمع وتعكس معرفة الناس للمبادئ الاساسية والمعاني المتضمنة فعلاً في الكحول. تظهر هذه بشكل جلي بعدد الدراسات التي تكشف عن سلوك المتناول وبيئة تناوله . ففي مجتمع كوفيار (شمال نيجيريا) يشرب افراده البيرة في كافة المناسبات الاجتماعية والدينية واثناء معظم المناشط اليومية لدرجة انهم يعتقدون بان الانسان عندما ينتقل الى الاخرة لمواجهة الخالق يجب ان يكون حاملاً

بيده كأساً من البيرة لذا فانهم يعتبرون البيرة والكحول نعمة مباركة لا يمكن الاستغناء عنهما في الحياة. على نقيض هذا المجتمع هناك قبيلة الهوبي وبعض قبائل البيوبلوا الهندية (في جنوب غرب الولايات المتحدة الامريكية) يشعرون ويعتقدون ان تناول الكحوليات يهدد طريقة عيشهم لذا فانهم يمقتون تناوله بشكل لا يصدق. وقد نجحوا في تحريمه ومنعه في مجتمعهم منذ سنين بعيدة [٢٢].

وكانت الامبراطورية الصينية (قبل ٢٠٠٠) عام قبل الميلاد مسيطرة جداً على تناول المشروبات الكحولية لدرجة انها وصلت الى طرد كل فرد (صيني) اذا اكتشفت انه يصنع النبيذ [٢٣].

واذا ذهبنا الى التاريخ القديم وبالذات الى التاريخ البابلي نجده انه كان يشرب الجعه (النبيذ المصنوع من التمر) والنبيذ المصنوع من العنب الذي كان معروفاً منذ العهد الشبيه بالكتابي ولعله كان يستورده من المناطق المرتفعة ولم يكن في الفترات الاولى شراباً يومياً وكانت مثل هذه المشروبات التي ربما احتوت على كمية كبيرة من الرواسب تشرب في الفترة السومرية بواسطة أنابيب خاصة للشرب مثقبة من نهايتها بثقوب صغيرة لتشكيل ما يشبه المصفى وكان هناك عدة انواع من الجعة (وكان إعدادها حتى عهد حمورابي –مقصوراً كما يبدو على النساء) حيث ان هذه الصناعة كانت الوحيدة تحت حماية الالهات كما ذكرت بائعة الخمر بشكل صريح في قانون حمورابي [٢٤] واذا رجعنا الى القانون العراقي القديم (القرن الثامن عشر قبل الميلاد) نجد احكاماً خاصة ببائعة الخمر تقول ما يأتي: «وكانت بائعة الخمر تقوم باعمال تجارية في كثير من الحالات كما يبدو ان تجارة الخمر كانت تجارة رابحة وشائعة الى درجة ان القانون خصص اربعاً من مواده لتثبيت بعض القواعد والاحكام الخاصة ببائعة الخمر ويؤيد ذلك ايضاً ورود بائعة الخمر الى جانب التاجر في المراسيم الملكية التي تعود الى الملك (امي صدوقا) ويظهر ان بيع الخمر كان مقصوراً على النساء وهي ظاهرة علنا نجد ما يماثلها في الوقت الحاضر في بعض البلدان ،ويمكن تفسير ذلك بعلاقة بيع الخمور بالبغاء وتوريد البغايا.

تنص المادة(١٠٨) على معاقبة بائعة الخمر التي تغش في عملها التجاري فتتلاعب بالاوزان والمكاييل والسعر وذلك برميها في الماء. اما المادة (١٠٩) فتتحدث عن اهمال بائعة الخمر وعدم قيامها بالقبض على المجرمين الذين يتجمعون في بيتها وتسليمهم الى السلطة وتنص على عقوبتها بالاعدام (٢٥).

بعد هذا التعريف الموجز عن بعض المجتمعات وموقفها من المشروبات الكحولية نستنتج ان الثقافة الاجتماعية هي العامل الوحيد الذي يربط الناس بعضهم ببعض برباط حقيقي من الافكار والمستويات التي يشتركون فيها.

الثقافة الدينية وعلاقتها بتناول المشروبات الكحولية

ننتقل بعد ذلك لتوضيح اثر التعاليم الدينية على تناول المشروبات الكحولية ونبدأ من القبائل البدائية مثل البيما (إحدى القبائل الهندية في المكسيك) التي تستعمل عصيراً متخمراً من فاكهة الصبير الضخم يتعاطونه باحتفال لبلوغ الحالة السعيدة التي يعدونها شيئاً مقدساً للغاية .والاحتفال السنوي العظيم عند البيما الذين يمتُّون بصلة القربى اليهم وهو الاحتفال الذي ينالون به جميع البركات يقام بمناسبة تقطير الجعة من نبات الصبير ويشرب رجال الدين اولاً ومن ثم يشرب بعدهم جميع القوم ليزدادوا تديناً وصلاحاً ويعدون السكر في هذه الحالات شعاراً مرادفاً للدين لان فيه مزجاً بين الرؤية الغامضة وبين قراءة الغيب فضلاً عن اعطاء القبيلة وهي مجتمعه البهجة والنشوة والتجلي الذي يربطونه بالدين (٢٦).

أما نظرة علماء العرب القدامى الى الخمر فتتمثل بما يأتي :« العلماء في هذه الأشربة طبقتان طبقة تحلها وطبقة تحرمها وتذهب في تحريمها الى القياس على الخمر والى اخبار آحاد جاءت بتحريمها ،نحو الخبر بان كل مسكر حرام والخبر الاخر ما اسكر فقليله حرام ولم يذهب احد في تحريمها الى ان اسمها خمر وقد اضطربت الرواية في هذا المعنى واختلفت اختلافاً يدل على فسادها »(٢٧). وقد قال الله عز وجل ﴿ قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي

بغير الحق.﴾ وقال :وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يفترون﴾ . ثم قال في موضع آخر : ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع﴾ فدخلت الخمر في باب ما حرمه القرآن لانه اخبر بتحريم الاثم وجعله في الخمر كبيراً فأما شدة النهي فقوله تعالى:﴿ يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون ﴾ (٢٨).

نعود ثانية الى القبائل لنجد اثر التعاليم الدينية في تناول المشروبات الكحولية فمثلاً قبيلة الازتكي (مجتمع متدين حكم المكسيك قبل ان يفتحها الاسبان قبل عام ١٥١٩) لا يصلّي الناس فيها على روح الفرد الذي توفي وهو سكران واذا تم ذلك فسوف يثيرون حفيظه الاله، في حين في المجتمع الهندي يسكب الفلاحون الكحول على جسد الاضحية أو على الارض تكريماً للإله في مراسيم عبادتهم لكن لا يسمح لأي هندي ان يسكب الكحول على ارض المعبد وخاصة في مدفن البانتيون (مدفن عظماء الامة) لان ذلك يعتبر -في اعتقادهم -اهانة لعبادتهم ولآلهتهم (٢٩).

الثقافة البدائية وعلاقتها بتناول المشروبات الكحولية

وجد دونالد هورتن انه كلما ازدادت نسبة القلق في مجتمع ما إرتفعت نسبة حدوث حالات الادمان على شرب المشروبات الكحولية فيه. كما انه ربط بين الافراط الجنسي وبين نماذج ثقافات معينة. حيث لا توجد وسائل ضبط اجتماعية تعمل على منع او كبح الافراط في تناول المشروبات الكحولية. هذا من جانب ومن جانب اخر ربط هورتن الافراط في تناول المشروبات بالمعتقدات الخرافية والسحرية السائدة في المجتمع. اذ كلما ارتفع او ازداد التزام الافراد بالمعتقدات الخرافية مالوا نحو الافراط في التناول والعكس صحيح.وقد وجد ذلك في

المجتمعات البدائية الاتية (حكجي وولوف وموررنجن وفينوميني وهيوجول وتيهلجي وابيبون وجيافرو) كذلك وجد هورتن نمطاً ثانياً يوضح اسباب افراط الناس في شرب الكحول وهو عندما يسود الاضطراب والقلق في المجتمع بشكل عال في حين تكون فيه المعتقدات الخرافيه والسحرية ضعيفة التأثير على الناس وغياب ضغوط اجتماعية تمارس على تناول الكحول، تقل العدوانية الصادرة او الناتجة عن تناوله .وجد هورتن هذا النمط في المجتمعات البدائية المتدينة والمحافظة مثل ساموا وانيوونا سكابي وكاهيناوتوبا وابيني وتيناما. اضافة الى ما تقدم فقد وجد هورتن ايضاً نمطاً ثالثاً من المجتمعات البدائية تحرم تعاطي المشروبات الكحولية التي وصلت الى التحريم الكلي والتام مثل قبائل الهوبي والزوني والازاندي[٣٠].

وهناك دراسة متميزة في هذا الموضوع قامت بها روث بينزيل التي درست وقارنت دور تناول الكحول في مجتمعين محليين الاول في كواتمالا ويدعى جيكسننكوا والثاني في المكسيك واسمه جاميولا .هذان المجتمعان المحليان من الهنود الحمر، يرتبط تناول الكحول عندهما بالمؤسسات الدينية والاجتماعية والاقتصادية التي تحدد طريقة عيشهما وسلوكهما وبناء مجتمعهما.

ففي النموذج الاول في الدراسة وجدت الباحثة سبب الافراط في تناول المشروبات الكحولية يرجع الى الاسباب الاتية:

١- التنفيس عن ردود الفعل القاسية المتمثلة بالعدوانية .

٢- القلق الجنسي.

٣- سيادة المعتقدات الخرافية والسحرية.

٤- عدم عدالة توزيع الاراضي على الفلاحين.

٥- الرخاء الاقتصادي عند الاثرياء.

٦- ضعف السيطرة الرسمية(القانونية) على المدمنين .

اللافت للانتباه على هذا النموذج ان شرب الكحول مسموح للرجال والنساء الا انه عندما يُدعى الزوجان لحفلة او دعوة يشرب الزوج فيها ويفرط بالشرب بينما لا تشرب الزوجة في هذه الحالة بل تهتم بزوجها وتأخذه الى المنزل لكي لا يتصرف تصرفاً شائناً امام الداعين فتقلل من شأنه وقدره امامهم.في الواقع كان تناول المشروبات في هذا المجتمع ينحصر في المناسبات الاجتماعية والدينية ،لكن فيما بعد اصبحت تجاوزات على هذه المناسبات فوصلت الى درجة التناول اليومي والمتواصل.

اما النموذج الثاني فهو من المجتمع الهندي (جمولا) الذي يبدأ تناول المشروبات الكحولية منذُ طفولة الفرد -كعادة اجتماعية- حيث يوضع للطفل الرضيع مشروب كحول مع الحليب في قنينة الرضاعة . ان شرب الكحول في هذا المجتمع يمثل مناسبة اجتماعية ودينية وقد يستمر الشرب لمدة اسبوع او أكثر وغالباً ما يتخللها مشاجرات بين المتناولين على الرغم من بدايتها الهادئة . إن استمرار التناول لدى افراد هذا المجتمع يؤثر بشكل واضح على طلبة المدارس وعمال المصانع حيث ينقطع الطلبة عن الدوام المدرسي بشكل مستمر مما يؤثر على سير دراستهم وكذلك يؤثر تناول المشروبات المستمر على دوام العمال وانتاجهم في المصنع .أما أسباب تناول المشروبات الكحولية في هذا النموذج فانها نفس اسباب تناول الكحول في النموذج الاول [٣١].

الثقافة المعاصرة وعلاقتها بتناول المشروبات الكحولية

هناك تشابهات بين المجتمعات المعاصرة في تناول الكحول على الرغم من اختلافاتها ،منها تناول الرجال للمشروبات الكحولية بكميات اكثر مما تتناوله النساء وان تناول المشروبات الكحولية يمثل نشاطاً اجتماعياً اكثر من كونه نشاطاً انزوائياً او انفرادياً (اي يفضل تناول شرب الكحول على مائدة جماعية او في بار يجتمع فيه الزملاء او الاصدقاء على أن يشرب الفرد بمفرده او بمعزل عن اسرته او اصدقائه في البار او المطعم او في الدار) وهو نشاط اجتماعي لانه يجمع افراداً

متقاربين في اعمارهم وضمن مستوى اقتصادي متشابه او واحد وبحدود الاسرة الواحدة .ففي فرنسا وايطاليا يحتسى النبيذ مع وجبة الطعام وبخاصة اثناء تناول وجبة العشاء، لكن بقية المشروبات الكحولية مثل الكونياك على سبيل المثال – لا يمثل شراباً عائلياً، والشرب الجمعي او تناول المشروبات الكحولية ضمن جماعة صداقية او اسرية واحدة يرمز الى دوام واستمرار التضامن الاجتماعي او على الاقل دوام التفاعل المباشر والتفاهم بين الذين يتناولون الشراب .اضافة الى ما تقدم ،فان تناول المشروبات الكحولية غالباً ما يمثل مناسبة للافراد الذين يريدون ان يتوثقوا مع المحيط الخارجي اكثر من الذين لديهم واجب لتنفيذ او تحقيق او استمرار النشاط الاجتماعي الداخلي للمجتمع .علاوة على ذلك فان وظيفة تناول المشروبات الكحولية بات في الثقافات الحديثة رمزاً للانتماء الطبقي او الفئوي أو للتشبه بالانتماء لهما(٣٢).

يعتبر مجتمع الاتحاد السوفياتي (سابقا) الادمان على شرب الكحول مرضاً رأسمالياً لكن تناول المشروبات الكحولية في المجتمع السوفياتي يمثل عادة اجتماعية عرفية ورسمية حيث يقدم للزوار والاصدقاء كجزء من مستلزمات الضيافة الروسية . وهناك احصائية – ولو إنها قديمة نسبياً– انما لا بأس من ذكرها لمعرفة هذه الظاهرة في ذاك المجتمع وهي في الاعوام ما بين ١٩٤٨–١٩٥٠ كان المدمنون على تناول الكحوليات ٥٠ ٪ .اللافت للانتباه ان المدمنين على تناول الكحوليات في الاتحاد السوفياتي لا يعني انهم مناهضون للنظام السياسي بل إنه جزء من ثقافة المجتمع وبسبب برودة الطقس هناك يدفع افراد هذا المجتمع لشرب الفودكا والنبيذ وغيرها من الكحوليات.

ان معدل استهلاك الفرد الروسي للكحول يومياً ٨ر٢ لتر من الفودكا في عام ١٩٥٠ وفي فرنسا من نفس العام معدل استهلاك المدمن على الكحول ٥ر١٧ لتر من النبيذ وفي ايطاليا ٥ر٧ لتر وفي امريكا ٧ر٥ لتر وفي بريطانيا ٥ر٤ لتر وفي السويد ٦ر٣ لتر وفي هولندا ٢١ر٢ لتر من الكحول(٣٣).

واذا ذهبنا الى مجتمع الولايات المتحدة الامريكية نجد احصائية الافراد الذين يتناولون الكحوليات في عام ١٩٧٢ قد ارتفعت الى ٢/٣ من الشباب يتناولون الكحوليات ويقدر عدد المتناولين من كافة شرائح المجتمع بحوالي ١٢٨ مليون نسمة وبحوالي ١/١٦ من هؤلاء المتناولين يتحولون الى مدمنين ويقدر بحوالي ٩ ملايين من المدمنين .اما الكلفة الاقتصادية لتناول المشروبات فقد وصلت الى ١٥ بليون دولار في عام ١٩٧٢[٣٤].

ان تاريخ تناول الكحوليات في مجتمع الولايات المتحدة يرجع الى الثورة الصناعية والى التوسع الحضري وظهور عدة انواع من المشروبات وبروز مدن كبيرة وحديثة مثل بوسطن و مجيء المهاجرين الاوروبيين الى امريكا وخاصة الالمان والسويديين والايرلنديين الذين يستعملون المشروبات الروحية بكثرة وظهور مجتمع الصالونات وظهور البارات والحانات،كل ذلك شجع الاميركان على تناول المشروبات في بداية حياة المجتمع الامريكي وبالذات في الفترة الكولونية لامريكا ولكن لم يمر تناول المشروبات في بدايته بسهولة او بدون معارضة من قبل المذهب الكالفيني وباقي المذاهب المسيحية الاخرى فحصل صراع بين الفلاحين البروتستانت مع ابناء الحواضر من الكاثوليك والتنظيمات الاجتماعية الجديدة مع الجماعات السياسية .وظهرت جماعات تنادي باغلاق الصالونات والبارات والحانات لتمنع الناس من تناول الكحوليات وقد أطلق عليهم اسم اصحاب النفوس الخضرة .

ان القانون الامريكي لا يعاقب الافراد على شرب المشروبات الكحولية لذلك تستخدم في معظم المناسبات الاجتماعية كالحفلات واجتماعات رجال الاعمال واللقاءات الرسمية كأسلوب من اساليب الذوق الاجتماعي وجعل الاجتماع او اللقاء ممتعا يشوبه اللطافه والسرور ولا يسبب لها مشكلة اخلاقية او ادبية .

اضافة الى ذلك . فهناك مؤثرات اجتماعية - في الحياة العصرية - تساعد على استهلاك الكحوليات هي الانتماء الطبقي حيث يتوزع مستهلكو الكحوليات على سلم المجتمع الطبقي .فابناء الطبقة العليا والدنيا يستهلكون كحوليات اكثر من ابناء

الطبقة الوسطى. ومن جملة اسباب تناول الكحول في الطبقة العليا هو ترفها بينما من جملة اسباب تناول الكحوليات بين ابناء الطبقة الدنيا يرجع الى قلقها واضطرابها الاجتماعي(٣٥).

ومن الطبيعي ان استهلاك الكحوليات بين ابناء الطبقات الاجتماعية يخضع للمتغيرات الاتية:.

١- نوع المشروب الكحولي المستهلك.

٢-مكان وزمان التناول والظروف المحيطة به.

٣- كمية استهلاك المشروب الكحولي.

٤- سرعة استهلاك المشروب الكحولي.

٥- اهداف الشرب واسبابه.

وقد وجد كل من رايلي وما ردن في المسح العام لمجتمع الولايات المتحدة ان ٤١٪ من البروتستانت و ٢١٪ من الكاثوليك و ١٣٪ من اليهود لا يتناولون المشروبات الكحولية ووجدا ايضاً ان اكثر قومية مهاجرة لامريكا تستهلك الكحوليات هي القومية الارلندية .اما تأثير المهنة على استهلاك المشروبات الكحولية فقد وجدا: ان البحارة ثم باعة المتاجر وبعدهما يأتي العمال الاجراء ثم القساوسة واخيراً الاداريين والفنيين(٣٦).

على الرغم من المتغيرات هذه فهناك اسباب اضافية جعلت من الاميركان يميلون الى الاسراف في استهلاك المشروبات الروحية منها:

١-الهروب من الواقع

٢-عدم قدرة الفرد على التكيف لتطورات المجتمع السريعة التي قد تصل الى عقدة مركبة يصعب عليه مواجهتها وحلها.

٣- تأثير المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه المتناول.

٤- المنافسة الشديدة في المجتمع الصناعي والحضري التي تدفع الفرد فيه بشكل غير مباشر لاستهلاكه من أجل مسايرة ومواكبة عملية التنافس والوصول الى اهداف اقتصادية واجتماعية متميزة.

٥-عدم الشعور بالاطمئنان والقلق والاضطراب النفسي الذي بدوره يخلق ميلاً لتناول الكحوليات ويقلل من درجة قلقه واضطرابه وارهاقه في العمل لان المشروبات الكحولية تمنح متناولها الاسترخاء والراحة الموقتة [٣٧].

لذلك تقوم زوجة رجل الاعمال او الفني أو الاداري الذي يسكن في المناطق الحضرية والبعيدة عن مراكز المدينة بتهيئة مشروب الكوكتيل لزوجها عند رجوعه من عمله المرهق بعد الساعة السادسة مساءً لكي يأخذ قسطاً من الراحة والاسترخاء الموقت واصبح هذا السلوك جزءاً من مسؤولية الزوجة الحضرية تجاه زوجها في المجتمع الامريكي [٣٨].

إضافة الى ذلك فان الانعزال الاجتماعي والشعور بالغربة والاضطراب النفسي وعدم الراحة الجسمية بسبب العمل، جعل الفرد يميل نحو تناول المشروبات الكحولية لذلك ميّز علماء الاجتماع (في ضوء هذه المؤثرات الاجتماعية) بين ثلاثة اصناف رئيسية من المستهلكين للمشروبات الكحولية وهي :المدمن والمتناول بسبب المشاكل الفردية والاجتماعية والمتناول الاجتماعي الذي يستخدمه في الاجتماعات واللقاءات بسبب العمل والزيارات العائلية .والمدمن يكون على نوعين الاول ويسمى دلتا Dalta الذي يشير الى عدم قدرة المتناول للمشروبات الكحولية على التوقف من تناوله وهذا النوع يكون سائداً في اقطار امريكا اللاتينية التي يستهلك ابناؤها النبيذ بشكل دائم . والنوع الثاني ويسمى جاما Gama الذي يتميز بقدرة المدمن على تحديد كمية المتناول من الكحول ويكون هذا النوع سائداً في بلدان الانكلوسكسونية التي يستهلك ابناؤها الويسكي بشكل دائم [٣٩].

اخيرا ان كثرة تناول المشروبات الروحية غالبا ما يؤدي الى التاثير على سلوك المتناول بحيث يعرض نفسه لمخالفة القوانين [٤٠].

لا جناح من اعطاء صورة مصغرة للقارئ حول الجذور التاريخية لصناعة الكحوليات التي ظهرت مع زراعة الانسان للكروم والشعير والنخيل والرز . فهي اذن حالة زراعية في الاصل ثم تحولت فيما بعد الى مشكلة اجتماعية ومن ثم وصلت الى حالة الظاهرة الحضارية .لكن هذا التطور للمشروبات الكحولية ليس بحالة مطلقة لانها لا تشمل بعض المجتمعات البدائية مثل مجتمع كوفيار والبيما وجكجي وولوف ومورتجن وفينوميني وهيوجول وتهيليجي وابيبون وجيفارو و جيكسنكو وجاميولا، وذلك راجع الى ثقافتها الاجتماعية المتضمنة المعتقدات السحرية والخرافية والرؤى الغيبية من اجل التقرب من آلهتم او تستخدم المشروبات كإحدى الوسائل في المراسيم الدينية الخاصة بهم. وقد وجدنا ايضاً من خلال النماذج التي اوردناها في هذه الوحده ان غياب وسائل الضبط الاجتماعي داخل ثقافة المجتمع تساعد على انتشار تناول المشروبات الكحولية فالمجتمع الزراعي (الريفي) يمتلك ثقافة ريفية فلاحية تحدد سلوك افراده وتضبط تصرفاتهم وتفكيرهم وعلائقهم لكن لما ظهرت زراعة الكروم والشعير والنخيل والرز في المجتمعات القديمة جداً كالبابلية والفرعونية والاغريقية والرومانية نجدها قد استخدمته كأحد منتجاتها الزراعية وقد اخبرتنا قوانين حمورابي بان صناعة النبيذ والجعة كانتا تحت رعاية الالهات وعدته مصدراً اقتصادياً مربحاً يخضع لرقابة قانونية وهذا يعني ان المشروبات الكحولية بدأت مع زراعة الكروم والشعير والنخيل والرز ثم اضحت صناعة تستخدم الالات والمكائن في الاعداد والانتاج وبعدها تحولت الى تجارة مربحة تدر أرباحاً كثيرة بسبب اقبال الناس عليها وبالتالي اخضعت لتشريعات قانونية لضبطها والاشراف على صناعتها وسبل تجارتها لكي لا يستغلها المنتج ويغشها ويضر بالعديد من الناس.

لكن وجود ديانات سماوية ومذاهب دينية كالكالفينية (مذهب مسيحي فرنسي يحرّم تناول المشروبات) تحرم تناول الكحوليات ادى الى تصادم بين اصحاب التعاليم الدينية الملتزمة بمعتقداتها وبين اصحاب المصالح الشخصية المتمثلة

برجال صناعة المشروبات وتجاوزها واصحاب البارات فأصبحت مشكلة اجتماعية سببها المشروبات الكحولية اضافة الى آثارها النفسية والاقتصادية. ولكن مع زيادة التطورات التقنية الهائلة في المجتمع الانساني المعاصر وتضخم اعداده فضلاً عن تعقد تنظيماته وتفرعها وتشعبها وصغر حجم الاسرة وضعف سيطرة الابوين على ابنائهم وغياب تشريعات قانونية تعاقب المتناول، كل ذلك ادى الى اغتراب الفرد من انسانيته وتهزيل علاقته المتينة بالاخرين مما افرز عنده عدم الشعور بالطمأنينة وزيادة قلقه .تحت هذه الظروف مال الانسان المعاصر الى تناول المشروبات الكحولية للتخفيف من شعوره الاغترابي واستمرارية قلقه.

هذا من جانب ومن جانب آخر فهناك نموذج ثان يوضح اثر ثقافة المجتمع المعاصر على تناول افراده للمشروبات الكحولية وهي الارهاق في العمل حيث يؤكد المجتمع المعاصر وبخاصة المجتمعات الرأسمالية على دقة الانجاز والمهارة في العمل واحترام النظام البيروقراطي (الديواني) يتطلب منه ان يلتقي مع اختصاصيين في عمله ويجتمع بهم أو معهم ويحضر المؤتمرات والندوات. فانه في مثل هذه المناشط الاجتماعية يتخللها تناول المشروبات الكحولية اضافة الى عودته للمنزل مرهقاً بسبب عمله ،فان زوجته تقدم له كأساً من الكوكتيل او النبيذ او البيرة.

وهناك نموذج آخر يمثل احد اسباب تناول الافراد للمشروبات الكحولية وهو اعتباره جزءاً من الاتكيت الاجتماعي أو احد اوجه آداب الضيافة للزائر كما هو الحال في مجتمع الاتحاد السوفياتي (سابقاً) والياباني الذي يشرب مشروب الساكي المصنوع من الرز اذ يحتسونه بكل ارتياح وسرور بعيداً عن كل اشكال القلق والاضطراب النفسي والاجتماعي . ان هذا النموذج يختلف عما ذكره روبرت بيلز عندما ارجع اسباب ارتفاع تناول المشروبات الكحولية عند بعض الجماعات الى الاضطرابات الداخلية الحادة في المجتمع واعتبار تناوله وسيلة للتنفيس عن القلق.

نستنتج من كل ما تقدم ان تناول الكحوليات سوف يبقى مزدوج الموضوع بين الملتزمين بالتعاليم الدينية في تحريم تناوله واصحاب المصالح التجارية

والصناعية الذين يؤكدون على ترويج بضاعتهم او تحسينها وستبقى ظاهرة ثقافية كلما زاد قلق واضطراب الانسان الذي تخلقه تطورات ثقافته وكلما قلت قنوات تنفيس وتصريف القلق والاضطرابات وكلما زادت حدة المنافسة بين الناس من اجل التسلق على السلم الاجتماعي وكلما اتسعت شقة التباين بين الاغنياء والفقراء وكلما زاد البون بين مالكي السلطة وفاقديها.

ستبقى كظاهرة ثقافية- اجتماعية تعكس احد أوجه الاداب الاجتماعية المتمثلة في الضيافة والالفة داخل المجتمع المعاصر.

٥-هـ- التخلف الاجتماعي

قبل الخوض في توصيف وتحليل هذه المشكلة الاجتماعية الواسعة الانتشار في حياتنا الاجتماعية المعاصرة ،لابد من القول بان تشخيص اسباب هذه المشكلة والوقوف عليها ومعرفة ابعادها لا يدعو لليأس او للتيئيس ولا يزعزع ثقتنا بانفسنا او يدفعنا للانكفاء او للانطواء. إننا الآن نحصد ما ورثناه عن الماضي الذي تضمن عللاً داخلية وتسلطات اجنبية وتطورات تكنولوجية سريعة وهائلة اصابت حضارتنا فركدت بعدما كانت مزدهرة ومبدعة قدمت عطاءات انسانية متميزة. فالعلة ليست في تخلفنا بل العلة اذا عجزنا او انطوينا او انكفينا عن استجماع الارادة والتصميم والعزم على تشخيص اسباب حالات التخلف وكيفية معالجتها من خلال بيئتنا المحلية . وهذا كله يحتاج الى تضحيات سخية من وقتنا وقدراتنا واناياتنا الذاتية في خدمة المجتمع العربي والانسان العربي والثقافة الاجتماعية العربية والتربية العربية . واذا اردنا ان نعرف مضمون التخلف فانه يعبّر عن مجموعة من العناصر المرتبطة بنيوياً بمرحلة التبعية وما سبقها من تاريخ اجتماعي في ظل الهيمنة الاجنبية .فهو اذن ليس توصيفاً كمياً ولا هو جوهر ثابت .التخلف ظاهرة موضوعية تختلف بشأنها زوايا الرؤية ومناهج التحليل ولكن احصاء عناصر التخلف مع واقع التحليلات المتعارضة يساعدنا في المقارنة والتقاط ما هو عام ويصلح معياراً موضوعياً [٤١].

ويعني التخلف ايضاً(الفشل او القصور في تبني الانماط الجديدة من الفكر والسلوك التي من المفترض ان تقود المجتمع الى وضع افضل. ويعني ايضاً قصوراً في الامكانات المادية والمعنوية والسياسية (أو رأس المال المادي والبشري) والذي يؤدي بدوره الى عدم امكان توفير الرفاهية الاجتماعية للمواطنين[٤٢] ويفيدنا الاستاذ قسطنطين زريق في هذا الخصوص فيميز بين نوعين من التخلف وهما :

١- تخلف نسبي: أي مدى تخلف المجتمع العربي بالنسبة الى المجتمعات المتقدمة .فمجتمعات اليوم تخوض سباقاً حثيثاً في مجالات التقدم واي

وقوف او تباطؤ من قبل المتخلف يؤدي الى توسيع الشقة بينه وبين المتقدمين ويضاعف خطرها ويعيقه عن اللحاق بهم بل عن المحافظة على موقعه ومرتبته.

٢-التخلف الذاتي اي قعود المجتمع العربي عن تحقيق قابلياته او تماهله في هذا المجال الذي يؤول الى زيادة تخلفه سوءاً وشراً بما تولده القابليات ذاتها من خلخلات اقتصادية واجتماعية في كيان تضاف الى علله وامراضه الموروثة، وبما تواجهه من اخطار وشرور منبعثة من القوى ذات الحول والطول المندفعة باطماعها القديمة والجديدة[٤٢].

مظاهر التخلف الاجتماعي

نعرض تحت هذا العنوان مجموعة من الحالات الاجتماعية التي تشكل تخلفاً اجتماعياً كامناً في بعض قيمنا الاجتماعية وواقعنا الاجتماعي المعاصر المتفاعل مع تاريخ مجتمعنا العربي منها ما يلي:

١-ضيق ولاءاتنا وتأصل الفردية والشعائرية في نفوسنا. لقد كان النظام السائد لدى الشعوب السامية النظام القبلي والرابطة المسيطرة العصبية القبلية وفيما يتعلق بنا نحن العرب نرى هذه العصبية عميقة الجذور متغلغلة في ثنايا الماضي المديد. بادية فعلها لا في موطنها في الجزيرة العربية فحسب بل في كل صقع انتقل اليه العرب وبسطوا فيه سلطتهم. ان العصبيات والولاءات الضيقة يجب ان تنصهر في البوتقه الوطنية -القومية.

٢- النفاق الاجتماعي: من جملة القيم السلبية الفاسدة التي ورثناها من عهود الركود والانحطاط الحرص على السلامة بأية وسيلة ولقاء أي ثمن، فلقد مني اسلافنا في تلك العهود بقوافل متتابعة من الحكام الجائرين المستبدين كانت الحياة في ظلهم رخيصة والجهالة والحقارة والمذلة مستحوذة على السواد الاعظم من الناس فلم يكن هناك شيء لضمان عيش او لنيل حظوة من مداراة الحكام وممالأة

السائدين ومن بذل الصراحة نفاقاً ومخاتلة وهذا كله يتجلى في بعض امثالنا الشعبية المتوارثة كقولهم (من يأكل من خبز السلطان يضرب بسيفه) و (اليد التي لا تستطيع ان تقطعها قبّلها وادعُ عليها بالكسر) لذا فإن النفاق هو وليد الذل الاجتماعي.

٣- الاستمتاع المادي: لا شك في ان مجتمعنا ظل قروناً طويلة محروماً من هذا الاستمتاع والذي ما زال معظمه يفتقر الى العيش والى ابسط مستلزمات الصحة. لاشك في انها حَريّة بأن تنهض للمطالبة بهذه الحقوق الاساسية وان تسعى لنيلها بل لنيل حظوظ او فرص الكفاية والتنعم ولكن ان يغدو التنعم غرضاً لذاته لدى الطبقات المكفية والمحظية وأن يصبح التنافس بل التكالب على اغتنام وسائله والاستزاده منها والهاب النفوس بشهواتها شغل هذه الطبقات الشاغل وان يصرفها عن المتع النفسية وعن وجوه الرقي الذاتي والعطاء الوطني فهذا امر فائق الخطورة لانه يعطل تولد قيم الانضباط والبذل والتعاون والتضحية والعدل وغيرها من مقتضيات الحياة الصحية والنباء القومي السليم وتعظم هذه الخطورة في مجتمعنا العربي الحاضر بسبب ضعف صناعته الخلقية الموروث من اجيال الركود السابقة وبسبب اغراء المال الجديد المتدفق عليه من منابع الارض وكلاهما مبعث فساد وافساد وتفكك وتفكيك[٤٤].

٤- عدم استخدام الزمن في تنظيم حياتنا اليومية وعلاقتنا الاجتماعية :(في ضوء تراثنا الثقافي ...خلقنا من الوقت شبحاً مخيفاً.. نشكو منه مرّ الشكوى . ونلقي التبعية عليه في كل الامور...ونعيبه ولا نعيب انفسنا فالوقت اوالزمن عندنا مسؤول عن اشياء كثيرة ولعل اهمها مصيرنا وما اصبحنا عليه والايام ..وهي صور مجسمة من الوقت والزمن...غادرة في معظم الاحيان ...اننا بدلاً من ان نسخر الوقت بصوره وانماطه في سبيل مصلحتنا تركناه يسخرنا ويفعل بنا ما يشاء فنحن نؤمن على المستوى النظري باهمية الوقت ولكن نبض الحياة عندنا لا يحقق عادة هذا الايمان .فنحن ما زلنا نقول (طول البال تهد الجبال) و(كل تأخيره

فيها خيرة) و (في التأني السلامة وفي العجلة الندامة) ويبدو ونبض الحياة واضحاً في الريف. اي ان الوقت في الريف يبدو مهدوراً ضائعاً ولعل الظروف الاجتماعية والاقتصادية والتأريخية مسؤولة عن هذا الاهدار وهذا الضياع[٤٥].

في الواقع ان الكيفية التي تستخدم فيها الجماعة الحضارية مفهوم الزمن الاجتماعي ومقدار تأثير القيم الاجتماعية على هذا الاستخدام بلا ريب فان هذه المعرفة تنطوي على اهداف بعيدة المدى تتعلق بمستقبل الجماعة الحضارية لا سيما وان الحضارات (التقليدية) تسعى اليوم بخطوات حثيثة نحو ردم الفجوة الحضارية او الفجوة الزمنية كما يسميها البعض بينها وبين الحضارات المتقدمة وهي في سعيها هذا تعمل على الاسراع في كل شيء.بمعنى انها تحاول قدر المستطاع ان لا تترك مجالاً لتسرب الوقت وتجدّ في استثماره باقصى ما يمكن ولكن هذا الاسراع كان يصطدم دائماً بالقيم الاجتماعية (التقليدية) التي نشأت عليها الجماعات الحضارية ولهذا يبدو إستخدام الزمن في هذه الحضارات متعثراً يبتعد عن العملية والعقلانية في كثير من الاحيان[٤٦].

٥- التفسير اللاعقلاني في مواجهة المجهول في الحياة اليومية .إن مواجهة المجهول من قِبل الانسان العقلاني تتطلب منه وضع عدة احتمالات منطقية او فكرية عقلانية او وضعية نابعة من بيئتها وظروفها الموضوعية والذاتية وليس بالتعاويذ والخرافات والتحليل اللامنطقي .في هذا الصدد يفيدنا الاستاذ سيد عويس الذي قال « ان الكثير من اعضاء مجتمعنا من يحاول ان يستبعد المجهول ويتجنبه بالدعاء او يتجنبه بالرقي والتعاويذ ويكفي ان يلاحظ اي شخص منا ما يكتبه بعض اصحاب السيارات واللوريات او سائقوها غير المستحبة او غير المطلوبة اضافة الى قراءة البخت او قراءة الحظ أو من يقرأون (بختك هذا اليوم لمعرفة مستقبله القريب)[٤٧].

٦- الامية :هناك(٩٠) مليون و ٥٥٢ ألف مواطن عربي اميون لا يعرفون القراءة والكتابة وذلك من بين ١٤٧ مليون عربي. فالسودان يوجد فيها ٥ر١٤ مليون أمي

من بين عدد سكانها البالغ ١٧ مليون اي بنسبة ٦٢٪ وفي المغرب ١٣ مليون امي من بين عدد سكانها البالغ ١٧ر٥ مليون اي بنسبة ٨٧ر٨٪ والسعودية فيها ٦ مليون امي طبقاً للاحصاءات التي تقدمها حكومة المملكة للجهاز العربي لمحو الامية وتونس فيها ٣ مليون و ٤٠٠ الف أمي من بين سكانها البالغ عددهم ٥ ملايين و ٦٠٠ الف شخص ، وليبيا فيها مليون ونصف مليون امي من بين مليونين و ٢٠٠ الف ولبنان فيه مليون و ٢٠٠ الف امي من بين سكانها البالغ ثلاثة ملايين والاردن فيه ٩١٠ الف امي من بين سكانه البالغ ٢ مليون و ٦٠٠ الف من الضفة الشرقية اي بنسبة اميه تصل الى ٣٤ر٦٪ والكويت فيها ٤٢٠ الف أمي من بين سكانها البالغ ٨٦٠ الف. أي بنسبة تصل الى ٤٥ ٪ والبحرين فيها ١١٧ الف امي من بين سكانها البالغ ٢٣٢ الف شخص اي بنسبة ٥٢ر٨٪ ومصر فيها ٢٤ مليون امي من بين ٣٥ مليون وفق احصائيات عام ١٩٧٣[٤٨].

ان هذه الاعداد الهائلة من الاميين (رغم قدم الاحصائية) في الوطن العربي تؤثر على درجة وسرعة تقدمه في مجال العلم والمعرفة وتدفعه بذات الوقت الى الوقوع في براثن الجهل والتخلف وعدم ادراك واقعه الاجتماعي وعدم استثمار هذه الطاقة البشرية في تنمية المجتمع العربي ثقافياً واقتصادياً وصناعياً.

٧- ضعف مساهمة المرأة في العمل: إن من ضروريات العمل تطلب اشتراك كافة قطاعات القوى العاملة القادرة على الاسهام في عملية التنمية الصناعية والتجارية والزراعية والثقافية ولما كانت المرأة تمثل نصف المجتمع العربي الا ان نسبة اشتراكها في قطاعات الاقتصاد المنتجة متدنية جداً اذا ما قورنت بنسبة اشتراك الرجل في هذه القطاعات. بينما يستقطب قطاع الخدمات والقطاع الزراعي الاغلبية الساحقة من النساء العاملات في البلدان العربية كافة .إن احد الاسباب الرئيسية لهذا الوضع هو ان نسبة النساء في مواقع التأثير واتخاذ القرارات نسبياً طفيفة لا تذكر مع بعض الاختلافات بين الاقطار العربية، خصوصاً في المستويات الوسطى وهذا مايحرم النساء من فرص إحداث التغيرات في سياسة العمل والتنمية

بما يسمح بأخذ حاجاتهن بعين الاعتبار وبما يساعد على زيادة نسبة مشاركتهن في الانتاج كما يسمح باستمرار هذه المعدلات المنخفضة للمساهمة كذلك فإن ضعف المساهمة لا ينحصر بالمواقع الادارية والسياسية وانما في مشاركة المرأة في المنظمات المهنية والنقابات وفي احتلال مواقع تأثير في الحركة النقابية بشكل يسمح باعطاء حاجات المرأة العاملة الاهتمام الذي يستحقه والذي يتناسب مع حجم مساهمتها الحالية في هذه النقابات [٤٩].

٨- بطء عملية التعريب: للتعريب قضايا فنية واجتماعية وقومية وسياسية وانه قوة لتدعيم الوجود العربي والوحدة القومية هو تعريب عربي بمعنى التصدي لقضايا شمولية في استعمال اللغة العربية في الوطن العربي نفسه على المستوى الجغرافي والقطاعي -قطاعاً من قطاعات المعرفة كتعريب العلوم الطبيعية والرياضيات. أي نقلها من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية. وقد يعني تعريب مؤسسة تربوية كتعريب لغة التعليم العام في بعض البلدان العربية او تعريب لغة التعليم الجامعي والعالي ومراكز البحوث العلمية في كل البلاد العربية، وقد يعني التعريب توحيد المصطلح العربي في البلاد العربية والاقتصار على كلمة عربية واحدة لكل العرب لكل مفهوم في مختلف مواد المعرفة والتكنولوجيا. ان من ابعاد التعريب هي تحقيق المعاصرة الايجابية معاصرة المشاركة المنتجة لا معاصرة المعاصرة المستهلكة ولا معاصرة التقليد. يعني الهدف الاول خلق شخصية ابداعية وذلك لا يكون الا بامتلاك القدرة الذاتية على الانتاج وهذه القدرة ليس مناطها المعرفة العلمية وحدها وانما المناخ العلمي كذلك.

البعد الآخر هو التفتح العربي على الحضارة العالمية لاكتساب القدرة الذاتية وذلك عن طريق التعاون القائم على الاختيار الواعي لمصادر القدرة العالمية واستيعابها في نسيج الحياة العربية لتصبح قدرة ابداعية جديدة حتى لا يكون التعاون تقليداً عقيماً او تعميقاً للتبغية وتوثيقاً لها[٥٠].

اما اسباب بطء عملية التعريب في الوطن العربي فقد شخصها الطاهر لبيب كالاتي:

أ- ان معظم الاقطار العربية لم تعرف قراراً سياسياً حازماً بشأن التعريب ولكن لم يجرؤ فيها خطاب سياسي واحد على رفض هذا التعريب. فالموقف اذاً هو (نعم...ولكن) او هو ثنائية في التمييز بين المبدأ والتطبيق. ثنائية طرفاها هما ايضاً ثابتان في خطاب ما بعد الاستقلال .ان المجتمعات العربية التابعة عاجزة بنيوياً عن انجاز مشروع التعريب حتى لو تبنته انظمتها سياساً واذا كانت التبريرات التقنية أولى عوارض هذا العجز البنيوي فانها تخفي وراءها القوى الاجتماعية السياسية المتزايدة كماً ونوعاً وتأثيراً المرتبطة بمصالحها بـ(انفتاح اقتصادي) ينتج عنه ويدعمه في الوقت نفسه استهلاك فكري وسلوك ثقافي واستعمال وظيفي للغة اجنبية اكثر مردوداً ونفعاً.

ب- ان هذه القوى الباحثة عن ربح مباشر التي تمثل اللغة الاجنبية بالنسبة اليها وسيلة اتصال سهلة وناجعة ترى في التعريب تعقيداً لمسالك ربحها وتشويشاً لآفاق توسعها ولذلك فإن اقوى حجة تقدمها هي ارتفاع ثمن التعريب اقتصادياً وكذلك عملية التحديث وهذا بدوره .

جـ- يضعف حدود تحمس التعريب اوالمبادرة الفردية التي تكون داخل جهاز الدولة نفسه [٥١].

هذه هي ابرز مظاهر التخلف الاجتماعي وهناك مظاهر اخرى سأذكرها فقط دون توضيحها او شرحها لانها لا تمثل الجانب الاجتماعي بل الصناعي والاقتصادي والتكنولوجي والصحي وهي ما يلي:

١-انخفاض مستوى دخل الفرد.

٢- نقص رؤوس الاموال وعدم كفايتها.

٣- تخلف طرائق الانتاج.

٤- سوء استخدام الموارد الاقتصادية القائمة.

٥- سيادة الانتاج الاولي والاعتماد عليه في قطاع التصدير.

٦- دوام المديونات الخارجية.

٧- انخفاض الدخل القومي.

٨- عدم عدالة توزيع الدخل القومي.

٩- الاخذ بالاساليب التقليدية البدائية والمتأخرة في الانتاج والتي تعتمد على القوى العضلية غالباً.

١٠- اتجاه انماط الانفاق نحو السلع الاستهلاكية (المأكل والمشرب والملبس).

١١- قلة المدخرات او حتى انعدامها وتضاؤل الاتجاه نحو الاستثمار.

١٢- ارتفاع معدل الولادات.

١٣- ارتفاع معدلات الوفيات العامة.

١٤- ارتفاع معدلات وفيات الاطفال.

١٥- انخفاض المستوى الغذائي.

١٦- انخفاض المستوى الصحي.

١٧-نقص عدد المستشفيات.

١٨- نقص عدد المدارس ودور الثقافة.

علاج التخلف

بعد ان عرضنا ووصفنا بعض مظاهر التخلف الاجتماعي في الوطن العربي علينا ان نذكر كيفية معالجة هذه الآفة الاجتماعية (التخلف) اذ طرح الاستاذ قسطنطين زريق اربعة انواع من معالجات لتخلف مجتمعنا العربي وهي مايلي:

١ - **تطويع الطبيعة وتنظيم الحياة الاجتماعية بالعلم**: التي تشير الى قدرة العقل المتمثلة بالعلم وهذه القدرة تبدو في ميدانين هما ميدان الطبيعة وميدان

الانسان. اما في الاول فهي تكون من معرفة نواميس الطبيعة ومن المشاركة في تطوير هذه المعرفة واستثمارها لاستخراج موارد الارض واستغلال ثرواتها لرفع مستوى العيش واغناء محتواه واما في الميدان الثاني فإنها تتولد من معرفة نواميس الحياة الانسانية ومن استخدام هذه المعرفة في ترقية الفرد وتنظيم المجتمع وتعزيز نتاجهما وظاهرة هذه القدرة لا سيما في الميدان الاول هو التقدم التكنولوجي الذي يؤدي الى التطورات الاقتصادي والتفوق العسكري والهيمنة السياسية وتوفر الوسائل الضرورية لمكافحة الفقر والمرض والجهل وسواها من العلل.

٢-**تطويع الانانية الذاتية للخلق والابداع**: التي تثير القدرة الخلقية الناتجة عن عمق الايمان والسيطرة على الشهوات والاطماع والاقبال على البذل والتضحية والتعاون والمشاركة في سبيل المثل العليا التي يطمح المجتمع الى تحقيقها.

٣- **ترويض المواطن على التحرر الخارجي والداخلي**: اي قدرة المجتمع على رد العدوان عليه وعلى التحرر من الظلم النازل به وقدرته كذلك على ازالة التعدي والظلم في داخله. ان عدوان الشعوب بعضها على بعض وظلمها واستغلالها بعضها لبعض هي ظواهر عريقة في التاريخ البشري.

٤- **الاسهام في البناء الوطني بالعلم والخلق معاً** اي قدرة المجتمع على تكوين الوطنية التي تعني القوام الذي تنتظم به الروابط التي تضم افراد المجتمع وفئاته بعضها الى بعض ومعيار هذه القدرة هو درجة سلامة هذه الروابط وانتظامها وتلاحمها في حقول الحياة المختلفة السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية وسواها. فالمجتمع القادر على هذه الناحية هو المجتمع المتميز بالانتظام والتعاطف والتماسك والممتلك لمؤسسات واجهزة بشرية متطورة تترجم هذه الميزات الى وقائع عملية حية(٥٢).

المشكلات الاجتماعية المصاحبة للمراحل العمرية

(٥-و) مشكلات الطفولة

إستناداً الى التقولب النمطي الخاص بتحديد المراحل العمرية لحياة الانسان. فإن مرحلة الطفولة الاولى التي تبدأ من ميلاد الطفل وتنتهي في سن السادسة من عمره التي تمثل اجمل واسعد وامتع سنين حياة الانسان اذ يعيش فيها باطمئنان وسعادة وعفوية غامرة بعيداً عن متاعب ومشاكل مجتمعه المحلي والعام.

لكن هذه الفترة الزمنية التي يعيشها الطفل بين افراد اسرته تمثل التربة الاساسية التي سوف يزرع فيها كافة بذوره . بتعبير اجتماعي: إنها مرحلة يتعلم فيها الطفل معظم المحرمات والمسموحات ومعظم رموز التفاعلات الاجتماعية ويكتسب العادات الاجتماعية السائدة في مجتمعه . كل ذلك يؤثر في سلوكه واطار تفكيره في المستقبل حيث تمثل المؤثرات غير المباشرة على حياته الاجتماعية المستقبلية ومواقفه وميوله وعواطفه وطريقة تفكيره وابعاد خياله وسواها.

بعد ان حددت زمنياً مرحلة الطفولة ،اطرح اولى مشكلاتها التي غالباً لا تمثل الجانب الاجتماعي بسبب صغر سنه الذي لا يسمح له بالعيش مع المجتمع بشكل مكثف او كون محيطه الاجتماعي صغيراً لا يتعدى الاسرة والجيرة وهذا لا يبلور مشكلات اجتماعية له.بيد أن هذا لا يعني انه لا توجد مشكلات اخرى تواجهها هذه المرحلة بل اكبر واخطر مشكلة تواجهها هي وفيات الاطفال. ففي عام ١٩٠٠ تراوحت نسبة وفيات الاطفال في الولايات المتحدة الامريكية ما بين ١٠-١٥٪ بينما هبطت النسبة الى النصف في عام ١٩٣٠ وفي عام ١٩٥٢ وصلت النسبة الى ٥٪ لكن في عام ١٩٦١ وصلت النسبة الى ١٪ وفي عام ١٩٦٢ كانت النسبة ٢٥ر٣٪ بالالف بينما نسبة وفيات الاطفال في الدول الاسكندنافية اقل بكثير من الولايات المتحدة[٥٣]. ان اسباب تراجع نسب وفيات الاطفال يرجع الى تقدم اساليب العلاج الطبي وتحسن مستوى العيش والتغذية الجيدة وتقدم العلاج السريري في المستشفيات واستخدام وسائل مانع الحمل والوعي الصحي الاسري.

وهناك مشكلة اخرى تواجه بعض الاطفال وهي (النطق) وكيفية الاسترسال به لكي يتم تفاعله مع الافراد المحيطين به.أي كيف يختار رموزه الخاصة به لكي يعبّر عن الشيء ومن ثم يوصله للمحيطين به.

وهناك مشكلة التأتأة وتلكؤ كلام الطفل حيث تعرقل تواصل تفاعله مع افراد اسرته وغالباً ما تصيب الذكور اكثر من الاناث وهذه يمكن عدها مشكلة اجتماعية لانها تعيق اتصال الطفل بالاخرين الذين يريد التفاعل معهم وبالوقت ذاته تعسّر عملية تعبيره عن الاشياء التي يريد التعبير عنها واذا استمرت هذه المشكلة فإنها تؤثر على اندماجه بالمجتمع ولا تجعله منسجماً معه فتبلور عنده مشكلات نفسيه عويصه مثل الخجل أو الانعزال اوالكآبة او الحزن او القلق.

المشكلة الاخرى هي التخلف العقلي التي تزداد نسبتها في المجتمعات الصناعية والحضرية .إنها اعقد مشكلة تواجهها الطفولة بسبب علاقتها بالعوامل الوراثية والثقافية معاً. ثم هناك مشكلة استخدام الاطفال للاشياء الخطرة دون علم الاسرة فتخلق لهم مشكلات جسيمة خطره مثل استعمال ادوية الكبار وشربها اوبلعها او اللعب بالادوات الحادة والقاطعة لكي يعرف كنهها أو كيف صُنعت وما شابه . مثل هذه المشكلات قد لا تخلق للطفل متاعب مثل متاعب مشكلات عندما يصل الى مرحلة المراهقة او الشباب او الشيخوخة انها اقل نوعاً وكماً. اما بعد سن السابعة ولغاية سن الثامنة عشرة والتي يطلق عليها ما قبل المراهقة اوالمرحلة المتأخرة من الطفولة فهي تمثل مرحلة مستترة لان ظاهرها يشير الى فترة آمنة قليلة المشاكل والاحداث المستترة والتي تندر فيها المشكلات العاطفية والسياسية الجارحة والمؤلمة ومعدل واطئ جداً من الوفيات .بيد أنه على الصعيد الاجتماعي يتحرك الطفل نحو الاستقلال بذاته بعيداً عن الوالدين والاستعانة بالغير فيما يخص مشاركاته في المناشط الاجتماعية فيحاول ان يوسع علائقه الصداقية ومعارفه ليخرج من عالمه الضيق (عالم الاسرة) الى عالم اوسع منه وهو عالم الجماعة الرفقية والعمرية والمدرسية . ومع بداية دخوله المدرسة يبدأ بالتعرف على

الوسائل الثقافية الاخرى (غير الاسرية) وتقليد بعض الافراد البارزين والنشطين في المدرسة او الجماعة العمرية وعند هذه الدائرة الاجتماعية الجديدة يكتشف مهاراته الفكرية والجسمية وبخاصة عندما يتبارى مع زملائه امام المعلمين والاخرين . انها بداية عادة العمل التي تقوده نحو حب العمل في المستقبل وانها البذور الاولى لتحمل المسؤولية وتنفيذها وتمثل ايضاً الفرصة الاولى للتعرف على قدراته في مواجهة التحديات ومنافسة الغير في الاعمال الفكرية والابداعية في جو العمل الجماعي المنظم فيكتشف درجة التزامه بالعمل وكيفية دقته بالقيام به.وفي هذه المرحلة ايضاً يتعلم كيف يروي النكتة امام الاخرين من غير اسرته وكذلك يتعلم كيف يتكلم مع الغرباء (من خارج اسرته وزملائه) وكيف ينقل الرسالة الشفوية بامانة أو بتصرف ذاتي ويميز ايضاً بين الاشياء الجيدة والرديئة والسلوك الذكي والغبي.

فقد وجد الباحث (جيسي ومساعدوه) في بحثهم عن الاطفال في الاعمار الاتية:

١- في سن العاشرة يتماثل الحدث مع مناخ المدرسة ويكتشف قدراته العقلية والجسمية وينزع نحو الحفظ على الذاكرة (اي بدون فهم بل كما هي) ثم يميل نحو التطابق مع الحقائق والتشبه بالاخرين الذين يثيرون اهتمامه واهتمام أصدقائه وعندما يرسم الخرائط الجغرافية يقوم بوضع المدن عليهما كما موجود في الخارطة الحقيقية اي يقوم بتنفيذ الرسوم كما هي موجودة دون تغيير اوخلط تصوراته وافكاره فيها اوعليها وتبدو له اهتمامات جديدة ومتنوعة لكنه لا يقوم بانجازها الى نهايتها او ممارستها او مصاحبتها الى نهاية الامر بل يتوقف في منتصف الطريق ويذهب الى اهتمام اخر. أي ينتقل من اهتمام الى آخر دون اكماله او انجازه او مصاحبته اوالتمسك به بل يتعرف عليه ويتركه ليذهب الى الاخر.

٢- سن الحادية عشرة يكون الحدث في هذا السن مركزاً بشكل مكثف على مواضيع مهمة -في نظره- يتنافس بها مع الاخرين لنيل اهتمام الحضور فيبرز ليزيد من معارفه ويتباهى بها امام الاخرين ثم يحاول ان يبدع في تفكيره فيصنع ألعاباً مسلية له او يقدم اسلوباً جديداً خاصاً به لتسلية نفسه.

٣-سن الثانية عشرة يميل الحدث في هذا العمر الى التعصب الشخصي لذاته فينزع نحو القيام بواجباته المناطه له للتعبير عن قدرته وطاقته التي تعكس استقلاليته في العمل ثم يبدأ إدراك الامور السياسية والمدنية وينتقد مدرسته ومناهجه ومعلميه وطرق تدريسهم لها[٤٤]. ومن نافلة القول ان اشير في هذا المقام بان مرحلة الحداثة(نسبة الى الحدث) من سن ٦ لغاية ١٢ بانه يتعرض لتأثيرات وسائل الاعلام المرئية والمسموعة فتثير انتباهه واحاسيسه من خلال عرض قصص الاطفال وسماع الموسيقى والاغاني وممارسة الالعاب الرياضية الامر الذي يزيد من معارفه الاجتماعية والثقافية كذلك تلعب مجلات الاطفال دوراً مهماً في اذكاء قدرته المعرفية فيما يخص حل الالغاز وصفحات التسلية التي تخص خواطره وتنشيط افكاره.

انتقل بعد ذلك الى طرح بعض المشكلات التي تعكس التنشئة الاسرية المغلوطة للطفل مثل السرقة اذ ان الامانة امر يكتسب ولا يورث وهي من خصائص الخلق التي يعلق عليها المجتمع اهمية كبيرة حتى ان الفرد اذا اعتدى على ما يملك غيره عرض نفسه ابداً لحساب عسير وفي السنن الاخلاقية التي يؤمن بها كثرة الناس اتفاق على ان خرق قواعد السلوك واوضاع القانون التي تقرر ان الاستحواذ على املاك الاخرين جريمة انما هو أمر لا خير فيه ولا جدوى منه وانه مسلك وعر مليء بالمخاطر مفعم بصنوف الجزاء والعقاب.

وبالرغم من أننا نقدر الخطر الكامن في عدم تكوين هذه الخاصية الخلقية التي ندعوها بالامانة ونعرف ما يتأتى من اذى في اهمال العمل على غرسها في نفوس الصغار فأننا كآباء كثيراً ما لا نحفل ببعض العادات والميول الخاصة التي تبدو في سن مبكرة وتؤدي لاهماله الى الخيانة فيما بعد. فالطفل اذا لم يدرب في محيط العائلة على التفرقة بين ما يخصه وبين ما يخص غيره كان من الصعب ان نتوقع منه ان يكون اكثر تمييزاً بين ما يحق له وما لا يحق له خارج بيته وليس من اليسير دائماً على الاطفال ان يعرفوا ماهو ملك خاص لهم في المنزل لان كثيراً من الادوات

في الدار ملك مشاع يستخدمه كافة افراد الاسرة حتى ليختلط الامر على الطفل اختلاطاً لا يبعث على العجب ويصدق هذا القول خاصة اذا عرفنا ان غريزة الاقتناء قوية في كثير من الاطفال وان في نفوسهم ميلاً مقيماً ابداً الى ادعاء ملكية ما يجد هوى عندهم.

اما مشكلة الكذب فان العمل على تنشئة الطفل على الامانة في ذكر الوقائع هو عين العمل بوجه عام على تنشئته على الامانة فيما يتصل باملاك غيره وكثيراً ما يصحب الكذب السرقة، بيد أن الكذب كثيراً ما يوجد قائماً بنفسه لكن كثيراً من المواقف النفسانية كالشعور بالقصور مثلاً قد تدفع طفلاً الى الكذب بينما تدفع عين المواقف طفلاً آخر الى السرقة والامانة في سرد الحقيقة كالامانة بشأن املاك الاخرين امر يكتسب ولا يورث وهي يكتسب بالتقليد ويتدرب الطفل على تمييز الوقائع والتعرف على الحقيقة والوقوف على الصدق وبألا يمر بظروف ينفع فيها الخداع وتحسن عاقبته (٥٥).

(٥-ز) مشكلات المراهقة

المراهق كما جاء في (المنجد) هو الغلام الذي قارب الحلم وجاء في مختار الصحاح راهق الغلام فهو مراهق.اي قارب الاحتلام والكلمة تقابل المراهقة في اللغة الانجليزية هي كلمة Pubescene وتطلق على الفترة التي تستغرق من سنة الى سنتين قبيل الاحتلام. ومصطلح adolesen يطلق على الفترة في بداية الحلم حتى اوائل العشرينات ولا يمتد تعريفهم ليشمل كل مرحلة الشباب الى مرحلتين، مرحلة الشباب الاولى او مرحلة الفترة وتمتد من بداية الحلم حتى الرشد الذي يحدده القانون بسن الحادية والعشرين التي فيها يتحمل الفرد مسؤولياته المدنية والمرحلة الثانية وهي مرحلة الرشد وتمتد من سن الحادية والعشرين حتى الثلاثين(٥٤). في الواقع ان تحديد المرحلة العمرية للمراهقة يخضع للمعايير الثقافية -الاجتماعية التي تساعد المراهق على استقبال ادوار و مواقع اجتماعية جديدة تختلف عن الادوار والمواقع العمرية التي مارسها وشغلها فيما مضى. فهي اذن لا تخضع للتحديدات الزمنية بشكل مباشرة.هاك مثالاً على ذلك، تعد الفتاة في جزر ادميرال شابة قبل بلوغها الجنسي ويسمح لها مجتمعها بان تخطب من شاب لكن الشاب غير المتزوج في الريف الايرلندي يعد ولداً حتى بلوغه سن (٤٥) .(٥٥)

وفي المجتمع الامريكي يعد الشاب مراهقاً عندما يصل الفترة العمرية ما بين ١٣ عاماً ولغاية ٢٠ عاماً وهذا التحديد وضعته الثقافة الامريكية وليس القانون الامريكي. فالثقافة الاجتماعية هي التي تحدد دورة الحياة العمرية ومراحل نموها ولا تخضع لتصانيف ثابتة لكل المجتمعات وبشكل واحد ومتماثل بل تختلف حسب اختلاف ثقافات المجتمع فضلاً عن كون النضج الجنسي من الناحية الحياتية (البايولوجية) يبدأ عند الذكور من سن ١٢ ولغاية ١٦ وعند الاناث يبدأ من سن ١٠ ولغاية ١٤ ومن المؤشرات الجسمانية لسن البلوغ عند الذكور تظهر من خلال اتساع الصدر وكتفيه وخشونة صوته وظهور لحيته وافرازات دهنية على بشرة وجهه. اما البنت فيبدأ جسمها بالسمنة النسبية مع اتساع في وركها وبروز صدرها او امتلاؤه وتبدأ عندها بوادر الطمث (الحيض).

بعد أن اوضحت اثر المعايير الثقافية الاجتماعية في تحديد المراهقة اعرج الى مصاحبات هذه الفترة العمرية الحرجة. فمن جملة هذه المصاحبات نزوع المراهق نحو التفكير بالانحراف في هيئة جسمه والاعتناء برشاقته وصحته ووزن جسمه وجمال تقاطيع جسمه والمبالغة في التأنق اذ أنها (حسب تفكيره) تؤثر في علاقته بالاخرين وتجذب انتباههم نحو مظهره الخارجي حيث يعد ذلك قيمته الاجتماعية او كيانه الاجتماعي لانه ينظر الى ذاته من خلال نظرة الاخرين وقبولهم المظهري لتقاطيع جسمه. فمرحلة المراهقة اذن تمثل مرحلة نمو جسمانية وعاطفية تتجه نحو الابتعاد عن مساعدة الوالدين لكي تستقل بذاتها بيد انها تبقى معتمدة من الناحية الاقتصادية على الوالدين وتتفجر فيها الطاقة الجنسية بشكل متغور لكنها تهفت بعد الزواج.

المراهق في اسرته: يرغب المراهق أن يعامله والده على انه ناضج او راشد وان لا يسيئوا فهم كلامه او افكاره لكنه في أغلب الاحيان يشعر بان والديه لا يفهمان مطالبيه وافكاره بل ولا يستطيعان حل مشكلاته التي يواجهها بل يعقدانها عليه الامر الذي يدفعه هذا الشعور للجوء الى اصدقائه خارج الاسرة ليحلوا مشكلاته، هذا اللجوء هو اول مهرب للمراهق من اسرته ليخرج من تقنين وسيطرة والديه. وهناك بعض الاباء يعتقد بان اطفالهم قد كبروا ولا داعي لتوجيههم ومراقبة سلوكهم فيتركون لهم تقرير حياتهم الخاصة وهذا خطأ ايضاً لانه في هذه المرحلة يكون بأمس الحاجة الى مرشد وموجه له خبره ودراية في مواجهة الشؤون الحياتيه والعلائقية وهذا الموقف يشجع المراهق ايضاً باللجوء الى اصدقائه من خارج اسرته للاستعانة بهم لحل مشكلاته .انها مشكلة فجوة جيلين بين المراهقين والوالدين ،لا يمكن ردمها بل يمكن تقليصها وقد تقود هذه الفجوة الى سوء فهم احد الاطراف لموقف الطرف الاخر. وتتضع هذه الفجوة بشكل جلي في المجتمعات ذات التحضر السريع او تقل الجسور الاسرية بين المراهقين ووالديهم وتزداد الجسور الخارجية بينهم وبين نظائرهم (الذين يمثلون نفس شريحتهم العمرية) او بينهم وبين وسائل الاعلام. هذه الشريحة العمرية تلعب دوراً حيوياً

في حياة المراهق اذ ينزع نحو التماثل مع نظائره في لبسهم وكلامهم ومفردات حديثهم ومصالحهم وسلوكهم وطريقة تفكيرهم وذوقهم واحاسيسهم ولا يريد الانحراف بل يخشى نفورهم منه او رفضهم له لانهم مهمين جداً في حياته الخاصة ويكون حساساً جداً تجاه حكمهم السلبي ويطمح بحكمهم او تقويمهم الايجابي واعجابهم بسلوكه وملبسه ومنطقه وذوقه وتفكيره . لذا يكون ذا حساسية مرهفة اثناء وجوده بين اقرانه وبين اصدقائه وان يعاملوه بنضج دون الاستخفاف به وبخاصة امام الجنس الاخر او من قبل الجنس الآخر لانه يهدف اثارة اعجابه. هذه الحاسية تخلق عنده القلق حول طموحه ومستقبله ومرّد ذلك يرجع الى غموض دوره الاجتماعي الذي لم يستقر بعد والى بحثه عن معايير جديدة تخدم مصالحه واهتمامه وطموحاته المتزايدة وغير المستقرة .او تعود الى استمرار تعلق المراهق بمعايير المرحلة العمرية السابقة التي تعيق تبوءه اعتاب المرحلة العمرية الجديدة لذا فانها مرحلة هامشية –حدية متأرجحة وقلقة متضمنة الاضطراب العاطفي فلا تسمح له بالاستقرار في مكانته الاجتماعية الجديدة الامر الذي دعا بعض علماء الاجتماع بان يقابلوا مرحلة المراهقة امام انحراف الاحداث والقسم الاخر عدها ثقافة اجتماعية فرعية متفرعة من ثقافة الام،والقسم الثالث عدها جماعة عدوانية سيئة السمعة وليس لها كرامة تثير الغضب والازعاج والخوف والرعب في المجتمع المحلي وجماعة رابعة قالت عنها شريحة عابرة في مرحلة الحياة العمرية للفرد ومجموعة اخرى قالت عنها انها تشبه لعبة كرة المنضدة تذهب وتأتي الى ان تستقر على جهة معينة اي تتراوح بين الحداثة والرجولة الى ان تستقر على جانب واحد(٥٦).

هذه الحالة القلقة التي يشترك فيها معظم المراهقين تشكل عندهم تضامناً اجتماعياً اكثر بكثير من تضامن الاطفال في مرحلة الطفولة. هذا التضامن يدفعهم الى عدم البقاء في مرحلتهم القلقة هذه بل الذهاب الى مرحلة النضج وذلك عن طريق تقليد انماط سلوك الافراد الناضجين، هذا على صعيد المجتمع المتحضر، لكن على

صعيد المجتمعات التقاليدية فان مثل هذه النزعات لا يمكن ان تحصل بسبب الضغط الاجتماعي الصارم من قبل الاسرة والمجتمع التي لا تسمح للمراهق بالتعبير عن حاجاته ورغباته لكنه يجد الاشراف والتوجيه المباشر من المعمرين في اسرته وبالوقت ذاته من نظائره من المراهقين ،بينما في المجتمعات البدائية والمتخلفة تمارس طقوس ومراسيم المجتمع عند بلوغ الفرد مرحلة المراهقة لكن مثل هذه العادات غير واردة في المجتمع الحضري.

اتوقف عند هذا الوصف العام والسريع لوضعية المراهق في اسرته ،انتقل بعد ذلك الى موضوع مشكلات المراهقة :سوف اقصر حديثي عن مشكلات المراهقة التي تحصل في المناطق الحضرية وهي ما يأتي:

١- تتجه نسبة عالية من المراهقين نحو الحصول على عمل في سوق العمل اذ كلما زاد عدد المراهقين في المجتمع ظهرت مشكلة البطالة بشكل جلي وهذا بدوره يدفعهم نحوالانحرافات السلوكية والانخراط في المناشط السياسية والحركات السياسية المناهضة لنظام مجتمعهم.

٢-كلما تقدم التطور التقني والالكتروني زادت حاجة العمال المهرة وهذا بدوره يزيد من حجم بطالة المراهقين والشباب الامر الذي يتطلب زيادة في التعليم لهذه الشريحة العمرية.

٣-واذا اتجه المراهقون نحو التعليم فإن مستواهم الفكري والثقافي سوف يرتفع الذي بدوره ينمي وعيهم السياسي ويلفت انتباههم نحو الجوانب السلبية في الحياة اليوميه فيسلطون نقدهم عليها وتحديد مواقف مناهضة للنظام السياسي القائم اوالمؤسسات الاقتصادية والتربوية والقضائية.

٤- اتجاه القصص والشعر والفنون والمجلات والافلام السينمائية والتلفزيون نحو المواضيع الجنسية لكي تروج بيعها على شريحة المراهقين .

٥- تماثل الشباب مع التطور السريع والتعقيدات الاجتماعية والمواضيع الغامضة والرؤية الضبابية كجزء من فلسفتهم في الحياة وبخاصة

مستقبلهم المبهم والغامض اذ يفكر بالانحراف في موضوع ماذا سيكون في المستقبل وماهي وظيفته المهنية عندما يصبح رجلاً ناجحاً وماهي فرص العمل التي تنتظره بعدما يتخرج من المدرسة الاعدادية او الكلية اذ يتمنى ان يشغل مناصب رفيعة ومهمة ويحتل مركزاً مرموقاً في المجتمع .هذا الطموح الغامض يولّد عنده القلق والاضطراب النفسي والتقلبات المزاجية وعدم الاستقرار على رأي واحد ويزيد من توتره العصبي.

٦- ومن جملة مشكلاته الاساسية هي المشكلة الجنسية التي تبرز عنده على شكل ثورة عارمة تعرض اهدافها على صور المجلات وشاشة السينما والتلفاز والملابس القصيرة التي تعرض مفاتن الجسد ومغرياته اذ ان وجود مثل هذه الصور لم يكن بمحض الصدفه او مزاج المخرج او رئيس تحرير مجلة بل وجدت كرد فعل الجيل الحالي للجيل الماضي الذي كان ينظر الى هذه الصور وموديات الملابس على انها اشياء مخجلة ومحرجة وهذا هو السبب الاول. اما السبب الثاني فانه ينحصر في اخفاق الجيل الحالي في تحقيق التغير الذي يرغب فيه والذي يخدم مصالحه واهدافه في المؤسسة السياسية والاقتصادية والتربوية الامر الذي اضطره الى ان يأخذ حريته في النشاطات الجنسية سواء كان بشكل عدواني او منحرف لكي يشبع رغائبه التي احبطت او لم تتحقق في تغيير ما يريد تغييره في المؤسسات الاخرى . وعلى الرغم من ذلك فقد بقيت بعض المعايير الاخلاقية تمنع الفتاة في المجتمع الصناعي والحضري من ان تفقد سيطرتها على علائقها الجنسية مع الفتيان اذ تشعر الفتاة التي تفقد سيطرتها على علاقاتها الجنسية مع الفتى بتأنيب الضمير والخجل امام صديقاتها .

ولكن مع تطور الحياة العصرية فقد تغيرت نظرة المراهقة للجنس فاستقلالها الاقتصادي ساعدها على اقامة علاقات جنسية قبل الزواج وان وجود السيارة شجعها ايضاً بالخروج مع صديقها بعيداً عن اعين الناس أو تسجيل اسمائهم في سجل الفنادق ثم لم يبق الجنس يمثل موضوعاً وضيعاً في نظر الناس وهذا زاد الطين بلة . فضلاً عن مطالبة الفتيات بالمساواة مع الرجل في حقوقه .

جميع ذلك شجع الفتاة المراهقة والناضجة على اقامة علاقات جنسية مع الجنس الاخر في المجتمعات الصناعية والحضرية على الا ننسى الافلام الجنسية التي تعرض في دور السينما وفي اجهزة الفيديو وانتشار استعمال المخدرات (المرجوانا و LSD والهروين) بعد عام ١٩٦٠ وبخاصة بين ابناء الطبقة الوسطى وهذا ادى الى فشل المراهقين في المدرسة والهروب منها والهبوط في مستوى طموحهم(٥٧).

٧- إنحراف الاحداث: التي لا تمثل حالة فردية بل اجتماعية تكمن اسبابها في سوء تنشئتهم الاسرية والاجتماعية .في الواقع ان مفهوم انحراف الاحداث استقي من القانون البريطاني الذي اوضح فشل الوالدين في مواجهة مسؤوليتهم حول او اتجاه ابنائهم فيما يخص تنشئتهم الاجتماعية القويمة او التي تحددها المعايير الاخلاقية والاجتماعية ومع وقوع الانحراف تظهر سلوكيات غير سوية مصاحبة له مثل الهروب من البيت والهروب من المدرسة وارتداء ملابس غير ملائمة والتصرف بغرابة غير مقبولة اجتماعياً(٥٨).

في الواقع يزداد انحراف الاحداث بعد عمر (١٧) عاماً وبخاصة في المناطق الحضرية التي تجذب مغريات الحياة الحضرية فيها اطماع المراهقين للحصول على وسائل ترفيهية مثل اقتناء سيارة فيسرقها. ومن الطرافة ان اشير الى اثار سرقة المراهقين للسيارات الذي دفع المبتكرين في شركات صناعتها (السيارات) الى اختراع جرس الانذار واقفال سرية ومعقدة لابواب السيارات واختراع منبه عندما يترك سائق السيارة مفتاحها داخلها وتأجير حراس لحراسة السيارة داخل الكراجات وما شابه . كل ذلك حصل بسبب سرقة السيارات التي تتزايد حالاتها عند المراهقين اكثر من غيرهم التي تزداد بين الذكور اكثر من الاناث وبين ابناء الطبقة الدنيا اكثر من باقي الطبقات الاجتماعية والاقتصادية وتكون موجهة نحو الملكيات الخاصة ويكون الميل نحو الانخراط في الزمر الاجرامية اكثر من الفردية وتزداد

انحرافات المراهقين في منتصف عمرهم اكثر من بدايته اونهايته (اي في منتصف المرحلة العمرية التي تقع فيها مرحلة المراهقة) وعند الاسر المفككة.

٨- التمرد على معايير المجتمع: تتبلور روح التمرد عند المراهقين تجاه معايير مجتمعهم لقناعتهم بعدم جدو اها لهم وعدم اختلاف حاجاتهم مع اهدافها وتحجم طموحاتهم لذلك يتمردون عليها. ثم ان العيش في مجتمع يتضمن التباين الطبقي وتسوده القيم المادية (مثل المجتمع الامريكي) تتولد عند المراهقين ذوي الحساسية المراهقة والتقلب المزاجي نزوع الحسد والغيرة عند ابناء الطبقة الوسطى والفقيرة تجاه المراهقين من ابناء الطبقة الغنية. لان الاخير يلبس ويأكل ويشرب بشكل افضل من الاول الامر الذي يولّد عنده روح التمرد على معايير مجتمعه التي لا تخدم حاجاته المادية في الملبس والمأكل والمشرب والمسكن.

من الامثلة المعاصرة على تمرد المراهقين على معايير مجتمعهم في المجتمع الغربي هي حركة (الهيبز) التي تعبّر عن عدم رضاها فيما يخص النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي السائد في مجتمعهم فتتمرد بشكل سلمي لا عدواني عن طريق ملبسهم المخالف للمألوف حيث يلبسون ازياءً لا تُلبس من قبل عامة الناس او ماهو شائع وسائد لجيلهم ويدعون للسلام لا للحرب ولا يلتزمون بالتعليم والدراسة الجادة ويهربون من مسؤوليات الحياة المادية ويتم هروبهم بواسطة عدم العمل واستعمال المخدرات والمشروبات الروحية ويعبرون عن حياتهم العابثة غير الملتزمة بنواميس الحياة الاجتماعية بأدبهم في الفن والرسم والنحت والتمثيل الخاص بهم الذي لا يمثل الاتجاهات الجادة والمعبرة عن معان عميقة.

هذا من جانب ومن جانب آخر فان تمردهم يصل الى المعايير الاخلاقية المتعلق بالعلاقات الجنسية التي تباح بينهم فقد تحمل الفتاة سفاحاً من صديق لها دون عقد زواج بينهما الامر الذي ولّد حالات شاذة وغير شرعية مثل حالات الاجهاض والزواج الاضطراري المكره (بسبب الحمل الذي لم يكن دافعه تكوين اسره بل

المتعة الجنسية الآنية والاضطراب العاطفي) هذا الحمل غير الشرعي جعل الفتاة المراهقة ان تترك مدرستها وعزل نفسها عن صديقاتها واسرتها هروباً من اسئلتهم لانها تدرك أن ما قامت به ما هو الا عمل شائن وغير مقبول اجتماعياً وقانونياً ودينياً وان هذا يؤثر على سمعتها وصورتها الاجتماعية امام الناس وازاء هذا الموقف تتصرف المراهقة الحامل، اما بالتخلص من حملها بواسطة الاجهاض اوان تحتفظ به ومن ثم تودعه عند إحدى وكالات تبني الاطفال حيث تواجه مشكلة تبنيه بعد ولادته اذ يخضع تبنيه للون بشرته ونوع طائفته الدينية لان التبني في امريكا لا يتم بشكل مغاير للون البشرة او طائفته الدينية(٥٩).

ومن المشكلات الاجتماعية الاخرى التي يواجهها المراهق اوالمراهقة هي ما يأتي:

١-**احلام اليقظة**: التي تستغرق ساعات في بعض الاحيان تؤدي الى العزلة والانفراد ويحلم الفتى بالمستقبل والمال والقوة كما يفكر في النواحي الجنسية والحب والزواج وقد يفصح احياناً في محيط الاسرة عن احلامه التي قد تؤدي الى استهزاء االكبار وسخريتهم منه وهذا يؤدي الى شعوره بعدم وجود من يفهمه.

٢-**صراع قيم جيل الابناء مع قيم الآباء** التي تعرض ارادة الآباء. اذ من مظاهر رغبة الابناء في الاستقلال سعياً لتكوين صداقات من الخارج مع من هم في سنه ومشاركتهم في نشاطهم وتستدعي مشاركة الاخوان في الظهور امامهم بالمظهر اللائق. وقد يتطلب المظهر اللائق زيادة المصروف اليومي الذي يكون عبئاً على الوالدين ويكون هذا مدعاة للاحتكاك وتتطلب مجاراة الاخوان ومشاركتهم في الجلوس على المقاهي ومصاحبتهم الى دور السينما ودعوتهم احياناً الى المنزل لاستضافتهم كما يستضيف الكبار أصدقاءهم ويؤدي اضطراره الى السهر والقيام بنشاط لا يعرف عنه الاباء اي شيء حتماً الى الاحتكاك. لقد تغير الطفل من وجهة نظر الاباء الى الاسوأ فهو الولد العاق الذي افسده اصدقاؤه ولا يفهم كثيراً من الاباء.

٣-البحث عن الذات والهوية : من الاسئلة التي يحاول الشباب العثور على اجابات لها اسئلة مثل من انا؟ ومن هم اهلي ؟ من هم اصدقائي؟ من هم اعدائي ؟ ما هو مركزي؟ ما مصادر قوتي ومصادر ضعفي؟ ما هو مستقبلي ؟ كيف اعيش حالياً؟ كيف اعيش مستقبلاً؟ لمن أنتمي ؟ ماهو دوري في مثل هذه الحياة ؟ اذا لم يجد الشاب اجابات مرضية وشافية عن هذه الاسئلة وغيرها فيكون في ضياع.(٦٠)

٤- الحيل الدفاعية : اي الاساليب التي يتخذها المراهق لا شعورياً لمواجهة حالات الصراع النفسي التي يعانيها ويمكن اعتبارها وسائل للدفاع عن الذات الشاعرة ازاء الدوافع الناشئة عن الذات الدنيا أو الذات العليا هذه الاساليب لها صلة بمشكلات المراهقة منها.

٥-عدم مواجهة الواقع : بالالتجاء الى الخيالات واحلام اليقظة والانطواء وجميعها حالات تكثر في المراهقة كما يمكن اعتبار الكبت وتفرعاته محاولات للهروب من الواقع وعدم مواجهته.

٦- مواقف ازاء السلطة : كما تتمثل في الوالدين وفي الرؤساء فقد تتميز هذه المواقف بتناقض الانفعال حيث تجتمع اتجاهات الحب والكره معاً وبالتقمص وبالاعجاب بالبطولة والتقديس وتشربه خصائص الوالدين اوغيرها.

٧- توجيه الدوافع بالتحويل والتعويض والاعلاء وللظاهرة الاخيرة خاصية كبيرة في المراهقة لانها تتضمن توجيهاً سليماً تجعلها تخدم اغراضها اجتماعياً واخلاقياً.

٨- تمويه الدوافع وحجب طبيعتها بالتبرير والاسقاط وما اليها.

٩- اضطراب التطور وذلك عن طريق احتباس الدوافع ووقفها عند مرحلة اولى اوعدم تطويرها بعد ذلك او ارتدادها عند مواجهتها عقبة من العقبات الى مرحلة سابقة (٦١).

(٥-ح) الشيخوخة ومشكلاتها

إلماحة تاريخية

قبل الدخول في تحديد وتوصيف مشكلات الشيخوخة او المعمرين أجد من الضروري والمفيد أن أشير الى حقيقة علمية تخص علماء الاجتماع القدامى (الروّاد) وهي انهم لم يولوا إهتماماً لدراسة المعمرين لانهم لم يكوّنوا عدداً كبيراً من السكان أي أن عددهم كان قليلاً بالمقارنة مع باقي ألفئات العمرية داخل المجتمع وذلك بسبب وفاتهم قبل بلوغ مرحلة متأخرة من العمر لذلك لم يشكلوا شريحه اجتماعية واسعة او فئة عمرية عريضة داخل المجتمع. هذا على صعيد المجتمع. اما على صعيد الاسرة فقد كانت (الاسرة) في الماضي ولغاية بداية هذا القرن تمثل النمط الممتد (في المجتمعات الحضرية والصناعية) التي اولت اهتماماً بالغاً بالشيوخ او المعمرين سواء كان على الجانب الصحي او النفسي او الاجتماعي او الاقتصادي وكانت لهم مكانة اجتماعية عالية داخل الاسرة والمجتمع معاً ويمثلون رموزاً متميزة ومعتبرة داخل الاسرة فضلاً عن ممارسة دورهم الأسري في اتخاذ القرارات الاسرية وحتى الانتاجية (في المجتمع الزراعي) او الصناعات المنزلية فكانوا (المعمرين) يشعرون بوجودهم الاجتماعي والنفسي ولم يشعرون بان دورهم قد انتهى وانهم معزولون عن اسرهم ومجتمعم او انهم يعيشون في ضائقة مالية. اما من الناحية العملية فإنهم لا يتقاعدون بسبب بلوغهم سناً معيناً بل يعيشون على ما ادخروه من مال يجعلهم ان يستمروا في العمل او الاستشارة المهنية وهذا يجعلهم في حيوية مستمرة ويمتلكون المعنوية العالية.

ففي المجتمع الصيني القديم كان المسن يمثل مرجعاً للاسرة في كل قرار ويعد رمزاً لاحترامها. هذه الميزة يحصل عليها في حياته وبعد مماته (بالنسبة للذكور) اذ يبقى احترام الاسرة له ملتصقاً باسمه وعمره. والحالة مشابهة في المجتمع العربي الى منتصف هذا القرن.

ولكن بعد انشطار الاسرة الممتدة وبالتحديد بعد الثورة الصناعية واستخدام التكنولوجيا الطبية وتحسن نظام التغذية إرتفع معدل المعمرين بشكل ملحوظ .أي أن الانسان أخذ يهتم براحته وصحته والحفاظ على حياته لأطول فترة زمنية يقدر عليها، وعندما زاد عدد المعمرين ظهرت مؤسسات رسمية تهتم رسمياً بهذه الفئة العمرية وما يصاحبها من ظواهر ومشكلات اجتماعية عند ذاك التفت علماء الاجتماع اليها وتناولوها بالدراسة والبحث والمعالجة بيد أن هناك رؤية اخرى توضح اسباب ظهور المعمرين داخل المجتمع بشكل مختلف عن السابقة وهي إرجاعها الى صراع الطبقات الاجتماعية داخل المجتمع الذي ادى الى اهمال الحكومة واثرياء المجتمع بالاهتمام بهذه الشريحة العمرية بدعوى انهم لم يبقوا ولم يستمروا في عملهم الانتاجي فأصبحوا عالة على المجتمع وعلى العملية الانتاجية ولا يغرون اصحاب المصالح الانتاجية والاقتصادية بل يعدونهم من العناصر الاجتماعية ذات العبء الثقيل على المجتمع وعلى الدولة معاً. علاوةً على نظرة الايدولوجية الفردانية السائدة في المجتمعات الرأسمالية الغربية للمعمرين التي تراهم بأنهم خالقي مشكلة الفقر في المجتمع الامر الذي طالبتهم بأن ينظموا أنفسهم على شكل تنظيمات سياسية من اجل جمع اصواتهم وانتخاب من يدافع عن مصالحهم ويساعدهم في تحقيق مطاليبهم.

وهناك رؤية ثالثة تختلف عن الرؤية الصراعية السابقة والوظيفية التي سبقت الصراعية تنطلق من الجانب النفساجتماعي مفادها بان دورالمعمرين الاجتماعي محدود ومقنن جداً بسبب محدودية مسؤولياتهم وتوقعات مجتمعهم منهم ، الامر الذي ادى بالمسنين الشعور بالوحدة والانعزال عن باقي افراد المجتمع وبالتالي ينسحبون من مجتمعهم ويصبح دورهم الاجتماعي قليل الاهمية (هذه الحالة تنطبق على المجتمعات الصناعية الغربية)

تحديد المفهوم:

بعد هذه المقدمة الاستهلالية، اذهب لاوضح التحديد الزمني – العمري للمعمر الذي لا يخضع لمعيار ثابت في كل المجتمعات والازمنة لانه يخضع لتحديد ثقافي

صرف يرتفع ويهبط حسب مفهوم الثقافة الاجتماعية للمجتمع فضلاً عن ذلك فإن عمر المسن يرتفع مع التقدم العلمي والصحي للمجتمع. لكن هناك خطوط عامة تشترك فيها كل المجتمعات حول الاطار العام لتحديد عمر المسن وهي انها تمثل المحطة الاخيرة لدائرة الحياة العمرية التي تسبق مرحلة الموت.أي انها مرحلة بايولوجية على صعيد التحولات العمرية وتمثل ايضاً مرحلة اجتماعية ثقافية على صعيد تحديد الدور الاجتماعي له في مرحلة عمرية تحددها ثقافة المجتمع لمرحلة الشيخوخة.

فالمسن من الناحية البايولوجية يتحدد بواسطة تغيرات عديدة في اعضاء جسمه، منها تجاعيد الوجه وضعف في البصر وثقل في السمع وتبدل لون الشعر (شعر الرأس) من اللون الاسود او الاصفر او الاحمر الى الابيض او الرمادي (السكني) ونقص في العديد من وظائف خلايا الجسم وزيادة في الافرازات الهارمونية وترهل في العضلات وضعف في طاقة وحيوية القلب والرئة. مثل هذه التغيرات الجسمية- البايولوجية لمعظم المسنين في كافة مجتمعات العالم بغض النظر عن نوع الثقافة الاجتماعية التي يعيش فيها ويتماثل معها مع الاختلاف بالدرجه لا بالنوع بسبب برامج الحمية والاعتناء الصحي والطبي ونمط العيش. جميع ذلك يؤثر على عملية تغيرات الجسم عند المعمرين.

اما التحديد الثقافي الاجتماعي للمعمرين فإنه يتأثر في تحديد نموذج السلوك الذي يتناسب مع عمره الزمني وطرائق تفكيره وينسجم مع طوره العمري اذ يختلف بشكل كبير وواضح من مجتمع لآخر.

تعني الشيخوخة سلسلة تحولات من دورٍ الى آخر. أي التحول من مرحلة الطفولة ماراً بالمراهقة عبر مرحلة الشباب والنضج وصولاً الى المحطة الاخيرة (الشيخوخة) وفي كل مرحلة يقدم المجتمع ادواراً اجتماعية ترتبط بسلسلة مشكلات اجتماعية متنوعة ومختلفة وعند إنتقال الفرد من مرحلة عمرية – بايولوجيه معينه الى اخرى عليه أن يتخلص من العديد من توقعات وحقوق

وواجبات المرحلة التي اجتازها ويتبنى العديد من توقعات وحقوق وواجبات المرحلة الجديدة التي وصل اليها عليه ايضاً ان يواجه مشكلات كل دور جديد يكتسبه ويتعلمه في المرحلة الجديدة وهذا يتطلب من الفرد في هذه المرحلة ان يكون ذكياً وحيوياً في ترك واكتساب معايير وتوقعات في آن معاً دون أن يتعثر في تلك المهمة وهذا امر صعب جداً ويحتاج الى صبر وتفكير وتروي والاعتماد على اصحاب الخبرة والدراية من الاهل والاصدقاء لانها خبرة جديدة في مواجهة المشكلات غير المتوقعة لكي يساعدوا هؤلاء في اعادة تنظيم حياتهم الخاصة في ظل التطور الجديد التي يجب ان تنجم مع التوقعات الاجتماعية الخاصة بالمرحلة الجديدة .

ومن نافلة القول أن نذكر حقيقة المشكلات المصاحبة لتحولات مراحل الحياة العمرية من الطفولة الى المراهقة ومن ثم الشباب تكون مقبولة اجتماعياً بسبب كونهم جزءاً من عملية النمو العمري والارتفاع الشخصاني (نمو شخصية الفرد) وان كل مرحلة دورية تجلب نفوذاً اكثر وتمنح الفرد إعتباراً اوسع ومفاضلات أكبر من الدور الذي اجتازه. بيد أن الوصول الى مرحلة الشيخوخة لا يقدم للافراد هذه الصفات التي تعطي ممارسات اجتماعية جذابة ولامعة .بل بالعكس يواجه المسن فيها نقصاً في نفوذه وهبوطاً في اعتباره الاجتماعي وبأساً في طموحه وضؤولاً في بواعثه وضعفاً في مقدراته اذ يشعر بأنه وصل الى المرحلة النهائية من مراحل عمره وانه في حالة انتظار النهاية الحاسمة ومناوسة صمت المستقبل لمواجهة السر الديني وهو الموت. .وتحت هذه الوضعية الاجتماعية الباهتة لآخر مرحلة حياتية للانسان لفتت انتباه الاجتماعيين وبالتحديد الزمني (بعد ظهور برنامج التقاعد العام في سنة ١٨١٠ في اوربا) اذ أن فكرة احالة الموظف او العامل على التقاعد جديده نسبياً في حياة المجتمع الغربي لانها ظهرت بعد نضج النسق الصناعي من اجل جعل الحياة الاقتصادية ما بعد التقاعد ممكنة وبالتحديد (ظهور اول برنامج للتقاعد في تاريخ اوربا ١٨١٠ في مجال الخدمة المدنية في بريطانيا

ولم ينتشر هذا البرنامج في كافة المجتمعات الاوربية حتى بداية القرن العشرين وفي عام ١٨٩٠ كان هناك ٧٠٪ من الاميركان من الذكور ممن اعمارهم ٦٥ عاماً من القوى العاملة بينما يربو الآن (في العقد التاسع من هذا القرن) على ١/٥ من العمال.[٦٢]

معنى ذلك، باتت الشيخوخة تمثل مشكلة اجتماعية جديرة بالاهتمام والدراسة من قبل المختصين الاجتماعيين وبسبب التغيرات الاقتصادية التي حصلت في المجتمع الامريكي عام ١٨٩٠ الذي تحول فيه من المرحلة الريفية الى الحضرية وازداد عدد العمال المعمرين اذ كان في منتصف هذا القرن١٧٪ من العمال المعمرين يشتغلون لحسابهم الخاص و٢٥٪ يشتغلون في المصالح العامة و٥٨٪ متقاعدين ، بينما كان المعمر في عام ١٨٩٠ يعمل طوال حياته دون ان يقاعد نفسه حيث كان يعمل طالما يتمتع بصحة جيدة ولا يوجد عمر محدد للعمل ولا يتوقف عن العمل بل يخضع عمله لرغبته ولحاجته المالية ولقابلية جسمه بل كان يتقاعد بشكل تدريجي وعندما يصل الى حالة العجز يلجأ الى أحد أبنائه أو أحد صناعه (عماله) الذين كانوا يعملون معه (لا لأعالته بل للمحافظة على هيبة المهنة) لكن بعد منتصف هذا القرن ظهرت حالة التقاعد بعد أن يصل الى سن ٦٥ عاماً مع الاعتماد على ما ادخره من مال ايام عمله مع الاعتماد على راتب تقاعده الضئيل مع بعض الضمانات الاجتماعية والصحية البسيطة.[٦٣]

وكما ذكرت انفاً ان أصعب مراحل حياة عمر الانسان واخرها هي مرحلة الشيخوخه لانها تمثل مرحلة التقاعد عن العمل ويملك وقت فراغ واسعاً مع قلة في الدخل وتواجه مشاكل الحياة بمعنوية فاترة ومعايشه امراض بايولوجيه تضعف فيها مقاومة الجسم امامها، فضلاً عن التقدم التكنولوجي السريع الذي استغنى وما زال يستغني عن العديد من العاملين من المتقدمين بالسن والذين لديهم مهارات قديمة وهذا يجعل من المعمرين حالة الفزع والخوف النفسي من انهم باتوا لا قيمة لهم في عملهم وان خدمتهم الطويلة اصبحت لا تجدي الامر الذي يبلور عندهم حالة

اليأس والقنوط فضلاً عن عدم قدرتهم في مواجهة التضخم المالي الذي اصاب الحياة العصرية .

الصفات الشخصية للمعمرين

١- هبوط في سرعة تعلم الاشياء الجديدة

٢- ضعف في الذاكرة

٣- ضعف في حل مشكلاته التي تتطلب الرجوع الى اطار مرجعي. اي يحل مشكلاته ارتجالاً وعفوية دون تحليلها ومقارنتها مع مثيلتها.

٤- جمود تفكيره وجفاف قراره وتعنت في مواقفه

٥- متردد في مواجهة مشكلاته وعندما يواجهها يكون بطيئاً في حلها .

٦- هبوط في قدراته العقلية واعتماده على مفردات وعبارات وخبرات كان يعتمد عليها ويستخدمها ايام شبابه او التي سادت فترة طويلة من حياته الماضية.

٧- ضعف في استحداث مصالح شخصية جديدة

٨- يتكاسل في اقامة علاقات صداقية جديدة.

٩- لا يساوم على اعتباره الاجتماعي الذي عاش عليه لذلك لا يفكر في الاساءة اليه حتى لو كلفه ذلك ان يعيش وحيداً ومنعزلاً عن الناس (المهم ان يحافظ على اعتباره وسمعته الاجتماعية التي نماها ايام شبابه)

١٠- يتأثر بشدة عندما يعلم بأن أحد اقاربه او اصدقائه قد مات لانهم يمثلون أقرب الاشخاص بالنسبة له فضلاً عن كونه يتماثل معهم في معظم سلوكياته ومواقفه.[٦٤]

من خلال ما تقدم من صفات شخصانية للمعمر نستطيع القول انه من العسير ان نفصل بين التقدم العمري ومشكلات الشيخوخة اذ أن هذه المشكلات الشخصانية لم تولدها امراض الشيخوخة فحسب بل شعور المسن بانه بات غير فاعل او ناشط في اسرته ومجتمعه المحلي فهو يتصلب برأيه ويتعصب لماضيه

الاجتماعي ويعتز باقرانه ويتشبث باهداب الحياة الاجتماعية لسببين : الاول لا يريد ان يفقد عالمه الاجتماعي والثاني لا يريد ان يفقد عالمه الدنيوي على الرغم من ضعف صحته وهزال قواه الجسمية والعقلية والنفسية وعدم اعتماد الحياة الاقتصادية- الانتاجية على خبراته وقدراته. كل ذلك لا يريد أن يستلسم لقرار سُنّة الحياة ودورة مراحلها .

المشكلات الاجتماعية للشيخوخة

ليس غرضي أن أُجزئ المشكلات الاجتماعية حسب المراحل العمرية بل ان هناك مشكلات ينفرد بها المعمرون دون سواهم من افراد المجتمع فضلاً عن أن هناك مشكلات اجتماعية يشترك فيها المعمرون والشباب والمراهقون مثل معدل الانتحار الذين يحدث عند المعمرون والمراهقين لكن الانحرافات السلوكية والادمان على المخدرات غير سائدة بينهم لذا فإني سوف اعرض في هذا المقام المشكلات التي يعيشها المتقدمون بالسن.

قبل الولوح في عرض الامراض الاجتماعية أطرح امراض الشيخوخه مثل امراض القلب والسرطان والوهن العقلي والاضطراب الدماغي الذي يؤدي الى الانحراف السلوكي اي تدهور عقلي واضح في الذاكرة القريبة وتصحبه تغيرات في السلوك فيصبح فيها ذا سلوك طفولي لجوج ملحاح يركز على حاجاته ومطالبه ويعاني من صعوبة التعامل مع الخبرة الجديدة واكتساب المعرفة وهذا (اي مرض الخرف) احد اسباب تعطل حياة الفرد عقلياً ووجدانياً. ثم مرض الكآبه والتصرف الشاذ - الغريب عن ما هو مألوف في المجتمع ، وتبدل لون شعر الرأس الى اللون الابيض او الرمادي وتفقد البشرة طراوتها وليونتها وضعف في البصر وثقل في السمع وميل للتصابي والظهور بالمظهر الخارجي الجيد الانيق والوسامة امام الناس لكن حيويته او حركته تضعف وتقل قدرته على العمل لفترة زمنية طويلة ويترهل جسمه وترتخي عضلات جسمه لكن على الرغم من كل ذلك فإن المسن (سواء كان رجلاً ام امرأة) لا يعترف بتقدم عمره بل يعد عمره من الوسط

(وبعضهم يتماثل مع رموز شبابية في المجتمع)[٦٥] قصارى القول: ان مناعة جسم المسن تضعف في صد العديد من الامراض حيث هناك ٨٦٪ من المعمرين الذين يزيد اعمارهم على سن ٦٥ عاماً في الولايات المتحده الامريكية يعانون من امراض القلب والتهاب المفاصل ومن الغريب عند هؤلاء تكون نسبة اصابتهم بالبرد والامراض المعدية أقل من باقي امراض الجسم ومعظمهم يزورون المستشفيات والمؤسسات الصحيه والعلاجية اكثر من ذهابهم الى العيادات الطبية الخاصة او المستشفيات الخاصة وذلك لقلة وارداتهم المالية وعدم وجود رعاية أسرية او دعم مالي ومع ذلك فانهم يصرفون مالاً على علاجهم اكثر من صرف الشبا ب على صحتهم .

المشكلة المالية: معظم المعمرين قلقون بسبب المال الذي عندهم ففي عام ١٩٧٦ كان هناك حوالي ١٥٪ من المعمرين الذين اعمارهم فوق سن ٦٥ في الولايات المتحدة يعيشون دون مستوى الفقر وليس لديهم مورد مضاف الى راتبهم التقاعدي . هذا الثبوت في راتبهم الشهري مع ارتفاع مستمر في اسعار السلع والمواد الغذائية فضلاً عن آثار التضخم المالي مع ارتفاع اسعار الادوية والعلاج الطبي المتزايد بلور عندهم مشكلة مالية متأزمة .

مشكلة العمل: كلما تقدم عمر المسن قلت فرص عمله مع وجود ٩٥٪ من الاعمار الوسطية سائدة في سوق العمل الامريكي، عام ١٩٨٠ وهناك دراسة اوضحت بان الاعمار المتفاوتة بين ٥٥ سنة والى ٦٤ توقفت عن العمل بسبب مرضهم او عدم قدرتهم على العمل . فضلاً عن التقدم التكنولوجي وتطوره المستمر الذي ادى الى ايقاف العديد من المعمرين في استمرارهم بالعمل لان مهاراتهم باتت عتيقة وغير مواكبة للتطورات التي سادت التقدم التكنولوجي وان برامج تدريب العاملين والموظفين يتطلب اعماراً شابه لانها تريد الاستفاده منهم لأطول فترة زمنية من خبرتهم بينما المسن لا تستفيد منه بنفس المدة التي يقدمها الشاب علاوة على وجود تحيز ضد تعيين المسنين في الوظائف والاعمال الكتابية بسبب بطئه في تعلم الخبرات الجديدة .

مشكلة السكن : معظم سكن المعمرين في المجتمع الامريكي من النوع الرديء والقديم لا تتوفر فيه الشروط الصحية فضلا عن موقعه في مناطق مزدحمة بالسكان وفقيرة وذات مستوى اقتصادي واطئ يفتقد التدفئة المركزية او المصعد الكهربائي (للساكنين في بنايات عالية او عمارة ذات طوابق عديدة) .

مشكلة المواصلات : معظم المدن الامريكيه تستخدم السيارات الخاصة والبعض القليل تستخدم المواصلات العمومية. ولما كان دخل المعمرين محدوداً وقليلاً فتكون السيارة مصدر استهلاك مصاريف كثيرة لصيانتها والتأمين عليها فضلاً عن وجود مشكلة امريكية خاصة بهم وهي ان الزوجات لا يتعلمن سياقة السيارة الا بعد وفاة ازواجهن (هذه مشكلة قائمة بين الفقراء من المعمرين) الامر الذي يخلق عندهن متاعب جديدة ومصاريف مضافة الى المصروف الشهري.

العزلة الاجتماعية: من أصعب الامور عند المتقاعد هو شعوره بانه وصل الى عمر متقدم تقل نسبة مسؤولياته الاجتماعية والمهنية اذ ينصرف الى بيته وأسرته التي لم يبق فيها سوى زوجته في المنزل وباقي افراد اسرته قد استقلوا بأسرهم وتبقى علاقته بهم عن طريق الرسائل البريدية او الهاتف وتكون علائقه مع ابناء مجتمعه المحلي ظرفية حسب اوقات فراغهم ويشعر ايضاً بان خبرته العملية والحياتية باتت لا تلائم العصر وافكارهم ومنطقهم ورؤاهم اضحت تعبّر عن جيل عفى عليه الزمن . هذا الشعور عنده يولّد اليأس والقنوط والاغتراب ويشعر ايضاً إن خبرته وتجربته الاجتماعية غير نافعة بعد ما كان يمثل الحيوية النابضه بالحركة والانتاج وبالوقت ذاته يشعر بانه متحرر من قيود العمل الذي كان يخضع له ورتابة العمل الاداري او المعملي.(٦٦)

ومن نافلة القول ان اشير إلى حقيقة مفادها ان معظم المعمرين من الرجال يتوفون قبل زوجاتهم وذلك لانهم غالباً ما يتزوجون زوجات اصغر منهم سناً، فضلاً عن كون النساء اطول عمراً من الرجال وهذه مشكلة متفرعة من مشكلة المعمرين اذ أن الارملة تواجه مشكلات اكثر من الارامل (من الرجال) من الاهتمام

بامور خارج المنزل التي قد لا تستطيع انجازها حيث كان الزوج يقوم بها. هذا وان زواجها بعد وفاة زوجها ليس بالامر الهين او السهل بل يكون امراً نادراً

هذا من جانب ومن جانب آخر ، فإن الاجداد يفقدون دورهم التسلطي على ابنائهم فلم يبقوا ارباب اسرهم لانهم ابتعدوا عنهم وعاشوا بعيداً عنهم (من الناحية المكانية– الجغرافية) وعند العيش معاً فانه من المحتمل ان تحصل صراعات دورية فيما بينهم فضلاً عن انقسام ولاءات الاحفاد على الاباء والاجداد.[٦٧].

قصارى حديثي عن مشكلات المعمرين انها من النوع الذي لا يؤذي او يضر بالمجتمع الانساني بل يضر بالمسن نفسه (بسبب تقدم سنّه واهمال اسرته ومجتمعه المحلي له) على عكس مشكلات المراهقة او الشباب التي تضر وتؤذي المجتمع بشكل واسع وانها مشكلات خلقتها الحياة الصناعية والحضرية ولم تخلقها الحياة الزراعية او التقاليدية او البدائية بل على العكس لم تكن مشكلات اجتماعية للمعمرين في المجتمعات الزراعية او التقاليدية او البدائية بل كانوا يمثلون رموز الحكمة والهيبة والتبرك سواء في حياتهم او بعد مماتهم . والمجتمع العربي من المجتمعات المحتفظه بهذا التقليد العرفي اذ يخلد اسمه في الاسرة من خلال تسمية الاحفاد او احفاد الاحفاد باسماء اجدادهم او جداتهم وهذا تمسك اسري عربي يمثل الاعتزاز بجد الاسرة الذي يحفظ نسبها وعرفها الاجتماعي المحلي فضلاً عن الاخذ برأيه حول القضايا الاسرية وقراراتها مثل زواج احد الابناء او البنات او الاحفاد او الحفيدات والاهتما م بمظهرهم الاجتماعي وصحتهم الجسمانية والرجوع اليهم عند مواجهة احد افراد الاسرة لاحد المواقف المحرجة او الحادة (اجتماعياً ونفسياً) وهذا يجعله شاعراً بانه ما زال محتفظاً بموقعه الاسري العالي والمحترم. اما من الناحية الاقتصادية فانه لا توجد لديه مشكلة من هذا القبيل لانه يجد من يقدم له المال دون الشعور بالمساعدة او الاشفاق او الاحسان بل الواجب الديني والاجتماعي والاخلاقي هو الذي يحتم هذا الموقف اي أن المسن العربي قليل الشعور بالعزلة الاجتماعية والاسرية ولا يشعر بانه مغترب في

مجتمعه . لكن شعوره بانه وصل الى المرحلة الحياتية الاخيرة وانه ينتظر الموت وامراض الشيخوخة فهي مشابهه للمسنين في المجتمعات الصناعية والحضرية لانها واحده عند جميع المسنين ويجب ان اشير في ختام حديثي الى ان المسنين العرب سوف لا يبقون محافظين على مكانتهم الاسرية العالية بسبب انشطار الاسرة العربية الممتدة الى الصغيرة النووية التي تصعف مكانة المسن وتقلل من اهمية الاسرة ومع ارتفاع مستوى العيش والتضخم المالي وارتفاع تكاليف العلاج الطبي والصحي فانه سوف يواجه نفس المشكلات الاجتماعية التي واجهها المسن الغربي.

مصطلحات الوحدة

AdoLenscence	المراهقة
Adulthood	سن البلوغ الجنسي
Alienation	الاغتراب الاجتماعي
Aggression	العدوان
Anxiety	قلق
Automation	الاتمته(التصنيع الالي المتقدم)
Bottle Gang	زمرة القنينة الواحدة(من الخمر)
Bizarre Behariour	سلوك شاذ أو غريب
Child Accident	حوادث الاطفال
Child abuse	اساءة استخدام الاطفال للاشياء
Coper	المكافح في عمله
Capsle	عبوة
Coalition	ائتلاف
Culture of Poverty	ثقافة الفقر
Cyclical Unemployment	البطالة الدورية
Depression	مرض الكآبة
Early Childhood	الطفولة المبكرة
Elderly	المعمرون أو المسنون
Equal opportunity	تكافؤ الفرص
Encapsulated conflict	صراع مغلف/ مكبسل

Frustration-aggression Theory	نظرية الذعر فالاعتداء
Frontier Society	مجتمع حدودي
Genocide	الابادة الجماعية
Hippie movement	حركة الهيبز (الخنافس)
I llegal abortion	اجهاض غير قانوني
Individualism	الفردانية
Ideology of individualism	العقيدة الفردانية
I ncome	الدخل
I neguality	عدم العدالة
I mmature	غير ناضج او غير بالغ سن الرشد
I nfant mortalityi	وفيات الاطفال
I solation	العزلة الاجتماعية
I nfancy	الوليد الصغير
Latency period	المرحلة المستترة
Latency marriage	زواج بالاكراه او قسراً
Mature	ناضج، بالغ سن الرشد
Maltfunction in the Economy	العجز الاقتصادي
Misunderstanding	اساءة الفهم
Mental Retair dation	التأخر العقلي او التخلف العقلي
Maiming	التشويه او بتر الاعضاء الجسدية للانسان
power comstellations	نفوذ الجماعة المتألقة

Propelling force	القوة الحاثة على
Poverty line	خط الفقر (مستوى الفقر)
Probation	تحت المراقبة او العقوبة المعلقة
parole system	النظام الشرطي في إطلاق سراح الجانح او المجرم
puberty	مرحلة البلوغ
pensions	معاش التقاعد
Outism	الاسترسال في التخيل
old Age	المعمر
Senile Dementia	خرف الشيخوخة
Suicide	الانتحار
Stereotype	التقولب او التنميط
Stuttering	التأتأة
Shyness	الخجل
Seclusiveness	الانعزال
Sexual Development	النمو الجنسي
Standered Group	المستوى الجماعي للجماعة
Skid Row	منطقة حافلة بالحانات والفنادق الرخيصة
Social Veneer	الخداع الاجتماعي
Strained	التوتر
Rebellion	التمرد
Retirement	التقاعد

Riots	الشغب المخل بالأمن
The learning theory	نظرية التعلم
The conflict perspective	الرؤية الصراعية
The Social psychological	رؤية نفسيه اجتماعية
The functional perspective	رؤية وظيفية
The cycle of poverty	دائرة الفقر
Unmarried mother	الام غير المتزوجة
Youth	الشباب
Juveile Delingency	جنوح الاحداث
Walfare system	نسق الرفاهية
Wealth	الثروة
Violence	العنف
Disrepute	تشويه السمعة
Aberrent behavior	سلوك غير متماثل
Mon conforming	منشق، معارض
Personal aggrandizement	الباحث عن الثروة والنفوذ

مراجع الوحدة

1- Merton ,R.K.1971"Social problems and sociological Theory" (eds.)Merton and Nisbet, Contemperary social problems,Harcort Brace Jovanvich Inc.NewYork ,P.P.793-845.

2-Hortorn, Poul .1970 "The Sociology of social problems " Appleton century cropts P.P.25-37.

3- Etzioni, Amitai 1971 "Contemporary Social Problems"(eds.) Merton,R.and Nisbet,R."Social Problems and Socialogical Theory ,Harcoart Brace Jovanovich Inc. NewYork P.P.709 -741.

٤- مجلة الاسبوع العربي ،عدد ١٩٨٢، اكتوبر -١٩٩٧،مجلة عربية تصدر في باريس.

5-Scarpitti,Frank.1974"Social Problems "Holt Rinehart and Winston Inc. NewYork ,P.152.

6-Coleman,James and cressey,Donald,1980,"Social Problems"Harper and Row Pub.NewYork,P.P.135-154.

7-Ibid.,P.P.155-160.

8-Ibid,P.P.165-175.

9-Ibid., P.P.161-165.

10- Scarpitti, Frank .1970 ,"Social Problems in Modern Urban Society "Prentice -Hall Inc. Englewood ,P.P.151-158.

12- Freeman , Howard and Jones, Wyatt.1970 "Social Problems " Rend McNally co. Chicago .P.P.86-87.

13-Coleman,James and cressey,Donald.1980,P.P.166- 168.

14- Ibid., P.P.160-166.

15-Ibid., P.168.

16- Scarpitt,Frank and Gold H. 1974, P.P.16-17.

17- Ibid., P.18.

١٨- الرميحي ،محمد ١٩٩٦ «هل يمكن التخلص من الفقر» مجلة العربي الكويتية ،عدد (٤٥١) حزيران ،ص١٨.

19- Carey, James . 1978."Introduction to criminology Prentics Hall Inc. New Jersey,P.442.

20- McGee,Ree.1962 "Social disorganization in America " Chandi Publishing co. San Francisio ,P.48.

٢١- كلوكهون ،كلايد، ١٩٦٤ «الانسان في المرآة» ترجمة شاكر مصطفى سليم، منشورات المكتبة الاهلية ،ص٢٤.

22- Mandel boum D.G. 1970 "Alcohol and culture " Wayne and Dennis (eds.) cross cultural studies,Random House ,NewYork ,P.528.

23- Block,Herbert A and Geis,Gilbert.1970"Man,crime and Society " Random House NewYork .P.329.

٢٤-ساكز،هاري١٩٧٩«عظمة بابل» ترجمة عامر سليمان ابراهيم ،دار الكتب للطباعة والنشر- بيروت ،ص١٩٨.

٢٥- سليمان ،عامر ١٩٧٧«القانون في العراق القديم» جامعة الموصل ،ص.ص.٢٤٦-٢٤٧.

٢٦- بندكت ،روث ١٩٥٨«الوان من ثقافات الشعوب» ترجمة محمود مرسي ابو الليل واخرين ، لجنة البيان العربي، ص٣٦.

٢٧- بندكت ،روث .ص١١٥.

٢٨- قطب السرور في اوصاف الخمور ١٩٦٩ تصنيف ابي اسحاق ابراهيم المعروف بالرفيق النديم تحقيق احمد الجندي، مطبوعات مجمع اللغة العربية -دمشق ،ص٤٧٥.

٢٩- المرجع السابق، ص٤٩٢.

30- Mandel ,boum,D.G.P.531.

31-Horton, Donald .1964."The Functions of Alcohol in Primitive Societies "S.N.Eisenstade (eds.) comparative social Problems The Free press,NewYork .P.P.2-22.

32- Ibid,P.P.24-25.

33- Mandel boum,P.P.530-533.

34- Efram,Vera.1964"The Sovet Apro to Al Coholism" S.M. Eisented

(ed.) comparative Social problems "The free press,NewYork ,P.26.

35-Horton,Paul and leslie ,Gerald 1974."The Sociology of Social problems " P.P.22-24.

36- Dynes,Russell and etal . 1964,"Social problems "Oxford University press NewYork P.530.

37-Dressler,David 1969"Sociology"Alfred A.knoph, NewYork, P.P. 574-576.

38-Ibid.,P.577.

39-Mandel boum, P.528.

40- Sultherland ,Edwin and Cressey ,Donald 1970" Criminology "J.B.Lipp in Cott NewYork, P.166.

٤١-شكري، غالي ١٩٨٥« دكتاتورية التخلف العربي» مجلة دراسات عربية ،عدد (٥) ،ص١٩.

٤٢- محمد، بدر عبد المنعم ١٩٨٥« مقاييس التخلف والتقدم» دراسات في المجتمع العربي إعداد مجموعة من اساتذة عرب عمان ،ص٤٨.

٤٣- زريق ،قسطنطين ١٩٧٧«نحن والمستقبل» دار العلم للملايين بيروت،ص٢٢٨.

٤٤- المرجع السابق،ص٣٠٦-٣٠٨.

٤٥- عويس، سيد ١٩٧٠«حديث عن الثقافة »مكتبة الانجلو المصرية ،ص٢٢٦-٢٢٨.

٤٦- علوان،فجر جودة ١٩٨١«القيم الحضارية واثرها في استخدام الزمن» اطروحة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد قسم علم الاجتماع ،ص.ي.

٤٧-عويس ،سيد.ص ٢٢١-٢٢٣.

٤٨- عزيز ،خيري ١٩٨١« ادراك التخلف العربي ضرورة للتقدم القومي» مجلة دراسات عربية عدد(١٠) ص٥٢-٥٣.

٤٩- عزام،هنري ١٩٨١« المرأة العربية والعمل »مجلة المستقبل العربي عدد (١٢) ،ص٧٨.

٥٠- صابر، محي الدين ١٩٨٢«الابعاد الحضارية للتعريب» مجلة المستقبل العربي عدد (٢) ص١٠

٥١- لبيب ،الطاهر،١٩٨٢«البعد السياسي للتعريب وصلته بالوحدة الديمقراطية » مجلة المستقبل العربي عدد (٢) ص ٨٤-٨٥.

٥٢- زريق ،قسطنطين ،ص.ص ٢٢٣-٣٢٨.

53- Freeman,Howard and Jones,Wyatt,1970 "Social problems"Rand McNally co. Chicago,P.271.

54- Ibid.,P.302.

٥٥-توم،جلاس١٩٨٥« مشكلات الاطفال اليومية »ترجمة اسحاق رمزي ،دار اسيا للطباعة والنشر -بيروت ص،ص٢١٧-٢١٨و ,٢٣٢

٥٦- جلال،سعد ١٩٨٥« الطفولة والمراهقة» دار الفكر العربي ،بيروت ص ٢٣٠.

57- Weinberg,Kirson 1970 "Social Problems in Modern Urban Society" Prentice -Hall Inc,Englewood.P.173.

58-Freeman,H oward and Jones,Wyatt 1970, P.P329-3541.

59-Weinberg,Kirson,1970.P.P.172-200.

60- Ibid,P.201.

61-Freeman, Howard and Jones,Waytt 1970, P.P.329-341.

٦٢-جلال،سعد ١٩٨٥،ص.ص٢٤٥-٢٤٦,٢٥٤.

٦٣- البسام ،عبد العزيز ١٩٦٢«المراهقة » مطبعة الجيل ،بغداد ص.ص.٢٩-٣٠.

64-Coleman,James and Cressey ,Donald 1980"Social Problems "Harper and Row Pub.NewYork,P.P.237- 245.

65-Weinberg,Kirson1970,P.P.202-210.

66-Ibid.,P.222.

67-Coleman,James and cressey-Donald 1980, P.P.254-257.



علم المشكلات الاجتماعية

يقابل علم الأمراض (الباثولوجي) في الطب علم المشكلات الاجتماعية أو علم العلل الاجتماعية في علم الاجتماع الذي يقوم بتشخيص الأمراض الاجتماعية الناجمة عن التغيرات الاجتماعية التي تحصل دائماً وبشكل مستمر داخل المجتمع، سواء كان ذلك بتأثيرات خارجية (حرب كساد اقتصادي، حصار اقتصادي أو جوي أو تثاقف أو تطور تقني) أو بتأثيرات داخلية (ثورة، إنقلاب سياسي أو عسكري، تحولات سكانية سريعة، ظهور موارد طبيعية جديدة) أو نقيض التغيرات الاجتماعية مثل التكلسات السياسية والتفرد النفوذي، العزلة الثقافية - تحجز النظام السياسي وبقائه في سدة الحكم - الانكفاء على الماضي سياسياً أو طائفياً مع تبديل وجوه النظام دون تطويره.

هذا التخصص الحقلي يحمل تسمية «علم» لأنه يدرس العلل الاجتماعية بعيداً عن مؤثراتها المحلية والمحيطية بشكل متجرد مثل الأقلية الاجتماعية والأعراق (الارساس) والفساد الإداري والرشوة والعنف والوهن الاجتماعي (التفكك الاجتماعي) ويضم هذا العلم بين جنباته علم الإجرام وعلم النفس الاجتماعي ويرفد ويغذي علم الاجتماعي الحضري والصناعي وعلم السكان بتحليل علمي للمشكلات التي تظهر في حقول دراستهم، وذلك لأن مواضيع الجنوح والانحراف والعنف والتحيّز والتعصب العرقي والقومي والطائفي والوصم الاجتماعي وسواها تُعدّ من أمهات المواضيع التي يتناولها هذا العلم العتيد والفني في الوقت نفسه.



دار الشروق للنشر والتوزيع

المركز الرئيسي - عمان / الأرد...

فاكس ٤٦١٠٠٦٥ ص...

www.shorok.com

وكا...

دار الشروق للنشر والتوزيع - ...

دار الشروق للنشر والتوزيع - غزة - الرمال الجنوبي - تلفون: ٠٦/٢٨٤٧٠٠٣

وكلاؤنا في الإمارات العربية المتحدة دار الشروق - دبي